الفصل السادس والستون

الالهة والتقرب اليها

لا نملك – ويا للأسف – نصوصاً جاهلية فيهـا وصف لطبائع الآلهة ، ولا أساطير فيها شيء على رأي أهل الجاهلية في أخلاق أربابهم . ولهـذا صار مرجعنا وسندنا في تكوين صورة عن طبائع الآلهة وأخلاقها ، دراسة وتفسير أسماء الآلهـة ونعوتها التي نعتت بها ، لاستخراج شيء منها يعيننا على تكوين هذه الصورة .

وتفسير أسماء الآلهة ومعرفة أصولها وجذورها ، عملية ليست سهلة يسيرة، بسبب جهلنا بمعاني بعض تلك الأسماء ، وعدم وقوفنا على أصولها التي اشتقت منها، لأن اللهجات التي دوّنت بها ، لا تزال بعيدة عن مداركنا ، ولأن قواعد نحوهـا وصرفها تختلف بعض الاختلاف عن قواعد وصرف عربيتنا ، ونحن لا نملك اليوم المؤهلات الكافية ، للحكم في تلك اللهجات حكمنا في عربيتنا .

واسم الإلـه هو صفة في الغالب ، ألبسها الزمن بمضي الوقت لباس العلمية ، فعدت اسماً علماً ، فإذا استطعنا الرجوع الى أصول وجذور هذه الأسماء الصفات، نكون قد استنبطنا شيئاً عن طبائع تلك الآلهة من صفاتها المذكورة ، ونجحنا بعض النجاح من تكوين رأي عن تلك الديانات الجاهلية .

هنالك أسماء مثل (ال) (ايل) ، يجد الباحثون صعوبة في الاتفاق على تعيين أصولها ، وضبط معانيها ، وهناك أسماء واضحة جليّة ظاهرة ، تدل عـلى أشياء معروفـة محسوسة ، مثل (شمس) و (ورخ) بمعنى قمر ، و (عثتر) ، و (الشعرى العبور) و (نجم) ، و (ثريا) وأمثال ذلك من أسماء تشير الى

أشياء مادية ، هي كواكب ونجوم ، يستدل منها على وجود عبادة الأجرام السماوية عند الجاهليين . وهناك أسماء ، هي نعوت في الواقع ، لا تدل على ظواهر حسية وإنما تعبر عن أمور معنوية ، مثل (ودّ) بمعنى (حبّ) و (رضى) ،و(سعد) ، و (حكم) ، و (نهي) ، و (صدق) ، و (رحمن) ، و (رحم) (ها ــ رحم) (الرحيم) ، و (سمع) ، (سميع) ، و (محرمم) (محرم) ، وأمثال ذلك من ألفاظ ، هي نعوت ، جرت بين الناس مجرى الأسماء . وعلى هذه الصفات الأسماء سيكون جلّ اعتمادنا في استنباط الصورة التي نريد تكوينها عن طبيعة آلهة العرب الجنوبيين .

وعلينا ان نضيف على ما تقدم الأعلام المركبة المضافة للأشخاص ، مثل (عبد ود) ، و (عبد مناف) ، و (عبد شمس) ، و (عبد يغوث) ، و (امت العزى) (أمة العزى) ، فالكلمات الثانية من الاسم ، أسماء أصنام . وفي تركيب الاسم على هذا النحو ، دلالة على تذلل الانسان تجاه ربه ، واعتبار نفسه عبداً له ، وفيه تعبير عن صلة الأشخاص بربهم ، أضف اليها الأعلام المركبة تركيباً إخبارياً ، مثل (ودم ابم) ، أي (ود أبٌ) أو (أبٌ ود) ، ففي هذا التركيب دلالة على حنو الإلـه على المؤمنين به ، واشفاقه عليهم، إشفاق الأب على أولاده .

ودراسة الأمور المذكورة ، هي مصدر مهم ، بل هي تكاد في هذا اليوم ان تكون المصدر الوحيد لفهم ذات الآلهة وادراك شخصيتها ، ولفهم تطور الدين على مر العصور والأجيال ، وكيف تطور الدين عند الجاهليين الى يوم ظهور الاسلام .

هذا ، ونجد في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة ، أسماء آلهة لا نجد لها موضعاً في النصوص العربية الجنوبية المتقدمة ، واختفاءً لأسماء الآلهة القديمة التي كانت لامعة ساطعة في سماء الألوهية عند العرب الجنوبيين قبل الميلاد . ونجد أسماء آلهة قبائل تعبد عند قبائل أخرى مع معبوداتها القديمة،وأسماء آلهة كانت لامعة شهيرة ، تحولت الى آلهة صغيرة . وفي كل هذه الملاحظات دلالة على حدوث تطور في الحياة الدينية عند الجاهليين ، وعلى تأثر العقائد بمؤثرات داخلية وخارجية،فأحدثت هذا التطور الذي نبحث عنه .

ومن بين أسماء الآلهة ، أسماء مركبة ، استهلت بـ (ذ) ، أو بـ (ذت) . و (ذ) ، بمعنى (ذو) في عربيتنا ، و (ذت) بمعنى (ذات) . و (ذ) للمذكر ، و (ذت) للمؤنث ، أما الكلمات التالية ، فهي صفات . فجملة (عثتر ذ قبضم) ، تدل على إلـه ذكر ، اسمه (عثتر ذو القبض) (عثتر ذو قبض) ، أو (عثتر القابض) بتعبير أصح . وجملة (ذ شقرن) ، و (ذ صهرم)[1] ، و (ذ عذبتم) ، و (ذ يسرم)[2] ، و (ذ امر وشمر)، أي الآمر الناهي[3] ، و (ذ انبي) ، هي جمل تشير الى إلـه ذكر ، لوجود (ذ) علامة التذكير فيه . وجملة (ذت حمم) ، و (ذت بعدن) ، و (ذت برن) ، و (ذت غضرن) ، و (ذت رحبن) ، و (ذت صهرن) ، و (ذت صنتم) ، و (ذت ظهرن) ، تشير الى آلهة إناث ، لوجود (ذت) (ذات) في الاسم . ومعنى هذا ان العرب الجنوبيين كانوا قد جعلوا الآلهة كالانسان اناثاً وذكوراً . وهو ما ورد في القرآن الكريم عن أهل مكة وبعض قبائل الحجاز ، من قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون »[4]، ومن قوله : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون »[5] . وقوله تعالى: « واصطفى البنات على البنين »[6] ، و « أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين »[7] ، و « أم له البنات ولكم البنون »[8] . وقد ذكر علماء التفسير انه « لا ينبغي ان يكون لله ولد ذكر ولا أنثى . سبحانه نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا اليه ونسبوه من البنات ، فلم يرضوا بجهلهم اذ أضافوا اليه ما لا ينبغي اضافته اليه ، ولا ينبغي أن يكون له من الولد ان يضيفوا اليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها ولكنهم أضافوا اليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها اذا كانت لهم »[9] . وذكروا « ان مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ،

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

---

١ Rep. Epigr. 504.
٢ REP. EPIGR. 2831, 4688.
٣ Handbuch, I, S. 244.
٤ النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ٥٧ .
٥ الصافات ، الرقم ٣٧ ، الآية ١٤٩ .
٦ الصافات ، الرقم ٣٧ . الآية ١٥٣ .
٧ الزخرف ، الرقم ٤٣ ، الآية ١٦ .
٨ الطور ، الرقم ٥٢ ، الآية ٣٩ .
٩ تفسير الطبري (٨٣/١٤) ، روح المعاني (١٥٦/١٤) .

وكانوا يعبدونها »[1] . وقد وبخهم القرآن الكريم على قولهم هذا، واستخف بأحلامهم وبما قالوه جهلاً وحماقة .

وذكر علماء التفسير أن كفّار قريش قـالوا : « الملائكة بنات الله . فسأل أبو بكر من أمهاتهن ؟ فقالوا سروات الجن . يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه إبليس »[2] . وإنهم قالوا : « ان الله وابليس اخوان » ، وان بين الله وبـين الجنة نسباً[3] . ولم يذكر علماء التفسير من قال هذا القول من كفّار قريش . ولا كيف صارت الملائكة بناتاً لله ، او كيف اصطفى الله له البنات ، ولِمَ فضلهن على البنين ، إذ لم يذكروا ان أهل الجاهلية نسبوا له ولداً ذكـراً ، ولم يذكروا هل اختار الله البنات اختياراً من خلقه ، أو من زواج ؟ وقد رأيت ان روايـة نسبت الى قريش قولهم إن امهـات الملائكة سروات الجن ، وذلك حين سألهم أبو بكر من أمهاتن[4] .

ولا نجد في نصوص المسند إشارة الى زواج الآلهة ، والى وجـود بنات لها . وما قلناه من وجود آلهة ذكور ، وآلهة أناث ، هو استنباط من وجود علامـة التذكير (ذ) وعلامة التأنيث (ذت) في أسماء الآلهـة . أما موضوع زواج القمر بالشمس ، وظهور ولد ذكر منه هو (عثتر) . فهو من استنباط علماء العربيات الجنوبية ومن آرائهم الـتي استخلصوها من دراستهم للنصوص . فليس في المسند أي شيء عنه . وليس في المسند ، أي شيء عن دين العرب الجنوبيين ، وعـن أساطيرهم في الآلهة وفي الخلق ، ولا عن صلواتهم وأدعيتهم وكل ما يتعلق بالدين من أمور .

وكل اسم ورد في المسند استهل بلفظة (ذت)، (ذات) ، فيراد به الشمس، وهي إلهة ، وكل لفظة بدأت بـ (ذ) ، (ذي) ، فإنها تعني إلهاً ، هو القمر أو عثتر . فنحن أمام ثالوث سماوي ، يمثل عقيدة الجاهليين في الآلوهيـة ، كما يمثل عقيدة الساميين عموماً . والثالوث السماوي هو نواة الألوهية عند جميع الساميين، ومنه انبثقت عقيدة التوحيد فيما بعد .

---

١ تفسير الطبري (٢٣/٦٧ وما بعدها) ، روح المعاني (٢٣/١٣٥) .
٢ تفسير الطبري (٢٣/٦٩) .
٣ المصدر نفسه .
٤ تفسير الطبري (٢٣/٦٩) .

وعثتر ، هو (النجم الثاقب) المذكور في القـرآن الكريم[1] . وقـد ذهب المفسرون الى ان العرب كانت تسمي الثريا النجم . وذكـر بعض منهم ان النجم الثاقب هو زحل . والثاقب الذي قد ارتفع على النجوم[2] . وذكر بعض آخـر ان النجم الثاقب هو الجدي[3] . وأقسم في موضع آخر من القرآن الكريم بـ (النجم)[4]. وقد ذهب المفسرون الى ان النجم الثريا[5] ، ونحن لا يهمنا هنا اختلاف علـماء التفسير في تثبيت المـراد من النجم ، انما يهمنا ان المـراد به نجم من النجوم . فنكون أمام ثالوث معبود : هو الشمس والقمر والنجم الثاقب ، الذي هو (عثتر) في نصوص العرب الجنوبيين .

وقد ذكر ان العرب تعبدت للشمس وللقمر ، وان طائفة منها، تعبدت لكواكب أخرى مثل الشعرى ، حيث تعبدت لها خزاعة وقيس ، ومثل (سهيل) ، حيث تعبدت لها (طيء) . و (عطارد) ، وقد تعبّد له (بنو أسد) . و (الأسد)، وقد تعبد له بعض قريش . و (الدبران) ، وقد تعبدت له (طسم) . و (الزهرة)، وقد تعبد لها أكثر العرب . و (زحل) ، وقد تعبد له بعض أهل مكة . حتى ان من الباحثين من زعم ، ان (الكعبة) كانت معبداً لزحل في بادىء الأمر . وتعبد للمشتري قوم من لخم وجذام[6] .

ونجد في الكتابات العربية الجنوبية جملة : (ودم ابم) ، أي (ودّ أب) و (ابم ودم) ، أي (أبّ ود) . كما نجد جملة : (ولد ود) و (اولد ود) (اولد هو ود) ، أي (اولاد ود) بمعنى (شعب معين) . وتعبر الجمل الأولى عن معنى ان الإلـه (ود) ، هو إلـه شفيق رحيم عطوف عـلى الإنسان ، هو بالنسبة له بمنزلة الأب من الابن . فهو (أب) للإنسان لا بالمعنى الحقيقي بالطبع ، أي بمعنى ان الانسان انحدر من صلبه ، بل بالمعنى المجازي الذي أشرت اليه . وبهذا المعنى نفسر جملة : (أولاد ودّ) تعبيراً عن معنى (شعب

---

١ سورة الطارق ، رقم ٨٦ ، الآية ٣ .
٢ تفسير الطبري (٣٠/٩١) .
٣ تفسير القرطبي ، الجامع (٢٠/١) .
٤ سورة النجم ، الرقم ٥٣ ، الآية ١ .
٥ تفسير الطبري (٢٧/٢٤) .
٦ Johann Ernest Oslander, Studien über die Varislamische Religion der Araber, in ZDMG., 1853, S. 463 - 505, Grohmann, S. 81.

معين) ، فالإلـه (ود) هو أب هذا الشعب يحميه ويدافع عنه ويعطف عليه . وبهذا المعنى وردت أيضاً جملة (ولد عم) عند القتبانيين و (ولد المقه) عند السبئيين . فـ (عم) الذي هو (القمر) في لغة القتبانيين ، هو بمنزلـة الأب لشعبه ، وكذلك (المقه) ، الذي هو (القمر) في لهجة سبأ[1] .

وقد عبّر عن الشمس بلفظة (هـ الت) ، أي (الإلهة) في النصوص العربية الشمالية[2] . وقيل لها (نكرح) في النصوص المعينية ، و (ذت حمم) (ذات حمم) (ذات حميم) في النصوص السبئية ، كما قيل لها (ذت بعدن) و(ذت غضرن) ، و (ذت برن) ، و (ذت ظهرن) ، في هذه النصوص كذلك . وقيل لها (ذت صنّم) و (ذت صهرن) و (ذت رحبن) في النصوص القتبانيـة[3] . ومن الممكن التعرف على بعض هذه الأسماء التي أريد بها الشمس . فـ (ذت حمم) ، بمعنى (ذات حمم) ، و (ذات حميم) . وقد وردت لفظة (حميم) و(يحموم) في القرآن الكريم[4] . والحميم الحار الشديد الحرارة ، المتقد من شدة الحرّ الساخن الشديد السخونة[5] . وقـد ذكر علماء التفسير أن (اليحموم) ، دخان حميم ، ودخان شديد السواد يخرج من نار جهنم[6] . فمعنى (ذت حمم) ، إذن ، الإلهة ذات الحرارة الشديدة المتقدة المهلكة ، التي تلفح وتحرق . والشمس ، نفسهـا حارة ، ملتهبة متقدة . لذلك يكون الناس قد أخذوا صفتها هذه منها ، فأطلقوها عليها ، وصاروا ينعتونها بها ، ويخيفون الناس منها ، بانتقامها منهم إن خـالفوا أمرها وعملوا عملاً يثير غضبها عليهم .

ويقابل هذه الإلهة ذات الحميم ، الإلـه (الـ حمون) (حمون) و (بعـل حمون) عند الساميين الشماليين . فهذا الإلـه الذكر عند الساميين الشماليين ، بسبب ان لفظة (الشمس) ، نفسها مذكرة عندهم ، هو ذو حميم وحما ،أي ذو سخونة وحماوة وشدة حرارة[7] . وقـد نعت عندهم بالنعت الذي نعت بـه عند العرب

---

١ Handbuch, I, S. 217, D. Nielsen, Der Sabaische Gott Ilmukah, S. 61.

٢ Handbuch, I, S. 224.

٣ Handbuch, I, S. 224, 260.

٤ الواقعة ، الرقم ٥٦ ، الآية ٤٣ .

٥ تاج العروس (٧/٢٥٩ وما بعدها) ، (حمم) .

٦ تفسير الطبري (٢٧/١١٠ وما بعدها) .

٧ Handbuch, I, S. 225.

الجنوبيين . فهو إلـه ذو حرارة مفزعة ، وحميم لا يوصف . وقـد استمد هـذا الوصف من الطبيعة بالطبع . فالشمس مبعث الحرارة على هذه الأرض ، يدرك الانسان حرارتها في كل مكان . فهي اذن (ذت حمم) حقاً .

وعرفت الشمس بـ (اثرت) في كتابات قتبانية ، ومعناها : (اللامعة) ، أو الشديدة اللمعان بعبارة أصح والمتوهجة . فهي في معنى (ذت حمم) . وعرفت أيضاً بـ (ذت اثر) ، (ذات أثر) ، وبـ (ربت اثر) ، (ربة أثر)[1] . ونجد في النصوص النبطية الإلهة الشمس وقد عرفت بـ (ربت الاثر) بمعنى ربة التوهج ، مما يدل على ان (اثرت) ، و (ذت اثر) ، و (ربت أثر) ، في القتبانية هذه الإلهة الشمس[2] .

وقد يعبر عن (الشمس) بـ (الفرس) . والفرس من الحيوانات التي قدسها قدماء الساميين . وقد كان العرب الجنوبيون يتقدمون بتماثيل الخيل، تقرباً الى الآلهة. ومنها الإلهة (ذت بعدن) (ذات البعد) ، أي البعيدة ، وهي الشمس[3] .

وأما (عثتر) ، الذي هو (الزهرة) ، فيرد اسمه في نصوص عربية جنوبية كثيرة . ولاسمه هذا صلة بأسماء بعض الجاهليين الواردة الينا ، مثل : (أوس عثت) بمعنى (عطية عثتر) و (لحيعثت) (لحى عثت)[4] .

وفي الكتابات العربية الجنوبية أسماء يظن انها تخص الإلـه (عثتر) . منها : (ذ قبضم) ، و (ذ يهرق) ، و (ذ جفت) ، و (ذ جرب) ، و(جرب)، و (متب نطين) ، و (متب قبت) ، و (متب مضجب) ، و (يهر) و (بر) وغيرها[5] .

وقد عرف (عثتر) بـ (الشارق) في الكتابات ، فورد (عثـتر شرقن) أي (عثتر الشارق) . وعرف بـ (شرقن) فقط . وقد ذهب بعض الباحثين الى أن المراد من (شرقن) بمعنى الطالع من الشرق ، أو (عثـتر المشرق) . وهو تفسـير رده بعض آخر من الباحثـين ، إذ رأوا أن (شرقن) ، بمعنى

---

١ Handbuch, I, S. 226.
٢ Handbuch, I, S. 226.
٣ Handbuch, I, S. 227.
٤ Handbuch, I, S. 228.
٥ Handbuch, I, S. 228.

(الشارق) . وهي لفظة ترد في اللهجات العربية الشمالية[1] . وقد سبق لي أن بينت رأي المفسرين في (النجم الثاقب) المذكور في القرآن الكريم ، وقلت باحتمال المراد به هذا الكوكب،وان ذهبوا الى انه الثريا أو زحل أو الجدي . و(الشارق) صنم من أصنام الجاهليين تسمى به عدد من أهل الجاهلية،سموا بـ (عبد الشارق)[2] قد يكون رمزاً لهذا الإلـه .

وورد في بعض كتابات المسند : (ذ غربم) ، و (عثتر ذ غربم) أي (الغارب) و (عثتر الغارب) . ومعنى ذلك (نجمة الغروب) ، أو (نجمة المساء) ، و (كوكب المساء) ، في مقابل (نجمة الصباح) و (كوكب الصباح)[3] .

وورد (عثتر نورو) ، و (نورو) ، أي (عثتر نور) ، (نور)[4] . ونور صفة من صفات الله في الاسلام . (الله نور السماوات والأرض . مثل نوره). ولفظة (نورو) ، هي نعت من نعوت (عثتر) . وورد (سحرن) ، بمعنى السحر . والسحر ، قبيل الصبح وآخر الليل ، فيراد بذلك (كوكب السحر) ، أي الكوكب الذي يطلع عند طلوع السحر . كما ورد (متب نطين) ، أي (الحامل للرطوبة) ، وورد (عثتر قهحم) ، أي (عثتر القدير) و (عثتر القادر) و (القاهر) ، و (سمعم) ، أي (السميع) ، و (نوبم) و (نبعن)[5] و (يغل) (يغلن) بمعنى المدمر ، والمنتقم . وقد ورد هذا النعت في أحجار القبور بصورة خاصة . وذلك لتذكير من يحاول تغيير الحجر أو أخذه من موضعه أو تدميره أو إلحاق أذى به ، أو الاستفادة منه في أغراض أخرى ، بأنه في حماية إلـه قدير منتقم[6] .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الإلـه (رضى) (رضو) الذي يرد في النصوص الثمودية والصفوية ، هو الإلـه (عثتر) . وهو صنم ذكره أهل الأخبار ، لكنهم لم يذكروا شيئاً عن صلته بالكواكب ولا عن المعبود الذي يمثله[7] .

---

١ Handbuch, I, S. 228, Fell, in ZDMG., 54, (1900), S. 231 - 259.

٢ تاج العروس (٣٩٣/٦) ، (شرق) .

٣ Arabien, S. 245.

٤ سورة النور ، الآية ٣٥ ، تفسير الطبري (١٠٤/١٨) ، (١٤٤/١٨).

٥ Rep. Epigr. 4194.

٦ Arabien, S. 245.

٧ Handbuch, I, S. 229.

وقد ورد في الأخبار المتعلقة بـ (الرها) ان أهل هذه المدينة ، كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون بوجود إلـه يطلع قبلها اسمه (أزيزوس) Azizos ، وإلـه يظهـر بعدها ، يسمى (مونيموس) Monimos . وذهب الباحثون الى ان (أزيزوس) ، هو (عزيز) . وهو نجم الصباح ، ويطلع قبل طلوع الشمس. ويمثل (رضى) (رضو) ، و (عثتر) . ويرد اسم (رضى) في الكتابات التدمرية كذلك[1] . و (عزيز) (العزيز) من صفات الله في الاسلام .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الصنم المنحوت على شكل طفل هو رمز لـ (عثتر) ، أي (رضى) (رضو) ، و (عزيز) . وقد حفر على شكل طفل عاري الجسم في الكتابات التدمرية . أما الشمس والقمر ، فقد مثلا انسانين كاملين . ونجد هذا التصور للآلهة في الديانات الفطريـة ، التي استمدت ادراكها لكُنه الآلهة عن مظاهر الطبيعة[2] .

ولعلّ تصور الجاهليين الإلـه (رضو) على هيأة طفل ، هو الذي يحلّ لنا المشكلة الواردة في أخبار (نيلوس) Nilus عن تقديم العرب Saracens قرابين أطفالاً لكوكب الصباح . ذكر (نيلوس) أن العرب سرقوا ابنه الجميل الصغير (ثيودولس) Théodulus ، وقرروا تقديمه قرباناً لكوكب الصباح . وقد قضى الطفل ليلة تعسة صعبة ، فلما طلع الكوكب ، وحان وقت تقريب الطفـل قرباناً له ، نام مختطفوه ، ولم يستيقظوا إلا وقد طلعت الشمس ، وفات وقت القربان، وبذلك نجا الطفل من الهلاك[3] . وقد تفسر جملة « إننا نقدم لك قرباً يشبهك » الواردة في دعاء عثر على نصه في (حرّان) قصة تقديم الأطفال الجميلة قرابين الى هذا الإلـه[4] .

وقد أشار كتاب يونان الى تعبد العرب الى الشمس والقمر وكوكب الصباح، وهي أجرام سماويـة تراها العين . ذاكرين أن العرب لا يتعبدون لآلهة روحيـة لا يبصرونها بأعينهم . ولهذا تعبدوا لهذه الأجرام المادية وللأحجار[5] .

---

١ Handbuch, I, S. 229.

٢ Handbuch, I, S. 231.

٣ Handbuch, I, S. 203, Nili Opera, Tomus, 79, 1865, in Migne, Patrologia, Series Graecaca.

٤ Handbuch, I, S. 231.

٥ المصدر نفسه .

وأما (مونيموس) Monimos ، فإنه (منعم) . و (منعم) من صفات الله في الإسلام . فالله هو (المنعم) المتفضل على عباده العزيز المقتدر .

وذهب بعض الباحثين الى أن الصنم (ذو الخلصة) المذكور في كتب أهل الأخبار ، والذي كان له بيت يدعى : (الكعبة اليمانية) ، ويقال له (الكعبة الشامية) أيضاً ، والذي هدم في الاسلام ، هو تعبير آخر عن الصنم (عشتر) ، أي الإلـه المكون مع القمر والشمس للثالوث[1] .

ويظن ان (ملك) اسم آخر من أسماء (عشتر) . وقد تسمى به رجل عرف بـ (عبد ملك) . كما ورد اسم (عبد ملكا) في النصوص النبطية والإرمية ، بمعنى (عبد الملك)[2] . ويرد اسم (ملك ال) (ملك ايل) كثيراً في الكتابات الثمودية . كما ورد في كتابة من الكتابات القتبانية (مختن ملكن)[3] . وقد ظن ان لفظة (ملك) تعني ملكاً ، أي رئيس حكومة ملكية ، فترجمت جملة (مختن ملكن) بـ (مختن الملك) ، أي ملك قتبان . غير ان هذه الترجمة وإن كانت ترجمة مقبولة ، إلا انها غير دقيقة . ولو ترجمت لفظة (ملكن) بمعنى (الملك) ، على انه اسم إلـه لكانت الترجمة أدق وأصح . فنحن نجد النص القتباني الذي وردت فيه جملة (مختن ملكن) يقول : « بنى الملك ورمّ معبد ودّ واثرت ومختن ملكن) ، أي « بنى الملك ورمّ معبد ود وأثرت ومختن الملك» ، ولو ترجمناها على هذه الصورة : « بنى الملك ورم معبد ود وأثرت ومعبد الإلـه الملك » ، كانت الترجمة أنسب وأقبل . ويجب ان نتذكر ان الله هو : الملك ، في الاسلام ، وان (عبد الملك) ، وهو من أسماء المسلمين كذلك يعني : عبد الله . وان (الملكوت) من الملك مختصة بملك الله . ورد في القرآن : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض »[4] .

ومن الممكن فهم الصلة بين لفظة (ملك) التي تعني إلـه ، وبين لفظة (ملك) المالك على الأرض ، أي الملك الدنيوي . فالإلـه مالك ، والملك مالك أيضاً ، مالك شعبه . ومن هنا فلا غرابة اذا ما رأينا عقيدة تقديس الملوك عند الشعوب

---

١ Handbuch, I, S. 232.
٢ Handbuch, I, S. 232
٣ Hommel, Aufs., S. 206.
٤ تاج العروس (١٨١/٧) ، (ملك) .

القديمة ، واعتبار بعضها ملوكها من نسل الآلهة . فالآلهة قوة خارقة، والملوك قوة مسيطرة مهيمنة ، تفعل في القديم ما تشاء بغير حساب ، وهي ألسنة الآلهة الناطقة على الأرض ، فلا بد وان تكون للآلهـــة اذن صلة بالملوك ، ولا بد وان يكون لملوك الأرض نسب وان تكون لهم قرابة بالآلهة . وقد فسر بعض الباحثين جملة: (ولد ود) ، التي نعت بها أحد ملوك قتبان ، تفسيراً بهذا المعنى ، تفسيراً يعبر عن اعتقاد القوم ، بأن ملوكهم هم من نسل الإلـه (ود)[1] . ولكني أرى اننا لو فسرنا لفظة (ولد) بالمعنى المجازي ، أي ولد الإلـه ود على سبيل المجاز ، بمعنى ان الإلـه منه بمنزلة الوالد من الولد ، في العطف والود ، فإن هذا التفسير يكون مقبولاً أكثر من تفسير الولد المتسلسل من صلب الإلـه ود .

الآلهة :

توصلنا من دراساتنا المتقدمة ، الى أن الآلهة كالبشر ذكوراً وأناثاً . وتوصلنا منها الى أن القمر ، هو مذكر عند جميع العرب على اختلاف لهجاتهم ، وأما (الشمس) ، فهي أنثى عندهم . وأما (النجم) ، الذي هو (عثتر)، فهو ولد ، عند العرب الجنوبيين . وعلى ذلك فنحن أمام ثالوث سمـــاوي يتألف من إلآهين ذكرين ومن إلاهة أنثى .

وقد عجزنا عن الإهتداء الى كيفية ظهور هذا الثالوث . أو العائلة الصغـــيرة المختارة المكونة من ذكرين وأنثى . لأننا لم نعثر على نص جاهلي أو غير جاهلي يتحدث عن كيفية ظهوره . وعجزنا عن التوصل الى علاقة أعضاء هذا الثالوث بعضهم ببعض ، وذلك لسبب مماثل ، هو عدم وجود نص لدينا يشرح لنا هذه العلاقة ! ولم نتمكن من العثور على أي مورد يشرح لنا كيفية ظهور هذه الآلهة، ولا سيما الإلـه (عثتر) الذي يعدّ ابناً للقمر وللشمس .

ولم نعثر ويا للأسف على نصوص جاهلية فيها بعض الشيء عن كيفية التقـــاء القمر بالشمس ، وفي كيفية طلوع (النجم) (عثتر) . فبينما نجـد في اللغات اليونانية والهندية واللاتينة تعابير عن التقاء الشمس بالقمر ، فيهـا معنى النكاح ،

---

١ Handbuch, I, S. 233.

نجد أنفسنا قد عجزنا عن الحصول على مثل هذه المصطلحات في النصوص الجاهلية، ولهذا لم نتمكن من تكوين رأي عن تصور الصلة التي كان يراها الجاهليون بين الشمس والقمر . وفي اليونانية والهندية وأساطير الشعوب الأخرى ، أن القمر اقترن بالشمس ، وتزوج بها ، وتغنت بذلك الزواج[1] .

وبالنظر لوجود الإلـه الذكر والإلهة الأنثى في نصوص المسند ، وفي مؤلفات أهل الأخبار ، فلا يستبعد احتمال مجيء يوم قد نعثر فيه على نصوص قد تتعرض الى اسطورة زواج القمر بالشمس . وفي عربيتنا لفظة (اقتران) نطلقها على اقتران الشمس بالقمر وعلى اقتران الكواكب بعضها ببعض ، وترد في كتب النجوم والأنواء . وفي هذه اللفظة معنى الازدواج .

إن هذه الأسطورة التي جعلت من الأجرام السماوية آلهة ، وحصرت الألوهية في ثلاثة أجرام منها في الغالب ثم زوجتها وأولدتها ، حولت هذا الزواج الى زواج حقيقي سماوي يشبه زواج الإنسان على سطح الأرض . زواج تكوّن من ذكر وأنثى ، من أب وأم ، انتج ولداً عند العرب الجنوبيين ، وولدين عند شعوب أخرى غير عربية هما كوكبا الصباح والمساء ، أو بناتاً هي الملائكة أو الجن عند فريق من الجاهليين .

ونجد الإلـه (القمر) يلعب دوراً كبيراً في الأساطير الدينية عند الجاهليين . دوراً يتناسب مع مقامه باعتباره رجلاً بعلاً أي زوجاً ، والزوج هو (البعل)، والرب والسيد وصاحب الكلمة على زوجه وأهله عند العرب . وهو القوي ذو الحق ، وعلى الزوجة حق الطاعة والخضوع له . وبناءً عل هذه النظرية جعل الإلـه القمر صاحب الحول والصول والقوة في عقيدة أهل الجاهلية في الأرباب . ومن هذا الإلـه القوي الجبار ، جاء (الله) بعد أن تحول الثالوث عند بعض الجاهليين الى (واحد) ، واستخلصوا منه عبادة (الله) .

وقد عرف القمر بـ (ثور) . ولعل ذلك بسبب قرنيه اللذين يذكران بالهلال . دُعي بهذه التسمية ، أي (ثور) في الكتابات[2] . وقد رمز الى الإلـه القمر بـ (ثور) عند شعوب سامية قديمة أخرى[3] .

---

١ Handbuch, I, S. 206. ff.

٢ Glaser 1546, Wiever Museum 5.

٣ Handbuch, I, S. 214, D. Nielsen, Altarabische Mondreligion, S. 110.

ونظراً لأن القمر هو الإلـه الذكر ، صار بمنزلة الأب . فدعي بـ (ابم) ، أي (أب) . ونعت بمحب ، فقيل له (ودم) (ود) ، لأنه يحب عبيده ويشفق عليهم . وهو (كهلن) ، أي القادر والقدير ، وهو (حكم) ، اي الحاكم والحكيم ، وهو (سمعم) ، اي السامع والسميع ، وهو (علم) ، اي العالم والعليم ، والبصير المبصر ، وهو (نهى) ، اي الناهي[1] ، وهو (صدق) الصادق الصديق المتعالي المنعم الكريم الى غير ذلك من نعوت عرف بها ورمز بها اليه في النصوص .

ويجب ان ننتبه الى ان الكتابات الجاهلية وكذلك أخبار أهل الأخبار ، قد نصّا على اسم الإلهة الشمس ، فدعوها باسمها ، اي الشمس . أما القمر ، فلا نجد لاسمه الخاص ذكراً يتناسب مع مقامه . نعم ذكر بـ (شهر) و (سين) في النصوص العربية الجنوبية . و (شهر) القمر في العربيات الجنوبية ، ولا زال الناس يسمونه بهذه التسمية في جنوبي جزيرة العرب . لكننا نجد أسماءه المأخوذة من النعوت ، اي من صفاته تطغى عليه . فهو (ود) في الغالب في النصوص المعينية . ويظن من لا علم عميق له بالعربيات الجنوبية ، انه اسم إلـه خاص ، بينما هو اسم من أسماء عديدة للإلـه القمر عند شعب معين ، وهو (المقه) ، اي المنير والنور عند السبئيين ، اي صفة للقمر . وهكذا قل عن باقي أسمائه ، فهي صفات له في الغالب ، لا اسم علم خاص به ، كما في حالة الشمس .

ونحن نجد هذه الظاهرة في روايات أهل الأخبار أيضاً . فبينما تنص أخبار أهل الأخبار على تعبد بعض العرب للشمس ، وعلى مخاطبتهم لها بـ (الإلاهة) وبـ (لاهة)[2] . وعلى تعبد بعضهم لزحل أو للمشتري أو لغيرهما من الأجرام السماوية كما تحدثت عن ذلك في موضع آخر ، لا نجد للقمر ذكراً في أخبار أهل الأخبار . فلم يشيروا الى اسمه ولا الى تعبد الجاهليين له ، حتى ليذهب الظن بعد تتبع جميع ما ورد في تلك الأخبار واستقصاءها استقصاءً تاماً ان الجاهليين لم يعرفوا عبادة القمر . والظاهر أن أهل الأخبار كانوا في جهل من عبادة الجاهليين للقمر، بسبب ما شاهدوه من تعبد أهل مكة وغيرهم وكذلك القبائل الى الأصنام وتقربهم

---

١ Handbuch, I. S. 215, D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriften, S. 15.

٢ ابن الاجدابي (٧٩) .

اليها ، وقولهم أنها تقربهم الى الله،وبسبب نص القرآن الكريم على تعبد الجاهليين وتقربهم للأصنام والأوثان . فذهبوا الى أنهم كانوا مجرد عبدة أوثان ولم يفطنوا الى أنهم اتخذوا الأصنام واسطة وشفيعة للآلهة التي هي أجرام سماوية في الأصل . أو لأن أهل الجاهلية القريبين من الإسلام ، كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الكواكب ولم يعودوا يذكرونها ذكر أجدادهم لها ، واختصروا عبادتها ، بأن جعلوا من الثالوث إلهاً واحداً ، هو (الله) . فتقربوا اليه ، وعكفوا يتقربون اليه بالتقرب الى الأصنام والأوثان . وذلك باتخاذهم إياها رموزاً مشخصة وممثلة للإلـه على الأرض . فكان لكلّ قبيلة صنم يقربهم في زعمهم الى الله .

واذا أردنا تلخيص ما توصلنا اليه عن آلهة العرب الجنوبيين ، قلنا انهم تعبدوا كما ذكرنا لثالوث سماوي تألّف من القمر والشمس ومن عثتر ، وهو الزهرة في رأي معظم الباحثين . وقد عرف القمر بـ (ود) عند المعينيين ، وبـ (المقه) عند السبئيين ، وبـ (عم) عند قتبان ، وبـ (سن) (سين) عند حضرموت، وبـ (ود) عند أوسان . وعرفت الشمس بـ (نكرح) عند المعينيين،وبـ (شمس) عند السبئيين ، وبـ (اثرت) (اثيرت) عند القتبانيين ، وبـ (شمس) عند أهل حضرموت وأوسان . وعرف (عثتر) بـ (عثتر) عند المعينيين والسبئيين وعند قتبان وأهل حضرموت والأوسانيين[1] .

وقد رمز الفن العربي الجنوبي الى هذا الثالوث السماوي المقدس برموز. فرمز الى القمر بهلال نحت او نقش على الأحجار والأخشاب والمعادن . والهلال ، يشير بالطبع الى مطلع القمر في أول الشهر القمري . كما اشير اليه برأس ثور ذي قرنين . أما الشمس ، فقد صورت قرصاً او دائرة ، او كتلة او هالة ، والقرص ، صورة طبيعية لقرص الشمس ، التي تظهر في السماء قرصاً وهاجاً يبعث الحرارة والنور . وأما الزهرة ، فرمز اليها بصورة نجمة في النقوش العربية الجنوبية وبثمانية خيوط اشعاعية في النصوص البابلية[2] . وهي ذكر وولد عند العرب الجنوبيين .

---

١ A. Jamme, La Religion Sudarabe Preislamique, in M. Brillant et R. Aigrain, Histoire des Religions, IV, Paris, 1956, 239-307, G. Ryckmans, Les Religions Arabes Preislamiques, Bibliothèque de Muséon, 26, Louvian 1951, 25-64, G. Ryckmans, De Maangod in de Voorislami.

٢ Handbuch, I. S. 201, Grohmann, Göttersymbole, S. 37-44, H. Primy, Altorientalische Symbolik, Berlin, 1915, S. 75, 76, 142.

وقد هدم الإسلام عبادة الكواكب ، وحرم السجود للشمس وللقمر ، والصلاة لهما ، وحاول اجتثاث كل ما له صلة بتلك العبـادة ، فلم يبق اليوم من العرب من يتعبد للثالوث السماوي المقدس . ولكننا لا نزال نرى بعض العـوام يغضبون إذا سبّ أحدهم الشمس أو القمر ، ويتقرب الأطفال الى الشمس بأسنانهم التي يخلعونها ، لتعطيهم أسنان غزال ، أي اسناناً جميلة بيضاء ، الى غير ذلك من أوابد يعرفها الأعراب .

وفي القرآن الكريم : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »[1] . « فله فاسجدوا وإياه فاعبدوا دونهما ، فإنه إن شاء طمس ضوءهما فتركـكم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلاً ولا تبصرون شيئاً »[2] . وقد خاطب الله قريشاً وغـيرهم بذلك ، مما يدل على أنهم كانوا يسجدون للشمس والقمر . ولعلهم كانوا يفعلون ذلك عند الشروق وعنـد الغروب . وقد ذكر (ابن كثير) في تفسيره الآية المذكورة ، ما يأتي : « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . أي ولا تشركوا به فما تنفعـكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به »[3] .

والسجود الخضوع ، ومنه سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ، والانحناء ، وسجد طأطأ رأسه . وكان النصارى يسجدون لأحبارهم ، أي سادتهم من رجال دينهم . و (المسجد) من الألفاظ المعروفة عند الجاهليين . وهـو البيت الذي يسجد فيه ، وكل موضع يتعبد فيه ، فهو مسجد[4] .

صفات الآلهة :

ومعظم أسماء الآلهة هو كما سبق ان ذكرت صفـات في الأصل ، استعملت

---

١ فصلت ، رقم ٤١ ، الآية ٣٧ .
٢ تفسير الطبري (٢٤/٧٧) .
٣ تفسير ابن كثير (٤/١٠٢) .
٤ قال حميد بن ثور :
فضـول أزمتهـا أسجـدت سجـود النصـارى لاحبارهـا
تاج العروس (٢/٣٧١) ، (سجد) .

استعمال الأسماء الأعلام . وهي كثيرة يتبين من دراستها ان الآلهة كالانسان ، تغضب وترضى ، تحب وتبغض ، قوية شديدة ، رؤوفة رحيمة شفيقة ، اذا رضيت عن انسان أسعدته في هذه الدنيا ، وإن غضبت عليه أهلكته، سميعة بصيرة حكيمة حليمة . باقية خالدة خلود الدهر ، بينما الانسان هالك .

ومن النعوت الواردة في نصوص المسند : (رحم) ، أي (رحيم) ، فالآلهة رحيمة بعبادها ، تغفر ذنوبهم وتصفح عن سيئاتهم ، وهي (حليمة) (حلم) ، سميعة (سمع) ، قديمة (كهلن) ، تحمي عبادها حماية الأب لأبنائه (احمى) ، ترضى عنهم رضاء الأب عن أولاده (اب رضو) . شفيقة بهم شفقة الأب بأبنائه (اب شفق) ، وتهتم بهم (اب شعر) ، وهي فخورة (ايل فخر) (الفخر) ، عالية سيدة العالم (ال تعلى) (ايل تعلى) ، (ايل تعالى) ، و (بعل) (بعلت)[1] .

ومن الصفات والنعوت التي أطلقتها النصوص الثمودية على الآلهة : (عم) ، بمعنى رحيم ورؤوف . و (سمع) ، بمعنى (سميع) ، و (رم بمعنى العظيم، و (الرامي) ، والكبير . و (ابتر) (أبتر) بالمعنى المفهوم من اللفظة في عربيتنا ، اي ، ليس له ولد[2] . ولهذه الصفة أهمية كبيرة بالنسبة لدارس الحياة الدينية وتطور فكرة الألوهية عند الجاهليين ، لأنها تشير الى ان صاحب النص الذي خاطب إلهه بقوله : (ه الهه ابتر) ، (ها إلّه ابتر) ، بمعنى (فيا الله الأبتر) ، اي الإلّه الذي لم يلد ولا ولد له ، كان يعتقد ان إلهه لم يلد أحداً ، فهو فرد واحد أحد . وقد وردت لفظة (ابتر) في نص ختم بهذه الجملة : (ه الهه ابتر بك سر لن)[3] ، اي : (فيا إلاه أبتر بك سرور لنا) . او بتعبير أوضح : (فيا إلهي أو إلاهنا الذي ليس له ولد . بك نسرّ) ، أو (فيا إلهنا أبتر بك سرور لنا) ، أو (أنت سرور لنا) .

والآلهة تساعد الناس وتعاونهم وتغيثهم . هذا نص ثمودي كتبه رجل من قوم ثمود ، توسل فيه الى إلهه أن يرسل المسرات (ميسر) ، الى من نزلت بهم

---

١ Arabien, 246.

٢ Hu 475, JSA 302, 305, 306, H. Grimme, S. 66.

٣ السطر الرابع من النص المذكور .

الدواهي من الناس . وان يعاون العاملين . (ذ اتا يعمل)[1] . وهذا نص آخر، كتبه شخص آخر ، وجهه الى الإلـه (رضو) ، يقول فيـه : (ه رضو ات عون عمل)[2] ، أي (يا رضو امنح العون لمـن يعمل) ، أو (يا إلهي رضو العون للعامل) .

والآلهة ضياء للناس ، تضيء لهم سواء السبيل ، تمنحهم نعمة الرؤية وترشدهم الى النور . هذا نص يقول : (الى ن ا م ت ض ي ل ن)[3] . فهـو يطلب من الإلـه أو من المعبد ، أن يضيء لكاتبي النص السبيل ، وأن ينقـذهم من الغفوة التي أصيبوا بها ، ليتجلى لهم الحق . وفي نص آخر: « بك ري نور تمت حيت»[4]، ومعناه « بك رأينا النور . وتمت الحياة » ، أو « بك نور . ضياء .. حياة»، أو ما شابه ذلك . فالإلـه هو نور لهذه الحياة ، وضياء للناس .

والله عالم بكل شيء ، ذو المعرفة والعلم . وقـد وردت صفة (ه ع ر ف) (ها عارف) (ها عرف) أي العارف في نص وسم بـ JSA 568[5] . وفي نص آخر ، وسم بـ Hu 626[6] . وهو العالم المحيط بكل شيء ، وقـد عبر عن هذه الصفة بلفظة (حصي) ، و (أحصى) بمعنى أحاط وأحصى كـل شيء عدداً[7] ، فالله محيط بكل شيء عالم لا يخفى على علمه شيء .

ووصفت الآلهة في النصوص الثمودية بأوصاف أخري ، مثـل (عبر) بمعنى (القدير) والقوي والمعتبر ، و (ذ عبر) ، (ذو عـبر) بمعنى ذو الحول والطول ، وذو القوة والقدرة . و (ذبر) ، وهي بهذا المعنى أيضاً[8] . وهـو (العوذ) ، (عوذ) ، والملجأ لكل إنسان[9] . وهو (العلي) ، وقد وردت جملة (عل رضو)، بمعنى (أعل رضو) ، وهي جملة تذكرنا بقول (أبو سفيان)

---

١ Hu 643/6, JSA 409, 504, Grimme, S. 33-34.
٢ Hu 643/6, Grimme 33.
٣ Grimme, S. 35, 41.
٤ Grimme, S. 41.
٥ Grimme, S. 37.
٦ Grimme, S. 42.
٧ تاج العروس (١٠/٩١) .
٨ Grimme, S. 44.
٩ Grimme, S. 44.

يوم معركة (أُحد): « اعلُ هبل ، اعلُ هبل » [1] . وإني أرجح أن لفظة (عل) في هذا النص ، تعني (على) ، أي حرف جر ، فيكون المعنى (على رضو الملجأ) ، و (على رضو المعولّ) .

ولم أعثر في النصوص الجاهلية على نعت يشير الى استخفاف أو حطة بالآلهة . فلم أجد إلهاً نعت فيها باللؤم أو بالسرقة ، أو بالاعتداء على الأعراض ، أو رمي بالحسد ، حسد النـاس أو حسد أمثاله من الأرباب ، كما لم أجد ما نجـده في الأساطير اليونانية من وجود فروق بين الآلهة ، وتباين بينها في المنزلة والمكانة ، بحيث نجد آلهة كبيرة غنية ، وآلهة ضعيفة فقيرة تحسد الأولى وتنقم عليها ، وآلهة تسرق وتنهب لحاجتها الى المال ولفقرها ، ولم أجد فيها التخصص الذي نجده في الآلهة اليونانية ، من وجود آلهة للبحار ، وآلهة للهواء ، وآلهة للحب ، وآلهة للخمر ، ونحو ذلك . وكل ما نجده عندهم ، هو وجود آلهة شعوب وقبائل، مثل ود إلـه شعب معين ، والمقه إلـه شعب سبأ ، وهبـل إلـه قريش ، وهكـذا نشأت من الظروف المحلية التي عاش فيها الجاهليون .

ولا أستبعد وجود (ميثولوجيا) أي أساطير عند الجاهليين ، تدور حول آلهتهم، فقد تحدثت عن رأي بعضهم في (الشعرى) ، ولكني أستبعد وجود أساطير دينية معقدة عندهم على شاكلة الأساطير اليونانية ، أو الأساطير المصرية أو الهندية ، لما بين الظروف المحيطة بالجاهليين وبين الشعوب المذكورة من فروق . والأساطير هي من حاصل المجتمع والظروف المتحكمة في الانسان .

وإذا وجدنا آلهة أهل الجاهلية على هذا النحو من الصفات المذكورة ، حساسة ذات حسّ مرهف ، تنفعل بسرعـة ، تغضب وترضى ، فيجب أن نعرف أن هذه الصفات ، تمثل خلق من أطلقها على أربابه ، فأرباب الناس من صنعهم ، هو الذي أوجد تلك الأصنام وسوّاها ، فما دام هو موجدها ، فلن تكون آلهتـه إلا على شاكلته ، إنها صورة صادقة له .

الثواب والعقاب :

وما يفعله الانسان من خير أو شر ، سيكون ثوابه وجزاؤه في هذه الدنيا .

---

١ Grimme, S. 44.

والآلهة ، هي التي تثيب وتعاقب . تثيب المتقي المتعبد لهـا المتقرب اليها بالنذور وبالبر بمعابدها ، فتعطيه مالاً وتبارك له في نفسه وفي أهله ، وتعطيه ذرية صالحة ذكوراً . وتنجيه من البلايا والآفات ومن الأوبئة والأمراض ، وترجعه سالماً معافى من الحروب ، تشفي جروحه اذا جرح ، وتغدق عليه بالنعم من غنائم الحرب . فهذا هو الثواب . ثواب في الدنيا وكفى .

أما العقوبة ، ففي الدنيا وحدها أيضاً ، وتكون بإنزال البلاء بمن يستحقه من الخارجين على أوامر الآلهة ، المتجاسرين على حرمة المعابد ، المارقين على النظام، المخالفين لسلوك المجتمع ، المتجاوزين على حقوق غيرهم . ومن البلاء الأمراض، من عمى وعور ، واصابة عضو من أعضاء الجسم بعطب ، والأوبئة . ونجد في النصوص توسلات الى الآلهة بأن تصيب من يغير النصوص المدونة الموضوعة شواخص على القبور ، ومن يتطاول على حرمة المقابر ، أو يدفن غريباً فيها بغير اذن ، بالعمى والعور ، لتجاوزه على حرمة القبور . وكان في روع أهل مكة وما حولها ان من يعرض للسائبة ، أو لحرمات الله ، أصابته عقوبة في الدنيا[1] . وعقوبات الدنيا أشد تخويفاً للأعرابي ، وأكثر وقعاً في نفسه من العقوبات المؤجلة في العالم الثاني ، ثم إن معظم أهل الجاهلية لا يؤمنون باليوم الثاني،ولا بحشر وبعث ونشر.

ولولا الثواب والخوف من العقاب في هذه الدنيا ، لما تقدم انسان وهو فقير بائس ، بأعز ما عنده الى آلهته ، على فقره وجوعه ، ليقدمه قربة اليه ، وهو في أشد الحاجة له ، ولما بنى الناس المعابد ، وتقدموا اليها بالهدايا والنذور، ولما ذكر رجل آلهته وتبرك باسمها ، ووضع ملكه في حمايتها ورعايتهـا ، ولعمّت الفوضى المجتمع ، وأكل بعضهم بعضاً ، ونهبوا المال . والخوف من العقوبة في هـذه الدنيا ، ساعد بالطبع كثيراً في ردع الأشرار عن غيهم ، وفي منعهم من الاعتداء على الحرمات ، كما ان الإثابة في هذه الدنيا حملتهم على عمل الخير، وعلى التقرب الى المعابد والعمل بأوامر رجال الدين ، لتحقيق رضى الآلهة ، وفي نيل رضاها كسب مادي وربح ملموس أكيد في هذه الحياة .

ولولا الأمل في الرضى والثواب ، والخوف من الآلهة ، لما جعل الناس أنفسهم عبيداً الى الآلهة . فسمّوا أنفسهم (عبد ود) و (امت العزى) (أمة العزى)،

---

١ تفسير الطبري (٥٩/٧) ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٦) .

و (عبد يغوث) ، و (عبد مناة) ، وما شابه ذلك من أسماء دُعي أصحابها بها ، أملاً في العمر الطويل ، وفي التهرب من الموت . فقد كان الآباء والأمهات ينذرون نذراً ، انه ان ولد لهم مولود ، أخدموه إلهاً من الآلهة ، ودعوه عبداً له حتى يعيش . يفعل هذا الفعل من لا يعيش له مولود ، ومن يولد له مولود لكنه لا يعمر طويلاً ، بل يموت طفلاً أو في مقتبل العمر . فأمل الانسان في ان يضع الإلـه حمايته ورعايته للمولود ، دفعه على ركوب هذا المركب، لاقناع الآلهة بدفع الموت عن أبنائهم وحمايتهم منه .

ولدينا نصوص جاهلية عديدة ، تخبر عن تلبية الآلهة توسلات المتعبدين لها ، ووفائها لهم بما طلبوه منها . ففي نص ثمودي يخاطب انسان ربه (منف) (مناف) بقولـه : (سمعت منف)[1] ، أي (سمعت ندائي يا منـــاف) ، أي استجبت لندائي ، فوفيت لي يا إلهي مناف . وقد دوّنه حمداً له وشكـراً واعترافاً بفضله عليه . وفي نص آخر،يخبر صاحبه انه برىء. وان ربه شفاه مما ألم به من مرض . فيقول (برات) ، أي (برأت)[2] ، و (برتن)[3] ، و (برتتن)[4] . وفي نص آخر يشكر انسان ربه (صلم)[5] . ولم يرد في النص السبب الذي حمل صاحب النص على شكر إلهه (صلما) ، لكننا نستطيع ان نحزر ، فنقول انـه طلب منه شيئاً ، فصار على نحو ما أراد فشكر إلهه لذلك . وفي نص آخـــر ، توسل من شخص الى إلهه (صلم) لكي يعينه في الفاجعة التي فجع بها[6] . وفي نص آخر، توسل الى إلهه لأن يمنحه : (خلود) ، أي الخلود ، بمعنى طول العمر[7] .

ومن التوسلات الجميلة التي وجههـــا الثموديون الى آلهتهم ، قول أحدهم : (بالهى امت) ، (بـ الهى اموت)[8] ، (بإلهي أموت) ، أو (في حب إلهي أموت) ، أو (في إلهي أفنى) . فهو يخاطب ربـــه . وقد ملأ قلبـــه العشق نحوه . العشق الإلهي الذي نقرأه في كتب المتصوفة، ونسمعه في تغاريدهم يخاطبون

---

١ Hu. 421, Eu. 775, Hu 505/37, H. Grimme, S. 58.
٢ Hu. 504/34.
٣ Hu. 497.
٤ JSA 503.
٥ « صلم شكر » ، JSA 17.
٦ Grimme, S. 34, 40.
٧ Grimme, S. 35, 41.
٨ Hu 255/20, Eu 250, Grimme, S. 66.

بها الله . ونجد هذا الحب الإلهي والهروب الى الله في نص ثمودي آخر، هذا نصه: (بم مرر . ب ل ه ى جرت . ب ل ه ى ام ت لبب ذ ه غ ث ت)[1] . أي (من مرّ . بإلهي استجرتُ . بإلهي أموت . اعطني لبك . يا مغيث) ، وبعبارة أوضح : (من مرّ) و (مر) اسم صاحب النص ، فهو يوجه نداءه الى ربه (استجرتُ بإلهي . وبإلهي أموت . اسمع ندائي يا من يغيث) ، أو (يا مغيث) . ففي هذه التوسلات وأمثالها رقة الشعور الديني ، والحس المرهف الذي يكون عند كبار المتصوفة في مناجاتهم الله .

التطاول على الأرباب :

وفي روع أهل الجاهلية ان من سب الأرباب أو تطاول في كلامه عليها، نزلت به قارعة . فلما أسلم (ضمام بن ثعلبة) السعدي أو التميمي ، وقدم على قومه ، (فكان أول ما تكلم به ، ان قال : بئست اللات والعزى . قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجـذام ، اتق الجنون . قال : انهما والله مـا يضران ولا ينفعان)[2] . ولمّا تحرش الرسول بالأصنام خوّفه المشركون من ان يصاب بسوء ، والى تخويفهم هذا أشير في القوآن الكريم : « ويخوّفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله ، فما له من هاد »[3] . يعني « ويخوّفونك (هؤلاء المشركون) يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها وعيبك لها ، والله كافيك ذلك »[4] . و « كانت زنيرة روميّة، فأسلمت فذهب بصرها ، فقال المشركون : أعمتها اللات والعـزى » ، « وقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى »[5] .

---

١ Hu 518/27, Grimme, S. 67.
٢ الاستيعاب (٢٠٨/٢) ، (حاشية على الاصابة) ،
٣ الزمر ، ٢٩ ، الآية ٣٦ .
٤ تفسير الطبري (٥/٢٤) ، تفسير القرطبي (٢٥٨/١٥) .
٥ الاصابة (٣٠٥/٤) ، (رقم ٤٦٥) .

الفصل السابع والستون

التقرب الى الالهة

وكما تقوم الصداقة بين النـــاس على أساس الود والتقرب والاتصال والتذكر بتقديم الهدايا والألطاف ونفائس الأشياء ، كذلك تقوم الصلة بين الانسان وآلهتـــه على أساس من الود والصداقة أيضاً . وإذ كانت الآلهة أقدر من الانسان ، كان من اللازم على البشر التودد اليها بشتى الطرق المعبرة عن معاني التقرب والتحبب والتعظيم ، لتتذكره ، فتمنّ عليه بالبركة والسعد وبخير ما يشتهيه ويرغب فيه .

والبشر عبيد لآلهتهم ، فعليهم ان يؤدوا لها ما يجب أن يؤديه العبـد لسيده . إن على العبد واجبات وفروضاً يجب ان يؤديهـــا لصاحبه ومالكه ، وعلى الانسان كائناً ما كان ان يقوم بأداء ما فرض عليه لآلهته وأربابه في اوقات مكتوبـة وفي المناسبات .

ولما كانت عقلية الانسان القديم وعقلية كل بدائي تقوم على فهم الإدراك الحسي في الدرجة الأولى ، كان للهدايا وللنذور والقرابين والشعائر العملية المقام الأول في دياناته ، لأنها ناحية ملموسة تراها الأعين وتدركها الأبصار ، وفيها تضحية تقنع المتدين التقي المتقرب بها الى آلهته بأنه قد قدّم شيئاً ثميناً لها ، وانها لذلك سترضى عنه حتماً ، لأنه قد آثرها على نفسه فقدم اليها أعز الأشياء وأغلاها . انها سترضى عنه ، لأنه لم ينسها ، ولم يغفل عنها ، ولم يفتر حبه لها . وسترضى عنـــه كلما تذكرها وقام بأداء هذه الواجبات المفروضة أو المستحبة لها ، كما يرضى الصديق عن صديقه أو السيد عن عبده ، بإظهار الاخلاص وبالحرص على أداء الأعمال المرضية .

والدين عقيدة ، أي (ايمان) Belief وعمل . والعمل أبين وأظهر وأقوى في الديانات القديمة من الايمان ، بسبب ان الايمـــان بالقلب ، وهو لا يكون إلا بين المرء وربه ، ولا يمكن لأحد الاطلاع عـــلى كنهه . أما العمل فهو تجسيد للايمان وتعبير عنه بصورة عملية واقعية . وهو الناحية المحسوسة الظاهرة للتدين . ولا يفهم البدائي من الدين إلا مظاهره ، التي ترتكز عـــلى تضحية وبذل مادي لارضاء الآلهة ، فعنده انه متى بذل أعز ما يملكه في سبيل آلهته عدّ مؤمناً تقياً ، ترضى عنه الآلهة ، وألسنتها الناطقة بلسانها على الأرض : طبقـــة رجال الدين . ولهذا رأى بعض العلماء ، انه لدراسة دين من الأديان القديمة يجب الاهتمام بشعائره وبالأحكام التي فرضها على أتباعه ، لأنها هي أساس ذلك الدين وجوهره[1] .

لقد كانت ديانات الجاهليين ذات حدود ضيقة ، آلهتها آلهة محلية ، فالإلـه إما إلـه قبيلة وإما إلـه موضع . وطبيعي ان تكون صلة الانسان بإلهه متأثرة بدرجـــة تفكير ذلك الانسان وبالشكل العام للمجتمع . والإلـه في نظرهم هو حامي القبيلة وحامي الموضع ، وهو المدافع عنها وعنه في ايام السلم وفي ايام الحرب ، ما دام الشعب مطيعاً له منفذاً لأوامره وأحكامـــه وللشعائر المرسومة التي يعرفها ويقررها ويقوم بتنفيذها رجال الدين .

ويكون ارضاء الآلهة بالتقرب اليها وبتنفيذ أوامرها التي تعينها وتثبتها خاصتها المختصة بين القبيلة او الشعب ، أعني كهّانها ورجال الدين الذين يعرفون اوامرها وأحكامها خير معرفة ، وهم الذين يفسرونها ويأمرون بتنفيذها بين الناس . وقد يكون هذا التنفيذ في ايام او أشهر ثابتة معينة تكون لهـا قدسية وحرمة خاصة ، وقد يكون في مواسم . يرى الناس ان آلهتهم تكون في تلك الأوقات حاضرة متهيئة قريبة منهم تسمع شكاواهم وما عندهم من مطالب . ويكون هـذا التنفيذ بصور مختلفة أهمها زيارة المعابد والتبرك بأصنامها ، وتقديم النذور لها ، وايقاف الحبوس عليها ، والحج اليها في الأوقات المفروضة وفي كل وقت آخـــر ممكن ، وأداء الصدقات والزكاة ، تزكية للمال ، وتطهيراً للنفس من الذنوب .

ومن اهم ما تقرب به الانسان الى آلهته (النذور) و (القرابين) و (المنح) ، اي الصدقات والعطايا . وتدخل (الذبائح) في باب النـــذور والقرابين كذلك .

---

١ Robertson, p. 16.

ويجب ان اضيف (القرى) اي الضيافة عليها أيضاً ، لما لها من صبغة أخلاقية دينيـة ، حتى صارت الضيافة من الواجبات المثبتـة في نظام (مكة) . وهي (الرفادة) أي تقديم الطعام لمن يحتاج اليه .

والمنحة عند العرب ان يعطي الرجل صاحبه المال هبة أو صلة فيكون له ، او ان يمنح الرجل أخاه ناقة او شاة يحلبها زماناً واياماً ثم يردّها . وقد تقـع على الأرض،وهي ان يعطي الرجل غيره أرضاً ليزرعها ويستفيد منها،هبة او عارية[1] . ويظهر من الاشارة اليها في الحديث ، انها كانت من أعمال البر المعروفة عند أهل الجاهلية ، وكانوا يتقربون بها الى آلهتهم .

ولم تحدد الوثنية الأشياء التي كان على الانسان ان يتقدم بها الى آلهته قربة اليها او وفاءً لنذر ، بل تركت له الأبواب مفتوحة ، فله ان يتقرب الى أربابه بكل ما يختار ويشاء ، من امور بسيطة رخيصة الى أشياء ثمينة غالية ، كـل حسب مقدوره وقابلياته . فنجد بين النذور مباخر وتماثيل ومصابيح ، واشياء نفيسة من ذهب او من جواهر . كـما كانوا يتبركون بوضع حصونهم وبيوتهم وبساتينهم ومزارعهم في حراسة الآلهة ورعايتها ، لتحفظها ولتحفظ أصحابها .

ويمكن تقسيم ما تقدم به الجاهليون الى أربابهم الى قسمين : قسم إجباري ، يجب الوفاء به بسبب (نذر) مثلاً ؛ وقسم تطوعي ، اي اختياري مثل (المنح) والذبائح التي تقدم في المواسم وفي سائر الأيام ، ويقال لها (ندب) و (ندبت) (ندبة) . و (المندوب) في عربيتنا المستحب[2] . وأدخل في القسم الأول ما يقال له (خطت) (خطات) (خطأة) ، اي (الخطيئة)[3] . ويراد بها تقديم (فدية) عن عمل مخالف قام به انسان ، مثل تقديم ذبيحة بسبب دخول انسان نجس في المعبد .

واذا كنا في شيء من الجهل بالنسبة الى الزكاة التي كان الناس يدفعونها في نجد او العربية الشرقية او في الحجاز الى المعابد والى رجال الدين ، لعدم وجود نصوص جاهلية تكشف النقاب عنها ، فإن لنا بعض المعرفة عن الزكاة التي كان

---

١ تاج العروس (٢/٢٣٢) ، (منح) .
٢ تاج العروس (١/٤٨١) ، (ندب) .
٣ Ancient Israel, 418-421, 425, 429.

يقدمها اهل العربية الجنوبية الى معابدهم ، ظفرنا بها في الكتابات التي عثر عليها هناك ، وقد وردت فيها اشارات اليها في نصوص تعرضت لها بالمناسبات .

وهذه الزكاة حصص عينية مقررة تدفع الى المعبد على شاكلة الحصص التي تدفع الى أصحاب الأرض والحكومة ، تخزن في مخازن المعابد ، لتصدّر الى الخارج ، او لتباع في الأسواق ، او ليصرف منها على المعابد ورجال الدين والمحتاجين . فكان القتبانيون مثلاً يدفعون عُشر حاصلهم الى المعبد ، ويعرف ذلك عندهم بـ (عصم)[1] ، تدفع هذه الضريبة عن حاصلات الأرض ، وذلك في كل سنة . وقد عرفت هذه الضريبة بـ (عشر) عند المعينيين . وهي ضريبة تدفع ايضاً عن الحيوان الى المعبد . وهذه الضريبة هي في الواقع من الضرائب العامة التي كانت تدفعها أمم اخرى عديدة الى المعابد ، وتستند الى تقاليد تأريخية قديمة ، والى نظرية ان الأرض هي ملك للآلهة ، فهي التي تنعم على الانسان بالحاصل وبالخير وبالبركات ، فعلى الانسان تخصيص جزء من حاصله لتلك الآلهة . فإذا قصّر انسان في أداء ما عليه الى الآلهة ، تعرّض للعقاب والحرمان الآلهة اياه من البركة والخصب[2] .

ويتبين من نصوص المسند انه كانت في العربية الجنوبية أرضون واسعة مسماة بأسماء الآلهة ، أجّرتها المعابد للرؤساء او سلّمتها الى ايدي (الكبراء) لاستغلالها في مقابل أجر يدفعونه الى المعبد يتفق عليه . وهذه الأرضون هي أوقاف حبست على الآلهة تعرف بـ (وتفم) (وتف)[3] . ومن غلات هذه الأوقاف ومن (العصم) والنذور والهبات الأخرى ينفق على المعابد وعلى رجال الدين .

وقد ظهر في العربية الجنوبية نظام اقطاعي (كهنوتي) ، أسياده رجال الدين ، تولوا الإشراف على ادارة أملاك المعبد الواسعة وعلى استغلالها وادارة شؤونها ، وجباية الأرضين التي يوقفها المؤمنون أصحابها على الآلهة ، وعلى استحصال حقوق المعبد من المتمكنين . وقد أشير في كتابات المسند الى ارضين واسعة كانت اوقافاً للمعابد ، أجّرت الى سادات القبائل لاستغلالها في مقابل أجر اتفق عليه . ويظهر ان بعض اولئك السادات كانوا أقوياء وأصحاب نفوذ فاستولوا على (الحبوس)

---

١ السطر الثالث من النص الموسوم بـ : Kataba. Texte, I, Glaser 1601

٢ Hastings, p. 940.

٣ Katab. Texte, II, S. 30.

استيلاءً في مقابل اجور زهيدة كانوا يدفعونها للمعبد ، ولما لم يكن في وسع المعبد فعل شيء تجاههم ، اضطر الى قبول الأجر الزهيد الرمزي الدال على تملك المعبد للارض . أما السادات فكانوا يؤجرون الأرض لأتباعهم بأجور عالية ، ويربحون من ذلك أرباحاً كبيرة .

وعثر المنقبون على وثائق في خرائب بعض المعابد ، تبين منها انها كانت نصوص عقود ايجار واستئجار لأملاك المعبد ، اي للأوقاف المحبوسة على أرباب المعبد . وقد ذكر المستأجرون فيها الشروط التي اتفقوا عليها مع المعبد في مقابل استغلال الوقف . واذا كان المستأجر غير متمكن من أداء ما عليه للمعبد في مقابل استغلال الأرض ، فإن من حقه الاستدانة من غيره او الاتفاق معه على المساهمة معه في الاستغلال والاستثمار على شرط أخذ موافقة رجال المعبد على ذلك،وإدخال اسم الشخص الثاني في العقد ، كي يكون مسؤولاً شرعاً عن تنفيذ شروط العقد في حالة عدم تمكن زميله من ذلك[1] .

وقد اقتضى تضخم املاك المعابد خلق جهاز خاص لادارة الأملاك والأوقاف والاشراف على استحصال (الأعشار) عن الدخل وتركات الارث والمشتريات الى جانب النذور والقرابين وتوقيع العقد . جهاز رأسه كبار رجال الدين ، الذين يمثلون الآلهة على الأرض،وقاعدته صغار رجال الدين ومن عهد اليهم أمر الادارة من غير رجال الدين . فصار للمعبد بذلك نفوذ كبير في اقتصاد العربية الجنوبية في ذلك الوقت .

وفي المعابد مواضع يرمي الزوار فيها ما يجودون به على المعبد ، تكون أمام الأصنام في الغالب . وهي خزائن تتجمع فيها النذور والهبات ، فيأخذها السدنة . وأغلب ما يرمى فيها الحلي والمصوغات المصاغة من الذهب والفضة ، والأشياء النفيسة الأخرى . كما كانوا يعلقون السيوف والألبسة الثمينة على الأصنام وعلى الأشجار المقدسة تقرباً اليها ، ووفاء بنذور نذروها لها .

ولم يبخل الجاهليون على أصنامهم،فقدموا لها حتى المأكل والمشرب، لاعتقادهم انها تسرّ بذلك وتفرح . فقد علقوا على (ذي الخلصة) ، وهو صنم نصبه

---

١ Die Bodenwirtschaft, S. 22, A. Steinwenter, Beiträge Zum Offentlichen, 1915.

(عمرو بن لحيّ) ، القـلائد وبيض النعام ، والبرد النفيسة ، وقدموا له الحنطة والشعير ، بل واللبن أيضاً ، ليشرب منه ، وذبحوا له[1] . فهم يعتقدون أن في الصنم روحاً ، وان في مقدوره التلذذ بهذه النذور . وكان في روعهم أنه يشرب من ذلك اللبن .

وقد أشير الى الهبات التي تقدم الى المعابد والآلهة بكلمة (وهبم) في النصوص القتبانية . بمعنى (وهبٌ) و (هبات) . ووردت كلمات أخرى تؤدي هـذا المعنى أيضاً . منها : (ودم) ، و (شفتم) ، و (بنتم)[2] . وتقابل هـذه ما يقال له : (منحة) و (المنحة) عند العرب الشماليين .

وفي جملة ما يدخل في هذا الباب (بكرت) ، أو (الباكورة) أول كل شيء . مثل الثمر وأول مولود بالنسبة للحيوان ، حيث يهدى للآلهة . وقد كان معروفاً عند العبرانيين وعند غيرهم من الساميين . وذلك أن يجعل صاحب المـال ثمرة أول زرعه أو حيـوانه نذراً لآلهته[3] . وقد أشير الى هـذا النذر أو الهبة في نصوص المسند . ومن (الباكورة) العقيقة التي تحدثت عنهـا في موضع آخر من هذا الكتاب .

وتلعب النذور دوراً خطيراً في الحياة الدينية عند الجاهليين ، حتى صارت عندهم بمثابـة المظهر الأول والوحيد للدين . فالعامـة لا تكاد تفهـم من الدين إلا تقديم النذور للآلهة ، لتجيب لها طلباتها وتنعم عليها بنعمائهـا . والنذور هي وعد على شرط . يتوسل الناذر الى آلهته بأنها ان أجابت طلباً عينه ، وحققت مطلبـاً نواه ، فعليه كذا نذر ، يعينه ويذكره . فهنا عقد ووعد بين طرفين في مقابل تنفيذ شرط أو شروط ، أحد طرفيه السائـل صاحب النذر ، أما الطرف الثاني فهو الإلـه او الآلهة . وأما الشرط ، فهو تنفيذ المطالب التي يريدها الناذر . وأما النذر ، فهو أشياء مختلفة ، قد تكون ذبيحة ، وقد تكون جملة ذبائح ، وقد تكون نقوداً ، وقد تكون فاكهة أو زرعاً ، وقد تكون أرضاً،وقد تكون تمثالاً ، وقد تكون حبساً لانسان يهب نفسه او مملوكه او ابنه لإلهه او لآلهته ، وقد يوهب

---

١ الازرقي ، أخبار مكة (٧٨) ، (لايبزك) .

٢ N. Rhodokanakis, Katab Texte, I, S. 18, 26.

٣ في العبرانية « بكوريم » ، Ancient Israel, 380, 404, 493.

ما في بطن المرأة او ما في بطن الحيوان ، وقد يكون النذر حيوانات حية . وهكذا نجد مادة النذر كثيرة مختلفة متباينة بتباين النذر والأشخاص[1] .

ولا يشترط في وفاء النذر ان يكون عيناً اي مادة ، إذ يجوز ان يكون امراً معنوياً ، كأن يذكر الناذر في نذره انه إن اجاب الإلـه الفلاني طلبه وبارك له ومنحه طفلاً ، يخدمه له او يسميه عبده ، اي عبد ذلك الإلـه الذي نذر له . وكثير من الأسماء المبتدأة بـ (عبد) يليها اسم (صنم) ، هي من هذا القبيل، دُعي اصحابها بها ليحمي من سمّي به صاحب ذلك الاسم في مقابل تلك التسمية . ومن هذا القبيل عبد مناف وعبد مناة[2] .

ومن هذا القبيل ايضاً نذر المواهب ، كأن ينذر شخص مواهبه لصنم او لمعبد، بأن يتعهد ان يقوم بترنيم التراتيل الدينية في الأعياد او في اوقات الصلوات والمناسبات في ذلك المعبد ، او يقوم فيه بأعمال فنية مثل رسم منظر ديني او تزيين معبد الإلـه ، والنذر بالصيام وبغير ذلك[3] .

ويعبر عن الابن الذي ينذره أبوه أو أمه بأن يجعله خادماً للمعبد أو للصنم أو للكنيسة ذكراً كان أم أنثى (النذيرة) . وذلك لأنه حبس على خدمة الإلـه أو الصنم أو المعبد وتفرغ ، فلا يخدم أحداً سواها[4] . وفي التنزيل : « إني نذرت لكَ ما في بطني محرراً »[5] .

ويقال للنذر (النَّحْب) ، وهو ما ينذره الإنسان على نفسه فيجعله نحباً واجباً. وقيل : إنما قيل للنذر نذراً ، لأنه ينذر فيه ، أي أوجب على النفس[6] . ووردت لفظة (نذر) (نذرم) (نذرن) في نصوص المسند ، بمعنى (نذر) و(نذور).

---

١ تفسير الطبري (٣/٩١ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٥٤) **القاموس (٢/ ١٢٠)** ، Ency. Brita., Vol., 25, p. 200, Reste, S. 112, Ency. Religi., 12, p. 644.

٢ الروض الانف (١/٦) .

٣ تفسير الطبري (٥/٥٨٠ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، تفسير البيضاوي (٦/١٥٤) ، القرطبي ، الجامع (١١/٩٧ وما بعدها) ، الطبرسي (٢/٣٤٥) .

٤ اللسان (٥/٢٠٠) ، (نذر) ، تاج العروس (٣/٥٦١) ، (نذر) .

٥ آل عمران ، الآية ٣٥ ، تفسير الطبري (٣/١٥٧ وما بعدها) ، القرطبي ، (٤/٦٥ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٣/٢٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (١/٣٥٨ وما بعدها) روح المعاني (١/٥٦١) .

٦ اللسان (٥/٢٠٠) ، تاج العروس (٣/٥٦١) .

ومن هذه النذور (الربيط) . فقد كان الجاهليون ينذرون أنهم إذا عاش لهم مولود جعلوه خادماً للبيت ، أي لبيت الصنم . ومن هنا لقب (الغوث بن مرّ) بالربيط « لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هـذا لتربطن برأسه صوفة ، ولتجعلنه ربيط الكعبة ، فعاش ففعلت وجعلته خادماً للبيت حتى بلغ الحلم ، فنزعته فلقب الربيط »[1] .

ويظهر من بعض الروايات أنهم كانوا يربطون الربيط بالبيت . فقـد ذكروا أن أم (الغوث) لما « ربطته عند البيت أصابه الحرّ ، فمرت به ، وقد سقط وذوى واسترخى »[2] ، فيظهر أنهم كانوا يربطونه برباط بالموضع المقدس، ليكون على اتصال تام به ، كما يفعل الناس اليوم من ربط مرضاهم ومن لا يعيش طويلاً من الأولاد بقبور الأولياء بخيط أو حبـل ، رجاء الشفاء وطول العمر . وقـد يعقدون خيطاً أو شريطاً بالقبر ، لهذا الغرض .

وقد كان اصحاب النذور يتنسكون ويكثرون من تعبدهم ومن تقربهم للصنم الذي نذروا له ، ليمنّ عليهم ويحقق لهم مـا طلبوه . وقد اشار (لبيد) الى الناسكات ينتظرن النذر بقوله :

توجس النُبُوحَ شُعْثا غُبراً كالناسكات ينتظرن النذرا[3]

ومن نذورهم في الجاهلية ، انهم كانوا ينذرون بألا تهب الصبا حتى يذبحوا او ينحروا[4] . ويظهر ان هذه عادة كانت لها صلة بطقوس دينية جاهلية قديمة، نجدها عند اهل مكة وعند الأعراب .

وتكون النذور في حالات الشدة والضيق في الغالب . فإذا أصيب انسان بمكروه او أصيب عزيز له بذلك ، نذر الى آلهته نذراً ، يقدمه لها حالة تحقق الشرط ، فإن صادف ان تحقق ما طلبه ، وجب على الناذر الوفاء بنذوره . ونظراً لظروف ذلك الوقت ، فقد كانت النذور كثيرة ومتنوعة . منها نذور مادية ، ومنها نذور

---

١ تاج العروس (١٤٢/٥) ، (ربط) .
٢ الروض الأنف (٨٥/١) .
٣ ديوان لبيد (٣٣٦) .
٤ الكامل (٥٢/٢ وما بعدها) .

معنوية ، مثل التعبد والتبتل وخدمة بيوت الأصنام وما شاكل ذلك من نذور[1] .

وقد كانوا لا يحلّون لأنفسهم التملص والتخلص من الوفاء بالنذور، لاعتقادهم انهم إن أكلوها ولم يوفوا بها ، غضبت عليهم الآلهة ، ولا سيما الإلـه الذي جعلوا نذرهم له ، فيصابون بغضب منها ، وينالهم مكروه ، فهم لذلك يوفون نذورهم ولا يقصرون في الأداء ، إلا لحاجة او لاستهتار او لتغلب الشح على النفس، ومع ذلك ، فقد كانوا يلجأون الى الحيـــل الشرعية في هذا التهرب ، بإيجاد الحلول والأعذار .

ونجد في نصوص المسند عدداً كبيراً من الكتابات تفيد ان صاحب الكتابة قد قدّم الى الإلـه الفلاني كذا وكذا ، لأنه أجاب طلبه وأعطاه ما أراد ووفاه بحسب طلبه ، فقدم اليه كذا وكذا وفاء لنذره . وتذكر في النص أحياناً جملة لتنزل اللعنة او لينزل الهلاك والدمار او ما شابه ذلك على من يحاول ازالـة النذر والأثر عن موضعه او إلحاق الأذى به او ما شابه ذلك من عبارات . وقد ورد مثل ذلك في النصوص الثمودية والليانية والنصوص الأخرى . وتفهم فكرة النـذر والغاية منه صراحة من هذه الكتابات ، فالناذر قدّم نذره ، لأن الإلـه المذكور او الآلهـــة المذكورة أجابت طلبه ووفت له ما أراد ، فوفى هو له أو لها ما اشترط على نفسه تقديمه عند عقده صيغة النذر . فالإلـه او الآلهة طرف يسمع ويتعاقد ويجيب ويفعل او تفعل تماماً كما يفعل الانسان ، وهي تشترط على الطرف الثاني اي على السائل الوفاء بالنذر ، لأنه دين يجب عليه دفعه في مقابل تنفيذ الآلهة الشروط المذكورة، وإلا فإن الآلهة تغضب عليه وتوقع القصاص عليه ، وقد تسحب ما قدمت له حينما عقدت النذر معه .

وكانت القرابين البشرية في جملة الأشياء التي قدمها الإنسان نـذراً الى آلهته . وكان (عبد المطلب) ، كما يذكر أهل الأخبار قـــد نذر إن توافى له عشرة رهط أن ينحر أحـــدهم . فلما اكتمل العدد ، قرر الوفاء بنذره ، وذلك بذبح أحدهم . وإذ لم يكن قد عين الولد الذي سيذبحه ، ذهب كعادة أهـل مكة الى هُبل يستقسم عنده . فلما أصاب النصيب (عبدالله) ، ذهب الى (إساف) ونائلة

---

١ طبري (١٤٤/٣ وما بعدها) ، روح المعاني (٥٦١/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٥٦١/٣) ، (نذر) ، تفسير البيضاوي (٢٠/٣ وما بعدها) .

وثنّي قريش اللذين تنحر عندهما ، ليذبحه ، « فقامت اليه قريش من أنديتها : فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هـذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ » . ثم سألوه أن يذهب الى عرّافة كانت بالمدينة لها (تابع) ، لترى رأيها في الموضوع وتفتي فيه ، فلما ذهب اليها،وجدها بخيبر ، فأشارت عليه أن يعود الى مكة ، ثم يضرب بالقداح على ابنه وعلى عشر من الإبل وهو مقـدار الدية عندهم ، فإن خرجت القدّاح على عبدالله ضربوا القداح مرة أخرى ، فإن خرجت القداح على عبدالله مرة أخرى ، أعادوا الضرب حتى يقع على الإبل ، فيكون الرب قد رضي عنه ، فتنحر الإبل عندئذ . فسمع نصيحتها وفعل ، ونحرت الإبل فدية عن ابنه (عبدالله)[1] . والظاهر أن عادة نحر الأبناء عند الكعبة قد بقيت حتى بعد دخول العرب في الإسلام ، بدليل ما ورد عن نذر امرأة أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلتـه ، ففعلت ذلك الأمر ، فجاءت الى المدينة تستفتي علماءها في الأمر . فأشار عليهـا من استفتتهم بوجوب الوفاء بالنذر ، ولكنهم ذكروا لها أن الله قد نهى عن قتـل أنفسكم ، وذكروا لها قصة عبد المطلب المذكورة ، ومعنى ذلك تقديم الفداء[2] .

كذلك كان من عادة الجاهليين النذر في ساعات الشدة والخطر ، فكان بعض النساء ينذرن أن يجعلن ولدهن (حمساً) إن شفي الرب ابنها من مرض ألمّ به ، كما كانوا ينذرون بحلق شعر الرأس أو جزّ شعر الناصية أو الاعتكاف والانزواء بعيداً عن الناس[3] . وهي عادات نجدها عند غير العرب أيضاً[4] .

وقد أشار المفسرون وأصحاب الحديث والأخبار الى نذور كانت معروفـة في الجاهلية ، فمنعها الاسلام . وفي بعضها نوع من التحايل والتلاعب ، حيث كانوا يتصرفون بحسب أهوائهم وشهواتهم ومنافعهم وقت استحقـاق النذر . ومن ذلك ما أشير اليه في القرآن الكريم : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فمـا كان لشركائهم فلا يصل الى

---

١ الطبري (٢/١٧٢ وما بعدها) ، ابن الاثير الكامل (٢/٢) .
٢ الطبري (٢/١٧٢) .
٣ الازرقي (١/١٢٣) .
٤ Shorter Ency. p. 429.

الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون »[1] . وقد ذكر المفسرون ان من الجاهليين من كان يزرع لله زرعاً وللأصنام زرعاً ، فكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للأصنام ، جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه عليها ، ويقولون ان الله غني والأصنام أحوج ، وان زكا الزرع الذي زرعوه للأصنام ، ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئاً لله . وقالوا هو غني .

وكانوا يقسمون الغنم ، فيجعلون بعضه لله ، وبعضه للأصنام ، فما كان لله أطعموه الضيفان ، وما كان للصنم أنفقوه على الصنم . وكانوا اذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله تعالى ردوه ، واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للأصنام تركوه . وقالوا الله أغنى . واذا هلك ما جعل للأصنام ، بدّلوه مما جعل لله ، واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه بما جعل للأصنام[2] .

فهم يتطاولون على ما خصصوه لله من نصيب ، ويتصرفون به كما يشاؤون ، ويحافظون على ما خصصوه للأصنام ، بزعمهم أنها شركاء لله ، ويقدمونه لها . ولعل ذلك بسبب أن ما كان يخصصونه للأصنام كان يجد له معقباً وسائلاً ، يراجع أصحاب الحرث أي الزرع وأصحاب الأنعام لاستحصال حق الأصنام منهم . وهو حق مفروض ، وهم السدنة ورجال الأصنام ، فكانوا يستحصلون حقوق الأصنام منهم ، على حين كان ما يخصصونه لله نذراً لا يعرف به غير الناذر ، فكان يتلاعب به ، ويعطيه أو يعطي جزءاً منه الى جامعي حق الأصنام ، على اعتبار أنها شريكة لله ، وبذلك يتهرب من أداء النذر كاملاً بهذه الحيلة الشرعية ، فلا يستخرج من ماله الذي خصصه لنفسه شيئاً عن الوفاء بالنذر وفاءً تاماً ، أو لاعتقادهم أن الله بعيد عنهم ، وهو غفور رحيم ، أما الأصنام ، فقريبة منهم ، وهي منتقمة أشد الانتقام .

ويتبين من دراسات النذور عند الشعوب القديمة أنها كانت نتيجة حاجة ، وتصور الانسان أن بإمكانه التأثير على آلهته بهذه النذور ، فيجعلها تميل الى اجابة طلبه

---

١ الانعام ، الآية ١٣٦ .

٢ تفسير الطبرسي (٨/٣٦٩ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٨/٣٠ وما بعدها) ، روح المعاني (٨/٢٨) ، تفسير التبيان ، للطوسي (النجف ١٩٦٠) ، (٤/٣٠٧ وما بعدها) ، القرطبي ، الجامع (٧/٨٩) ، الكشاف (١/٤٧١) .

وحل مشكلاته ، وذلك بتقديم مطالب مغرية تطمعها ، وهدايا سارة تفرح بها ، كما يفرح الانسان عند تقديم أمثالها اليه،فيهش لصاحب الهدية ويرتاح له ويتقرب اليه ، ويعد الهدية نوعاً من التقرب والتودد والتحبب ، فمن واجب من أهديت اليه الهدية مقابلة المتودد بالمثل . وأما الحاجات التي كان يرجو الناذرون تحقيقها ، فهي في الغالب الحصول على ثروة ، أو صحة وعافية أو ذرية أو نصر وتوفيق . والناذر على يقين بالطبع من أن الإلـه الذي نذر له النذر قادر على تحقيق ذلك ، وإلا لم يتقدم اليه بهذا النذر[1] .

ويدخل في باب النذور ما يأخذه المرء عهداً على نفسه بتجنب الطيبات واللذيذ من العيش ، أو بالابتعاد عن الناس واعتزالهم على نحو ما يفعله الرهبان والناسكون لأمد معين أو لأجل غير معلوم . ونجد أمثلة عديدة من هذا العهد في أخبار الجاهليين ، كالذي ذكروه عن (امرىء القيس) من أنه قال حينما بلغه مصرع والده : « الخمر عليّ والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مئة وأجز نواصي مئة »[2] ، وكالذي رووه عن غيره من الجاهليين . وهي كلها من هذا الطراز . أخذ الشخص عهداً على نفسه بألا يقرب امرأة أو يشرب خمراً أو يضع طيباً أو يقرب اللذائذ حتى يأخذ بثأره أو يتحقق ما نوى عليه ، وقد يحدد ذلك بوقت بأن يعين أجل العهد[3] .

وإذ كان النذر عهداً، كان من اللازم تنفيذ العهد ؟ فإذا مات من أخذ عهداً على نفسه بأن يفعل شيئاً لم يفعله ، فعلى ورثته وقبيلته الوفاء بعهده . فإذا مات شخص كان قد نذر على نفسه الأخذ بثأر قتيل ولم يوفِ بعهده ، بسبب موته، فعلى اهله وذوي قرابته وأفراد قبيلته الأخذ بالثأر . ولذلك كانت أحقاد الثأر تنتقل من الآباء الى الأبناء فالأحفاد ، وتستغرق أحياناً زمناً طويلاً حتى يؤخذ بالثأر . وقد نشأت عن هذه العهود مشكلات خطيرة في المجتمع الاسلامي في موضوع العهود التي يمكن تنفيذها والعهود التي لا يجوز تنفيذها ، او التي يسمح بعدم تنفيذها وفي مبلغ التبعة التي تترتب على الورثة في تنفيذ العهود[4] .

---

١ Ency. Religi. 12, p. 656.

٢ الاغاني (٨/٦٥) ، (ذكر امرىء القيس ونسبه وأخباره) .

٣ ابن هشام (٥٤٣) ، Shorter Ency., p. 428.

٤ Shorter Ency. p. 429.

القرابين :

وتؤلف القرابين جزءاً مهماً من عبادة الأمم القديمة ، بل تكاد تكون العلامة الفارقة عندهم للدين . والرجل المتدين في عرفهم هو الرجل الذي يتذكر آلهته ويضعها دائماً نصب عينيه ، وذلك بتقديم القرابين لها ، ولست أخطىء اذا قلت انها كانت عندهم أبرز من العبادات العملية كالصلوات ، لأن الانسان القديم لم يكن يفهم آنئذ من الحياة إلا مفهومها المادي . وهو يرى بعينيه ويدرك ان ما يقدم اليه من هدايا يؤثر في نفسه كثيراً ، ولذلك كان من الطبيعي ان يتصور بعقله ان القرابين هي أوقع في نفوس آلهته من اي شيء كان ، فقدمها على كل شيء ، وجعلها عبادة يتقرب بها الى الآلهة كما يتقرب اهل الأديان السماوية الى الإلـه بالدعاء والصلوات ، فهي في نظره عبادة تقربه الى الأرباب .

وقد كان الجاهليون ، يعظمون البيت بالدم ، ويتقربون الى أصنامهم بالذبائح ، يرون ان تعظيم البيت او الصنم لا يكون إلا بالذبح ، وان الذبائح من تقوى القلوب . والذبح هو الشعار الدال على الاخلاص في الدين عندهم ، وعلامة التعظيم . « قال المسلمون : يا رسول الله ، كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحق ان نعظمه »[1] .

ويظهر من قول أحد الشعراء الجاهليين :

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هُريق على الأنصاب من جسدِ

أن الجاهليين كانوا يريقون دم الضحية على الأنصاب ، وهي موضوعة في الكعبة ، ويمسحون الكعبة[2] .

وكلمة (قربان) وجمعها (قرابين) ، هي من أصل (ق ر ب) ، وقد استعملت وخصصت بهذا المعنى لأنها تقرب الى الآلهة . والقربان هو كل ما يتقرب به الى الله . فليس القربان خاصاً بالذبائح ، وان صار ذلك مدلوله في الغالب[3] .

---

١ تفسير الطبري (٤٨/٦) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٠٦) .
٣ تاج العروس (٤٢٢/١) ، (قرب) ، اللسان (١٥٨/٢) ، (قرب) .

ومن القرابين ما يقدّم في أوقات معينة موقوتة، ومنها ما ليس له وقت محدد ثابت بل يقدم في كل وقت . ومن أمثلة النوع الأول ما يقدم في الأعياد أو في المواسم أو في الأشهر أو في أوقات معينة من اليوم وفي ساعات العبادات ، ومن أمثلة النوع الثاني ما يقدم عند ميلاد مولود ، أو انشاء بناء أو القيام بحملة عسكرية أو لنصر وما شابـــه ذلك من أحوال . ويدخل في النوع الأول الاحتفاء بأعياد الآلهة ، حيث تكسى أصنامها أحسن الحلل ، وتزين بأجمل زينة ، ثم يوضـــع أمامها ما لذّ من الطعام وما حسن من الهدايا ، وتذبح لها الذبائح ، تذبح على الأنصاب ، ويأتي الكهّان ليقوموا بتأدية الشعائر الدينية المقررة في هذه الأحوال .

ومعظم نصوص المسند كتابات دونت عند تقديم قربان او نذر الى الآلهـة في ميلاد مولود ، او شفاء مريض ، او بناء معبد او بيت ، او حفر خنـــدق او تشييد برج او سور ، او حفر بئر او زواج وما شاكل ذلك . ويظهر منها ان الناس في ذلك العهد كانوا يقدمون القرابين الى آلهتهم في مناسبات كثيرة ، تقرباً اليها وارضاء لها ، ولكي تمنّ على أصحابها بالخير والبركة .

وقد استعملت نصوص المسند لفظة (ذبح) و (ذبحم) بمعنى (ذبحوا) و (ذبح) و (ذبيحة) و (ذبائح) . وقد تسبق بكلمة (يوم) ، فتكون (يوم ذبح) ، اي (يوم ذبحوا) ، ثم يذكر بعدها عدد ما ذبح ونوعه ، ثم كلمة (اذبح) بمعنى (ذبائح) في بعض الأحيان . والذبائح التي تقدم الى الآلهة هي الإبل والبقر والثيران والغنم والمعز ، وهي اكثر الحيوانات شيوعاً في الذبـــح عند الشعوب السامية الأخرى . ولم نجد في نصوص المسند ذكراً لحيوانات اخرى كالأسماك او الدجاج مثلاً ، ولعل ذلك بسبب ضآلة قيمتها وتفاهتها بالقياس الى أثمان الحيوانات الأخرى ، مما جعل الناس يأنفون من الاشارة اليها في النصوص .

وفي بعض الأديان حرق الذبائح وسكب دمائها على النار كما يفعل العبرانيون، إذ اتخذوا مذبحاً للمحروقات . ويسمى أيضاً بمذبح النحاس . وكانت ناره لا تطفأ، وتقدم اليه الذبائح عـــلى الدوام ، ويعرف ذلك عندهم بـ (عولاه) Olah ، وتفسير الكلمة الشيء الذي يعلو[1] .

وينفي (ولهوزن) وجود المحارق عند الجاهليين ، وعنده أن العرب لم يكونوا

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٤٥٨/١) ، Hastings, p. 111.

يحرقون الذبائح للأرباب ، بل كانوا يكتفون بالذبح ويسكب دم الذبيحة على النصب كله أو بعضه ، أو انهم يتركونه يسيل الى (الغبغب) . وليس في الذي بين أيدينا من نصوص ما يدل على ان الجاهليين كانوا يحرقون ذبائحهم لأربابهم على نحو ما كان يفعله العبرانيون، غير أن ذلك لا يمكن أن يكون مع ذلك دليلاً قاطعاً وحجة كافية في اثبات أن هذه العادة لم تكن عند جميع الجاهليين .

وهناك ذبائح من نوع آخر قدمها الانسان الى آلهته ، من نوع لا تشمله كلمة خروف او شاة او بقرة او ثور او جمل ، من نوع آخر لا تشمله اية تسمية من هذه التسميات التي تطلق على هذه الحيوانات التي يأكلها الانسان في العادة ، هي ذبائح يعاقب القانون كل من يمارسها في الوقت الحاضر بأشد العقوبات ، هي ذبائح بشرية قدمها الانسان الى آلهته لاعتقاده انها زلفى محببة الى نفوسها ، وانها ستفيد المجموع وتنقذه من كثير من الأوبئة والأمراض وأنواع الشر والضر ، إن كان الانسان الحديث يتبرأ منها في الزمن الحاضر ويتنكر لها ويحاول تبرئة أجداد أجداده من ممارستها قبل مئات من السنين ، فالتأريخ لا يستطيع ان يجد دليلاً يثبت تبرئة أكثر أديان شعوب العالم القديمة من تقديم هذا النوع من القرابين ، وفي التوراة أمثلة عديدة تتحدث عن تقديم العبرانيين لهذا النوع من القرابين الى (يهوه) ، ليرضى عن شعبه ، ويعفو عنه ، ويتقرب منه[1] . كذلك نجد هذه العادة عند اليونان والرومان والهنود والفراعنة والصينيين واليابانيين وغيرهم .

أما عند الجاهليين ، فذكر (فورفيريوس) Forphyrius أن أهل (دومة) Duma كانوا يذبحون في كل سنة إنساناً عند قدم الصنم تقرباً اليه[2] . وذكر (نيلوس) Nilus أن من عادة بعض القبائل تقديم أجمل من يقع أسيراً في أيديهم الى (الزُهرة) ،ضحية لها تذبح وقت طلوعها ، وقد وقع ابنه (تيودولس) Theodolus أسيراً حوالى سنة ٤٠٠ م في أيدي الأعراب Saracens ، وهيء ليذبح قرباناً الى الزُهرة غير ان أحوالاً وقعت أفاتت عليهم الوقت المخصص لتقديم

---

١ الملوك الاول ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣٤ ، الملوك الثاني ، الاصحاح السادس عشر ، الآية ٣ ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١٧ ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٦ ، صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٣٢ ، الملوك الثاني ، الاصحاح الثالث ، الآية ٢٧ ، القضاة ، الاصحاح الحادي عشر ، الآية ٣٠ وما بعدها ، ومواضع أخرى ، Hastings, p. 813, Ency. Religi., p. 864.

٢ Reste, S. 115.

الذبائح ، أنقذته من الذبح ، فاكتفى آسروه ببيعه في أسواق الرقيق بـ (ألوسة) Elusa ، فاستقر هناك الى أن صار أسقفاً على المدينة [1] . وذكر أيضاً أن الملك (المنذر) ملك الحيرة قدم أحد ابناء الحارث الذي وقع أسيراً في يديه ونحو من أربع مئة راهبة قرابين الى العُزّى [2] . غير أننا يجب أن نكون في حذر شديد من قراءة أمثال هذه الروايات ، لأن مصدرها في الغالب هو الخيال . كذلك يجب ان نمرّ برواية الأخباريين عن قصة عبد المطلب وعبدالله بشيء من الاحتراس والحذر ، بل والشك والريبة ، ويخيل إليّ ان الأخباريين استفادوا في هذه القصة من حكاية ابراهيم واسحاق .

وليس في الذي بين أيدينا من نصوص المسند نصٌّ ما فيه خبر يشير الى تقديم شخصٍ ما ملكٍ او كاهن او اي انسان آخر ذبيحة بشريـــة الى الآلهة ، كذلك لا نجدُ في النصوص الأخرى مثل النصوص الثمودية او اللحيانية او الصفوية مثل هذه الاشارات .

وتلعب (المذابح) التي سبق ان تحدثت عنها ، دوراً خطيراً في العبادة عند الساميين ، بل تكاد تكون المظهر الأساسي للدين والتعبد عندهم في ذلك العهد . ولهذا كان المتدين يكثر من ذبح الذبائح لأنها تقربه الى الآلهة في نظره .

الترجيب :

وقد عرف شهر (رجب) بكثرة ما كان ينحر فيه من عتائر للأصنام ، فلا بد ان يكون لذلك أصل وسبب ، كأن يكون هذا الشهر من الأشهر التي كان لها حرمة خاصة في الجاهلية القديمة . وشهر رجب هو من الأشهر الحرم المعظمة التي لم يكن يحلّ فيها القتال [3] . وقد سمّي الذبـــح في هذا الشهر بـ (الترجيب) ، وقيل للذبائح التي تقدم فيه (العتائر) جمع (عتيرة) . وقد عدّت العتائر من شعائر الجاهلية . وأطلق بعض علماء اللغة كلمة (العتائر) على ذبـــح الحيوانات

---

١ Ency. Religi., 6, p. 853.

٢ Hastings, A Dictionary, Vol. I, p. 75.

٣ تاج العروس (١/٢٦٦) ، (رجب) .

الأليفة ، وأطلق لفظة (النافرة) على ذبح الحيوانات الوحشية[1] . « وفي الحديث: هل تدرون ما العتيرة ، وهي التي يسمونها الرجبية ؟ كانوا يذبحون في شهر رجب ذبيحة ، وينسبونها اليه . يقال هذه ايام ترجيب وتعتار . وكانت العرب ترجب، وكان ذلك لهم نسكاً »[2] .

وذكر بعض أهل الأخبار ان أول من عتر العتائر وسن العتيرة للعرب ، هو (بورا) ، وهو (بوز) ، وهو ابن شوحا ، وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبية للعرب . وهو ابن يعمانا ، وهو قوال ، وكان في عصر سليمان ابن داوود[3] . والظاهر ان أحد أهل الكتاب قصّ على الأخباريين هذه القصة ، فنسبوا هذه السنّة الجاهلية الى هؤلاء الأشخاص .

وكان بعض السادة ينحرون إذا أهلّ (الشهر الأصم) ، اي (شهر رجب). روي : ان (حاتماً الطائي) كان ينحر اذا أهلّ الشهر ، ينحر عشراً من الإبل ويطعم الناس لحومها ، وذلك لحرمته ومنزلته عنده ، ولتعظيم (مضر) . فهو من شهود مضر الخاصة[4] .

وعرفت (العتيرة) بـ (الرجبية) عند الجاهليين كذلك ، لأنها كانت تذبح في شهر رجب ، فنسبوها اليه . وعرفت ايام رجب بـ (ايام الترجيب) . وورد (ايام ترجيب وتعتار) . وقيل للذبائح التي تقدم فيه (النسائك) كذلك[5] .

وأصل (النُسك) : الدم ، وبهذا المعنى ورد من فعل كذا وكذا فعليه نسك ، اي دم يهريقه . و (النسيكة) : الذبيحة . و (مَنْسك) : الموضع الذي تذبح فيه النسيكة ، وهذا هو المعنى القديم الأصلي للكلمة . وقد صار من معانيها في العربية الشمالية ، العبادة والطاعة ، وكل ما يتقرب به الى الله تعالى ، لما كان للذبح من شأن في الديانات القديمة بحيث كان يعدّ عبادة أساسية عندها ،

---

١ Reste, S. 118.

٢ تاج العروس (١/٢٢٦ وما بعدها) ، (رجب) ، مسند احمد بن حنبل (٢/١٧٣) .

٣ الطبري (٢/٢٧٤) .

٤ الاغاني (١٦/٩٤) .

٥ تاج العروس (١/٢٦٦ وما بعدها) ، اللسان (١/٣٩٦) ، المعاني الكبير (٣/١١٧١) ، المخصص (١٣/٩٨) ، مجمع البيان للطبرسي (٢/١٥٠) .

ولذلك قيل لمن انصرف الى التعبد : الناسك[1] .

وقد فسر علماء التفسير لفظة (نسك) الواردة في الآية : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك »[2] ، بذبح ذبيحة شاة أو ما فوق ذلك[3] .

والعرف في الذبح عندهم ، انهم كانوا يسوقون ما يريدون تعتاره اي ذبحه الى النصب الخاص بالصنم او الى الصنم نفسه ، ثم يذبحونه بعد التسمية باسم ذلك الصنم ، وبيان السبب في ذبح هذه العتيرة ، ثم يلطخ رأس الصنم بشيء من دم تلك العتيرة[4] . وقد منع المسلمون من أكل ذبائح المشركين ، لأنها مما أهل لغير الله ، ولأن المشركين لم يكونوا يذكرون اسم الله عليها، بل كانوا يذكرون اسم الصنم الذي يذبحون له عليها . فحرم ذبائح المشركين لذلك على المسلمين[5] .

وقد أبطل الاسلام (الرجبية) وهي العتيرة ، كما أبطل (الفرع) ، وهو ذبح أول نتاج الإبل والغنم لأصنامهم ، فكانوا يأكلونه ويلقون جلده على الشجر. ويذكر انهم كانوا اذا أرادوا ذبح الفرع زيّنوه وألبسوه[6] ، ليكون ذلك أوكد في نفوس الآلهة ، وتعريفاً للناس . وكانوا يفعلون ذلك تبركاً . وفي الحديث : لا فرع ولا عتيرة[7] .

وذكر انهم كانوا اذا بلغت الإبل ما يتمناه صاحبها ذبحوا ، او اذا تمت إبل احدهم مائة عتر عنها بعيراً كل عام فأطعمه الناس ولا يذوقه هو ولا أهله ، قيل بل قدم بكره فنحره لصنمه. وقد كان المسلمون يفعلونه في صدر الاسلام ثم نسخ[8]. وذكروا ان العتيرة الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها[9] .

و (العتر) الصنم الذي يصاب رأسه من دم العتر . قال زهير :

فزلّ عنها وأوفى رأس مرقبة كناصب العتر دمى رأسه النسك[10]

---

١ تاج العروس (٧/١٨٦ وما بعدها) ، (نسك) ، اللسان (١٢/٣٨٩) ، (نسك)
٢ البقرة ، الآية ١٩٦ .
٣ تفسير الطبري (٢/١٣٤ وما بعدها) .
٤ ديوان زهير ، للاعلم الشمنتري (٤٦) .
٥ تفسير الطبري (٨/١٢ وما بعدها) ، سورة الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١١٨ وما بعدها .
٦ بلوغ الارب (٣/٤٠ وما بعدها) .
٧ تاج العروس (٥/٤٤٩) .
٨ تاج العروس (٥/٤٤٩) .
٩ اللسان (٤/٥٣٧) ، (عتر) ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة (١/٢٧٨) .
١٠ اللسان (٤/٥٣٧) ، (عتر) .

وكانوا يؤكدون على تلطيخ الصنم الذي يعتر له ، أو (النصب) بشيء من دم العتيرة . يفعلون ذلك على ما يظهر، ليحس الصنم بالدم فوقه . فيتقبله ويرضى به عنهم ، ويتقبل عتيرتهم .

ويظهر من غربلة ما جاء في روايات علماء اللغة والأخبار عن العتيرة والرجبية، أن العتيرة بمعنى الذبيحة ، وأن (العتر) الذبح عامة ، في رجب وفي غير رجب. و (العتائر) الذبائح التي كانوا يذبحونها عند أصنامهم وأنصابهم في رجب وفي غير رجب ، والتي كانوا يلطخون بدمائها الصنم الذي كانوا يعترون له . وأما (الرجبية) فهي العتائر التي تعتر في رجب خاصة ، وقد كانت كثيرة . ولذلك نسبت الى هذا الشهر . ونظراً الى كون الرجبية عتيرة ، ذهب البعض الى أن العتيرة الرجبية[1] . فظن أنهم قصدوا بذلك أن العتيرة هي الرجبية ، مع أن الرجبية من العتائر ، أي بعض من كل ، وليست مساوية لها .

وقد كان بعض أهل الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه في رجب كذا وكذا ، أو أن يقول : إن بلغت إبلي مائة عترت عنها عتيرة ، فإذا ظفر به ، أو بلغت مائة ، فربما ضاقت نفسه عن ذلك ، وضن بغنمه ، فصاد ظبياً فذبحه ، أو يأخذ عددها ظباءً ، فيذبحها مكان تلك الغنم ، وهي (الربيض) . وإلى ذلك أشير في شعر للحارث بن حلزة اليشكري :

عنتاً باطلاً وظلماً ، كما تعـ ـتر عن حجرة الربيض الظباء[2]

فذلك نوع من أنواع التحايل للتخلص من الوفاء بالنذور .

وكان أهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم[3] ، وانما يأكل لحومها غيرهم . كما كانوا يضرجون البيت بدماء البدن[4] ، ويضرجون أصنامهم بها . وورد في رواية

---

١ اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) ، الاصنام (٣٢) ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ م) ، تاج العروس (٣٨٠/٣) ، (عتر) ، المخصص (٩٨ وما بعدها) .

٢ « عننا » اللسان (٥٣٧/٤) ، (عتر) ، « عننا » ، تاج العروس (٣٨٠/٣) ، (عتر) ، البيت رقم (٥١) من المعلقة ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٤٦٣ وما بعدها) .

٣ تفسير القرطبي (٦٤/١٢) .

٤ تفسير القرطبي (٦٥/١٢) .

أخرى ، انهم ينحرون هديهم عنـــد الأصنام ، فإذا نحروا هدياً قسموه فيمن حضرهم[1] .

ومن ذبائح أهل الجاهلية (الشريطة) . كانوا يقطعون يسيراً من حلق الشاة ويتركونها حتى تموت ويجعلونه ذكاة لها . وقد نهي عن ذلك في الاسلام . وقيل ذبيحة الشريطة ، هي انهم كانوا يشرطونها من العلة ، فإذا ماتت قالوا قد ذبحناها[2] .

ومما يلاحظ في تقديم الذبائح ، ان الناذر يراعي الجنس في اختيار الذبيحة ، فإذا كان مقرب القربان ذكراً ، اختار قربانه حيواناً ذكراً ، وان كان المقرب أنثى ، اختيرت الذبيحة أنثى . ولا زال الناس يراعون ذلك حتى اليوم . ونجد هذه العادة عند غير العرب أيضاً ، فقد كان أهل العراق يقدمون كتف حيوان، في مقابل شفاء كتف انسان ، ورأس ذبيحة في مقابـــل رأس ناذر ، وهكذا . وكانوا يجعلون الرأس رمزاً أحياناً ، فينذرون تقديم رأس المريض أو الصبي الى الإلـه ، إن منّ عليه بالعافية وبالصحة . ويقصدون بذلك بدلاً ، رأس حيوان أو رمزاً يرمز اليه من ذهب أو فضة[3] .

البحيرة والسائبة والوصيلة والحام :

ومن النذور والقرابين ما يكون حيوانات حية ، تسمى كلها او بعضها باسم الأرباب ، فتحبس عليها ، وتكون حرة طليقة لا يجوز مسها بسوء . وقد أشير في القرآن الكريم الى (البحيرة) ، و (السائبة) ، و (الوصيلة) ، و (الحام)[4] ، وللعلماء في هذه المصطلحات كلام ، مهما تضارب واختلف ، فإنه يوصلنا الى نتيجة هي ان الجاهليين كانوا يراعون هذه الأمور مراعاة شديدة،ولهم فيها قواعد وأحكام ترجع الى تقاليد موروثة قديمة ، حافظوا عليهـــا ، وظلوا يحافظون عليها الى ان منعها الاسلام .

---

١ ابن هشام (١/٦٥) ، هامش على الروض الانف .
٢ تاج العروس (٥/١٦٧) ، (شرط) .
٣ Anclen Israel, p. 434.
٤ المائدة ، الآية ١٠٣ .

فأما البحيرة ، فالناقة أو الشاة تترك فلا ينتفع من لبنها ولا تحمل ولا تركب، وترعى وترد الماء فلا ترد ، فإذا ماتت حرموا لحمها على النساء وأباحوه على الرجال ، ذلك بعد ان تنتج خمسة أبطن أو عشرة أو ما بين ذلك[1] . وقيل أيضاً الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحروه،فأكله الرجال والنساء جميعاً ، وان كانت أنثى شقوا أذنها ، فتلك البحيرة ، فلا يجز وبرها ولا يحمل عليها ، وحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئاً وان ينتفعن بها ، وكان منافعها للرجال دون النساء[2] . وقيل الشاة التي تشق أذنها،وذلك شيء كان لأهل الجاهلية . تشق أذنها أو أذن الناقة بنصفين ، وقيل بنصفين طولاً ، ليكون التبحير علامة لها[3] .

وقيل : البحيرة هي التي يمنع درّها للطواغيت ، فلا يحتلبها أحد من الناس[4]. قيل لها البحيرة ، لأنهم بحروا اذنها ، أي شقوها ، وكان البحر علامة التخلية . وقال بعض العلماء : البحيرة هي ابنة السائبة[5] . وقال بعض آخر : البحيرة من الإبل يحرم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلا على الرجال ، فما ولدت من ذكر وأنثى ، فهو على هيئتها ، وان ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها[6] . وورد أن البحيرة من الإبل ، كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن نحروا الخامس ان كان سقباً ، وان كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها وهي بحيرة . وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه ، وهو خالص لرجالهم ، فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتاً فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه[7] . والمرار من (السقب) الذكر من ولد الناقة[8] .

وورد في الأخبار أن أول من بحر البحائر رجل من (بني مدلج) ، كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما ، وقال هاتان لله ، ثم احتاج

---

١ تاج العروس (٣/٢٨) ، (بحر) ، اللسان (٥/١٠٦) .
٢ مجمع البيان ، للطبرسي (٢/٢٥١) ، شمس العلوم (حـ١ ، ق١ ، ص ١٣٣) ، المفردات (٢٦) .
٣ الاشتقاق (١١٨) ، اللسان (٤/١٦ وما بعدها) .
٤ الطبري (٧/٥٩) ، القرطبي ، الجامع (٦/٣٣٥) .
٥ القرطبي (٦/٣٦٣) .
٦ تفسير الطبري (٧/٥٨) .
٧ تفسير الطبري (٧/٥٩ وما بعدها) .
٨ اللسان (١/٤٦٨) ، (شعب) .

اليها ، فشرب ألبانها وركب ظهورها[1] . كما نسب التبحير الى (عمرو بن لحيّ)، إذ قيل إنه كان أول من بحر البحيرة وسيب السائبة[2] .

وأما السائبة ، فهي الناقة أو البعير أو الدابة تترك لنذر ، أو بعد بلوغ نتاجها حداً معلوماً ، فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تمنع من ماء وكلأ ، وتترك سائبة لا يحل لأحد كائناً من كان مخالفة ذلك[3] . « وكان الرجل في الجاهلية اذا قدم من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو نجّته دابة من مشقة أو حرب ، قال ناقتي سائبة ، أي تسيب ، فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن مـاء ، ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب ، وقيل : بل كان ينزع من ظهرها فقارة ، أو عظماً، فتعرف بذلك . فأغير على رجل من العرب ، فلم يجد دابة يركبها،فركب سائبة، فقيل : أتركب حراماً ؟ فقال:يركب الحرام من لا حلال له ، فذهبت مثلاً»[4]. و « قيل : هي أم البحيرة ، كانت الناقة اذا ولدت عشرة أبطن ، كلهن أناث: سيبت فلم تركب ، ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت . فـإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبحرت اذن بنتها الأخيرة ، فتسمى البحيرة، وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة »[5] . وقيل السائبة : كان الرجل من أهل الجاهلية يسيب من ماله من الأنعام ، فلا يمنع حوضاً أن يشرع فيـه ، ولا مرعى أن يرتع فيه ، فيهمل في الحمى ، فلا ينتفع بظهره ، ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره ولا بصوفه ، فهو مخلاة لا قيـد عليه ، ولا راعي له . وكان في روعهم أن من تعرض للسوائب أصابته عقوبة في الدنيا[6] .

ويذكر أهل الأخبار ان أول من سيب السوائب (عمرو بن عامر الخزاعي)، أي (عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف) ، أخا بني كعب ، وهو أول من غيّر دين ابراهيم . وقد رجعوا خبرهم هذا الى رسول الله[7] . وقيل ان أول من

---

١ تفسير الطبري (٥٦/٧) .
٢ اللسان (١٦/٤ وما بعدها) ، ابن هشام (٧٨/١) ، (البابي) .
٣ الكشـاف (٣٦٨/١) ، الطبرسي (٢٥١/٢ وما بعدهـا) ، تاج العـروس (٣٠٥/١) .
٤ الاشتقاق (٧٦ وما بعدها) .
٥ اللسان (٤٧٨/١) .
٦ تفسير الطبري (٥٩/٧ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (٣٣٦/٦) .
٧ تفسير الطبري (٥٦/٧ وما بعدها) ، القرطبي ، الجامع (٣٣٧/٦ وما بعدها) .

ابتدع ذلك (جنادة بن عوف)[1] ، وهو من النسأة ، كما سيأتي الكلام عنه فيما بعد .

وأما الوصيلة . فالناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ، أو الشاة التي وصلت سبعة أبطن . وفي رواية : ان الشاة اذا ولدت ستة أبطن نظروا ، فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال والنساء ، وان كان أنثى تركت في الغنم ، وان كان ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، ولم يذبح ، وكان لحمه حراماً على النساء . وفي رواية : ان لبن أم الوصيلة حلال على الرجال دون النساء[2] . وقالوا : الوصيلة الشاة اذا أتامت عشر اناث متتابعات في خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث ، إلا ان يموت شيء منها فيشترك في أكله ذكورهم واناثهم[3] .

وأما الحام ، فالبعير اذا نتج عشرة أبطن من صلبه ، قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى[4] . وقالوا : الحام من الإبل ، كان الفحل اذا انقضى ضرابه جعلوا عليه من ريش الطواويس وسيبوه[5] . وقالوا بل الحام ان الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره ولم يركب ولم يجز وبره ويخلى في إبله يضرب فيها لا ينتفع به بغير ذلك . وذكر ان الحام ، الفحل يضرب في الإبل عشر سنين ، ويقال : اذا ضرب ولد ولده قيل قد حمى ظهره ، فيتركونه لا يمس ولا ينحر أبداً ولا يمنع من كلأ يريده ، وهو من الأنعام التي حرمت ظهورها[6] .

وذكروا ان أول من حمى الحامي هو (عمرو بن لحيّ) ، وذلك في سنن أخرى سنها لأهل الجاهلية[7] .

وقد أشير في سورة (الأنعام) الى أشياء كان يفعلها أهل الجاهلية ، يتقربون بها الى آلهتهم ، كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ويعزلون من حرثهم

---

١ القرطبي ، الجامع (٦/٣٣٧) .
٢ تاج العروس (٨/١٥٥) ، الكشاف (١/٣٦٨) .
٣ القرطبي ، الجامع (٦/٣٣٧) .
٤ الكشاف (١/٣٦٨) ، تاج العروس (١٠/١٠٠) ، اللسان (١٨/٢٢٠) .
٥ القرطبي ، الجامع (٦/٣٣٦) .
٦ تفسير الطبري (٧/٥٧ وما بعدها) .
٧ تفسير الطبري (٧/٥٦ وما بعدها) .

شيئاً معلوماً لآلهتهم ويقولون لا يحلّ لنا ما سمينا لآلهتنا[1] . فورد : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً . فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم . ساء ما يحكمون » وورد : « وقالوا هذه أنعام وحرث ، حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء . سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم »[2] .

وذكر المفسرون أن من المشركين من حرم ظهور بعض أنعامهم، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب. وحرموا من أنعامهم أنعاماً أخر فلا يحجون عليها . وقد ذكروا أن المراد بذلك: البحيرة والسائبة والحام . وأنهم كانوا قد جعلوا ألبان البحائر للذكور دون الإناث. وان كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم . وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء ، وان كانت أنثى تترك فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء[3] . فالمراد بهذه الآيات ما ذكرته عن الأمور المتقدمة .

وقد كان بعض أصحاب النذور ينذر ، فإذا تم النذر وصار وبلغت ابلهم أو غنمهم ذلك العدد ، بخل بإبله أو شاته وضاقت نفسه عن الوفاء وضن بإبله وبغنمه فاستعمل التأويل ، وقال : إنما قلت إني أذبح كذا وكذا شاة ، والظباء شاء ، كما ان الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان شاءً كله مما يصيده من الظباء فلذلك يقول الحارث بن حلزة اليشكري :

عنناً باطلاً وظلماً كما تعـ ـتر عن حجرة الربيض الظباءُ[4]

وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا بلغ إبله ألفاً عار عين بعير منها ،

---

١ تفسير الطبري (٨/٣٥) .
٢ الانعام ، الآية ١٣٦ وما بعدها .
٣ تفسير الطبري (٨/٣٧ وما بعد) .
٤ الاصنام (١٣) ، شرح المعلقات للزوزني (ص ١٦٧) ، المعاني الكبير (٢/١٠١٢) .

وسرحه لا ينتفع به[1] . وكان من عادتهم اذا بلغ إبلهم المئة ، ترك ركوب ظهر بعير منها ، فلا يركب ولا ينتفع به ، ويقولون لذلك : الأخلاق[2] .

وكانوا يتصدقون بمائة من الإبل على الفقراء والمحتاجين والمعابد ، وما شاكل ذلك . روي ان (حنيفة) النعم ، وهو من أثرياء الجاهلية ، لما شعر بدنو أجله، جمع بنيه ، ثم أوصى بمائة من إبله على يتيمه صدقة . وكانوا يسمونها (المطيبة)[3].

وقد عرف ما كان يحبسه أهل الجاهلية على أصنامهم من السوائب والبحائر والحوامي وغيرها بـ (الحبس) . وقد أطلق الاسلام ما حبسوا وحلل ما حزموا ، وهو جمع حبيس[4] .

وكانت لهم مكرمات ، فعلوها في الجاهلية عن خلق ودين ورغبة في شهرة وسمعة. منها انهم كانوا يتصدقون بأموالهم على أبناء السبيل وعلى الفقراء والمحتاجين. ذكر ان (الأسود بن ربيعة بن أبي الأسود) اليشكري ، قال لرسول الله : « يا رسول الله إن أبي كان تصدق بمال من ماله على ابن السبيل في الجاهلية ، فإن تكن لي مكرمة تركتها ، وإن لا تكن لي مكرمة ، فأنا أحق بها . فقال : بل هي لك مكرمة فتقبلها » . وذكر ان رسول الله قال : « ألا ان كل مكرمة كانت في الجاهلية ، فقد جعلتها تحت قدمي ، إلا السقاية والسدانة »[5] . وهذه المكرمات هي من مآثر العرب في الجاهلية ، مكارمها وتفاخرها التي تؤثر عنها[6] .

وتحريم أكل لحوم الحيوانات في مثل هذه الحالات على النساء وتخصيصه بالرجال، وجوازه في حالات أخرى، ثم تحريم الانتفاع من لبنها على النساء في بعض الحالات وعلى الرجال والنساء في حالات أخرى إلا الضيوف وعلى جواز ركوبها : كل هذه تشير الى أنها من شريعة قديمة . وقد رجع بعض العلماء ذلك الى الطوطمية ، غير أن من العسير قبول هذا التفسير .

وقد كان الجزارون المجازون شرعاً يقومون بذبح الذبائح عند العبرانيين، وهم

---

١ تاج العروس (١/٩٧) ، (فقأ) ، (٣/٤٢٨) ، (عور) .
٢ Reste, S. 114.
٣ الاستيعاب (١/٣٩٥ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٤ تاج العروس (٤/١٢٥) ، (حبس) .
٥ الاصابة (١/٥٩) ، (رقم ١٥٨) .
٦ تاج العروس (٣/٥) ، (أثر) .

الذين يقررون صلاح الذبيحة أو عدم موافقتها لأحكام الشرع . أما عند الجاهليين فلا نعرف شيئاً عمن كان يقوم بذبح الضحايا التي تقدم الى الأصنام ، كما أننا لا نستطيع أن نتحدث عن الشروط التي كانوا يشترطونها في الذبيحة ليكون لحمها صالحاً للأكل .

والطيب والبخور من أهم المواد التي كان يتقرب الجاهليون الى آلهتهم بإهدائها الى المعابد . ولم تكن هذه عادة خاصة بالجاهليين وحدهم ، بل هي عادة معروفة في جميع الأديان ، ولا تزال باقية مستعملة . يحرق البخور في المباخر والمجامر ، لتنبعث روائحه الزكية في أبهاء المعبد . أما الخلوق وأنواع الطيب ، فتلطخ بها الأصنام وجدران المعبد ، وطالما تقدم المؤمنون الى آلهتهم بمبخره ليحرق البخور فيها . ومن بين نصوص المسند ، نص كتبه مؤمن اسمه (عبد أصدق) وأبناؤه إلى الإلٰه (ود) ، ذكروا فيه أنهم قدموا اليه مبخرة تعويضاً عن المبخرة التي سرقها اللصوص من معبده[1] .وقد عثر في اليمن على مباخر كبيرة نحتت من الصخر ، أهديت الى المعابد ، ليحرق فيها البخور[2] .

وبين ما قدم الى الآلهة ، الملابس والأقمشة وأنواع الأطعمة ، حتى اللبن قدّم الى الصنم (ود) على رواية الأخباريين .

ووردت لفظة (الهدْي) في القرآن الكريم[3] . ويراد بها ما أهدي الى مكة من النعم وغيره من مال أو متاع . والعرب تسمي الإبل هَدْياً ، لأنها تهدى الى البيت لتنحر ، فأطلقت على جميع الإبل،وإن لم تكن هدياً تسمية للشيء ببعضه[4] . وذكر ان الهَدْي ما أهدي الى بيت الله من ناقة او بقرة او شاة او ثياب وكل ما يهدى . فهو عام في جميع ما يتقرب به من الذبائح والصدقات . إلا ان الاطلاق انما ينصرف الى أحد الأصناف الثلاثة من الإبل والبقر والغنم ، وسوقها الى الحرم وذبحها فيه[5] . وقد ذكر (الهدي) في شعر لزهير بن أبي سلمى :

فلم أر معشراً أسروا هدياً ولم أر جار بيت يستباء

---

١ Glaser 324, Handbuch, I, S. 216.

٢ Ency. Religi. I, p. 352.

٣ البقرة ، الآية ١٩٦ ، المائدة ، الآية ٢ ، ٩٧ ، الفتح ، الآية ٢٥ ، تفسير الطبري (٣٧/٦) .

٤ اللسان (٣٥٨/١٥ وما بعدها) .

٥ القرطبي ، الجامع (٣٩/٦) .

يذكر رجلاً أسر يشبهه في حرمته بالبدنة التي تهدى[1] .

وعرف الهدي المقلد بقلائد ، تشعر انه مما أهدى الى بيت الله بـ (القلائد) . فلا يجوز لأحد ان يتحرش به ، أو ان يفك قلائده ، لأن ذلك تجاوز على مال الله ، وهو مال معلم عليه معروف بقلادته انه من الهدي المخصص بالبيت . فإذا فكت قلادته سرق وحسب من أموال الناس الخاصة[2] . والظاهر ان من الجاهليين من كان يتطاول على أموال البيت ، فيستولي على الهدي ، ويفك القلائد ، ويسطو بذلك على الإبل المقلدة والبقر المقلد ، وذلك كما يظهر من الآية : « لا تحلّوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد »[3] . ومنهم من كان يسطو على الهدي قبل وصوله موضعه من البيت .

وكانوا يهدون الإبل والبقر الى بيوت أصنامهم . وقيل للناقة أو البقرة أو البعير تهدى الى مكة (البدنة) . وقد أشير الى البدن في القرآن ، فورد : « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله »[4] . تهدى الى بيت الله فلا تركب[5] . وذكر ان البدن السمان من الإبل والبقر[6] . ويظهر من غربلة ما ورد في روايات علماء التفسير عن البدن ، انها الهدايا التي تقدم الى الكعبة ، تحبس فتبقى حية ، لا يجوز لأحد التطاول عليها ، وكانوا ينحرونها أيضاً . والإبل تنحر قياماً معقولة . فكانوا اذا أرادوا نحر البعير ، عقلوا احدى يديه، فيقوم على ثلاث قوائم[7] . ولم يكونوا يركبون البدن إلا عن ضرورة[8] . فالبدن إذن ما يهدى الى مكة ، ليحبس على اسمها ، أو ليذبح تقرباً الى رب البيت .

حمى الآلهة :

ولحماية الحبوس من أرض ومن حيوان ، شددت شرائع الجاهليين في وجوب

---

١ تفسير الطبري (١٢٨/٢) .
٢ تفسير الطبري (٣٧/٦) .
٣ المائدة ، الرقم ٥ ، الآية ٢ .
٤ الحج ، الآية ٣٦ ، تفسير الطبري (١١٧/١٧) .
٥ اللسان (٤٨/١٣ وما بعدها) ، (بدن) .
٦ تفسير الطبري (١١٧/١٧) ، القرطبي ، الجامع (٦٠/١٢) .
٧ القرطبي ، الجامع (٦٠/١٢) ، تفسير الطبري (١١٧/١٧ وما بعدها) .
٨ اللسان (٤٨/١٣ وما بعدها) ، (بدن) .

المحافظة على حرمتها وعدم الاعتداء عليها . وهددت من يتجاسر على مال الأرباب بعقوبة تنزل عليه منها وبغضب الآلهة عليه ، وبمصير سيء يلحق به ، فضلاً عن العقوبة التي تنزلها المعابد به ، قد تصل حد القتل . فصار من المحظور اعتضاد نبات الحرم وصيد الحيوان فيه ، ومن يفعل ذلك يكون آثماً ، وقد يعرض نفسه لغضب الناس عليه . فصار الحرم مرتعاً آمناً للطيور ، ولا زال الناس لا يتحرشون بطيور المعابد ولا يمسونها بأي سوء ، بل يقدمون لها ما تحبه من المأكول ، لتعيش عليه .

وجعلت المعابد لحيواناتها وللهدي وللقلائد مواضع خاصة ، اختارتها لترعى فيها جعلت (حمى) للأرباب . لا يجوز لأحد رعي سوائمه بها ولا التطاول على دواب تلك الأحمية ، لأنها مما حبس للأصنام . وتكون هذه المواضع مخصبة معشبة ذات حياة ، وقد تزرع . وتكون غلتها للمعبد .

الفصل الثامن والستون

رجال الدين

أقصد برجال الدين ، أولئك الذين خـــدموا الأصنام ، أو زعموا أنهم ألسنة الأرباب الناطقة على سطح الأرض ، والذين كانوا يوجهون الناس توجيها روحياً دينياً ، ويرعون حرمة المعابد والأماكن المقدسة وشعائر الدين ويحافظـون عليها ، ويضعون قواعدها للناس .

ومعارفنا عن هذا الموضوع قليلة ضئيلة ، لعدم وجود نصوص جاهلية تتحدث عن ذلك ، ولعدم ورود شيء مهم عنه في روايات أهل الأخبار . وليس لنا من أمل في زيادة علمنا بهذه الناحية ، إلا في المستقبل ، فلعله يكشف عـن نصوص جاهلية جديدة ، قد يرد فيها شيء جديد عن رجال الدين عنـد الجاهليين ، أو في موارد أخرى عربية أو غير عربية قديمة ، قد تكون مختبئة مطمـــورة ، يأمر الزمن باخراجها ، ليقف عليها الباحث عن هذا الموضوع .

ومن الألفاظ الخاصة برجال الدين ، لفظة (رشو) ، الواردة في النصوص المعينية والقتبانية ، أطلقت على من كان يقوم بخدمة الإلـه (ود) إلـه معين الرئيس و (عم) إلـه شعب قتبان الرئيس[1] . فهي في معنى سادن في لغة أهل الحجاز . ووردت لفظة (شوع) في المعينية أيضاً في المعنى نفسه . و (رشوت) (رشوة)

---

١ Handbuch, I, S. 131, 218, Katab. Texte, II, S. 80.

بمعنى سادنة وكاهنة ، مما يدل على وجود سادنات وكاهنات بين رجال الدين الجاهليين[1] .

ووردت في المعينية وفي اللحيانية لفظة (افكل) (أفكل) بمعنى (رشو) وسادن ، أي القائم بأمر الصنم ، والسادن له . فورد : (افكل ود) ، أي سادن ود[2] . وتقابل هذه اللفظة لفظة (ابكلو) Apkalu في الأكادية[3] . وعرفت السادنة والكاهنة بـ (افكلت) (أفكلة)[4] .

والسدنة ، قومة الأصنام .ومتولو أمرها . وكان أمر فتح البيت بمكة وغلقه وتولي أمره الى السادن . وهو من (بني عبد الدار) ، وقد أقر الرسول السدانة فيهم عام الفتح[5] . ويعرف السادن بـ (الحاجب) كذلك . فالسدانة والحجابة هما بمعنى واحد[6] . غير ان الحجابة تخصصت بحجابة الملوك والحكام ، فصارت وظيفة ادارية ذات مدلول خاص . فالحاجب هو الذي يتولى تقديم الناس الى الملوك أو منعهم من الوصول اليهم ، وذلك في الجاهلية وفي الاسلام. أما السدانة ، فإنها ظلت محافظة على معناها هذا الخاص بالمعابد والمواضع المقدسة. ولهذه المنزلة ولصلتها بالآلهة وبالأصنام عدت السدانة من درجات الشرف والجاه ، وكانت لأصحابها حرمة ومكانة في النفوس .

والسدانة ، تنتقل بالارث من الآباء الى أكابر الأبناء وتنحصر في الأسرة فتكون من حقها ومن نصيبها ، لا يمكن انتزاعها منها إلا بقوة لا يمكن التغلب عليها . ومن واجب العشيرة التي تنتمي هذه الأسرة اليها الدفاع عنها إن حاول غريب انتزاع هذا الشرف منها . لقد كانت سدانة الكعبة في (بني عبد الدار) ، وكانت حجابة (ود) في (دومة) الجندل الى (بني عامر الأجدار) ، (بنو الفرافصة بن الأحوص) من كلب[7] . وكانت سدنة العُزى (من بني

---

١ Arabien, S. 249.

٢ Grahmann, S. 87, Jaussen — Savignac, II, 380.

٣ Grohmann, S. 249.

٤ راجع النصوص رقم ٩ ، ١٢ ، ٢١ ، ١٠٤ ، وكتاب W. Caskel, S. 132.

٥ تاج العروس (٩/٢٣٣) ، (سدن) .

٦ Reste, S. 130.

٧ المحبر (٣١٦) . Reste, S. 130.

صرمة بن مرة) ، وكان سدنة (جهار) من (آل عوف) من (بني نصر)[1] ، وكان سدنة (سواع) (بنو صاهلة) ،من هذيل[2] . وكان سدنة بيت (الربة) أي الشمس ، من (بني أوس بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيّد بن عمرو بن تميم) ، وكان سدنة (الفلس) ، (بنو بولان) ، وكان سدنة (مناة) (الغطاريف) من الأزد . وسدنة (السعيدة) (بنو العجلان) ، وسدنة (ذو الخلصة) ، (بنو هلال بن عامر) ، وكان سدنة (ذو اللبا) ، (بنو عامر) ، وسدنة (المحرق) ، (آل الأسود) العجليّون . وسدنة (مرحب) (ذو مرحب) ، أي من يتولى أمر الصنم[3] .

وكان (مسعود) الثقفي ، زوج (سبيعة) ، وقائد ثقيف في الفجار ، من من سدنة اللات[4] . وهو من سادات ثقيف . ومن أبنائه (عروة بن مسعود) ، وأمه (سبيعة) بنت (عبد شمس) . وذكر انه الذي ذكر الله عزّ وجل في التنزيل من القريتين عظيم . وأحد أربعة اتصل سؤددهم في الجاهلية والإسلام[5] .

وكان لهذه الأسر التي تولت السدانة ، مكانة كبيرة في قومها ، فعدّت من الأسر الشريفة ذات النفوذ عند الجاهليين . وقد استفادت من النذور والقرابين التي تقدم الى بيوت الأصنام ، إذ تكون من حقها ونصيبها . وقد ظهر من (بني مخاشن بن معاوية بن شُريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم) ، حكام حكموا بعكاظ[6] . والحكومة من امارات الشرف والجاه والتقدير ، كما ظهر منها أئمة تولوا الإجازة بالمواسم ، وهي من علائم التعظيم والتفخيم عندهم .

غير ان هذا الحق لا يستوجب ولا يشترط أن تكون السدانة في أسرة من القبيلة أو الموضع الذي فيه بيت الصنم أو الأصنام ، فقد كان كثير من سدنة الأصنام من قبيلة لا تنتمي اليها من يقع بيت الصنم في أرضها . فكانت السدانة مثلاً لبني أنعم في جرش ، ولبني الغطريف في قديد ، ولبني شيبان في نخلة ،

---

١ المحبر (٣١٥) .
٢ المحبر (٣١٦) .
٣ المحبر (٣١٦ وما بعدها) .
٤ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٧ وما بعدها) .
٥ الاشتقاق (١٨٦/٢) .
٦ المحبر (١٣٤) .

ولآل أمامة في تبالة وهكذا[1] . ويظهر ان هؤلاء توارثوا هذا الحق من عهد سابق، إما لأنهم استوردوا الصنم أو تلك الأصنام الى هـذه المواضع فأقاموا فيها ، وإما لأنهم كانوا يسكنون مع قبيلتهم في تلك الأماكن ، ثم حدث لسبب من الأسباب أن جلت قبيلتهم عن الموضع . أما السدنة ، ففضلوا البقاء في الموضع الذي كانوا فيه حيث أصنامهم والبيت . ونجد مثل ذلك أيضاً عند العبرانيين[2] .

ويظهر من تفسير لفظة (صوفة) و (صوفان) ، على رأي بعض العلماء ، أن هذه الكلمة كانت تقال لكل من ولي البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة البيت أو بشيء من أمر المناسك[3] . ومعنى هذا أن خدمة البيت : بيت مكة أو غيره ، لم تكن خاصة بأهل الموضع الذي يكون فيه هـذا البيت ، بل كان من الجائز أن يتولاها أناس من أهل ذلك الموضع ، وأناس من غيرهم أيضاً كأن يقيم أشخاص في ذلك المكان ، فتطول إقامتهم به ، وتظهر منهم زعامة أو من أولادهم ، تؤدي بهم الى الاستحواذ على رئاسة البيت ورئاسة ذلك المكان ، كالذي كان من أمر (قصي) مثلاً .

ولا بد من ادخال (النسأة) ، في رجال الدين . فقـد كان الناسىء ، هو الذي ينسىء النسيء، يعين موسم الحج ويثبته للناس . فهو اذن فقيه القوم وعالمهم ومفتيهم في أمر الحج[4] .

وقد كان من أهم واجبات (النسأة) ، تثبيت وتعيين الأشهر . فقد كانت لدى الجاهليين أشهر حرم ، لها حرمة ومنزلة خاصة في نفوسهم ، لما كان لهـا من علاقـة بآلهتهم وبتعبدهم لها ، وبالحج فيهـا الى معابد الآلهة . مثل شهر (ذ الالت) (ورخن ذ الالت) ، وهو شهر خصص بالآلهة ، كما يظهر من تسميته بها . يظهر أنه كان شهر تقرب وعبادة للأرباب ، ومثل شهر (ذ عم) ، (ذو عم) ، و (عم) هو إلـه قتبان الرئيس، فيظهر أنه شهر مقدس خصص بعبادة هذا الإلـه ، أو أن يوماً أو عيداً خاصاً به ، كان يقع فيه ، فدعي لذلك باسمه . ومثل شهر (ذ حجتن) ، أي شهر (ذو الحجة) ، وهو شهر خصص

---

١ Reste, S. 130.
٢ RESTE, S. 31.
٣ الروض الانف (١/٨٥) .
٤ المحبر (١٥٦ وما بعدها) ، المعاني الكبير (٣/١١٧١) .

بالحج . ومثل الأشهر الأربعة الحرم التي تتحدث عنها الموارد الاسلامية .

والإجازة بعرفة من الأعمال التي لها تماس بالدين، فهي من شعائر الحج ومناسكه. ولا بد وان نعدّ (المجيز) ، وهو الذي يجيز الناس من المزدلفة الى منى من رجال الدين . وممن كانت له منزلة وحرمة في قومه ، لما لمركزه من أهمية في الحج .

وقد أشار (السكري) الى (أئمة العرب) ، فذكر انهم الذين تولوا أمر المواسم ، وأمر القضاء بعكاظ ، والذين كانوا سدنتهم على دينهم وأمناؤهم على قبلتهم ، وكانوا من قريش ، والذين تولوا الإفتاء في دينهم . وهم من (بني مالك بن كنانة)[1] . ولما تحدث عن (النسأة) ، قال : « نسأة الشهور من كنانة وهم القلامسة ، واحدهم قلمّس ؛ وكانوا فقهاء العرب والمفتين لهم في دينهم »[2] . والفقيه العالم (وفقيه العرب عالمهم)[3] . والفقه العلم ، (وقد جعلته العرب خاصاً بعلم الشريعة) . وفقهه تفقيهاً علمه . (ومنه الحديث: اللهم علمه الدين وفقهه في التأويل ، أي علمه تأويله)[4] .

وفي القرآن الكريم: « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين »[5]. والفقه العلم بالشيء والفهم له والفطنة[6].وقد خصصت اللفظه بعلم الفقه في الاسلام. مما يدل على أن لها صلة منذ أيام الجاهلية بالعلم وبالدين . وأن (الفقهاء) ، العلماء بأمور الدين عند الجاهليين كذلك . وفيه ألفاظ يستدل منها على وجود مفهوم العلم والعلماء والتعلم والدين وفهمه والشريعة والأحكام عند الجاهليين ، ولا تكون هذه عند قوم ليس لهم علماء ورجال دين يعلمون من هم دونهم أحكام الدين، ليتفقهوا فيه ، وليتعلموا ما هو واجب عليهم وما هو غير واجب ومفروض عليهم .

والإفتاء الإجابة عن مسألة . « ومنه قوله تعالى : قل : الله يفتيكم في الكلالة» و (الفتيا) و (الفتوى) ما أفتى به الفقيه في مسألة[7] . وقد استفتى أصحاب

---

١ المحبر (١٨١ وما بعدها) .
٢ المحبر (١٥٦) .
٣ تاج العروس (٩/٤٠٢) ، (فقه) .
٤ تاج العروس (٩/٤٠٢) ، (فقه) .
٥ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ١٢٢ ، تفسير الطبري (١١/٤٨) ، روح المعاني (١١/٤٣) .
٦ تاج العروس (٩/٤٠٢) ، (فقه) .
٧ تاج العروس (١٠/٢٧٥) ، (فتى) .

رسول الله الرسولَ في أمر النساء وإرثهن فنزل الوحي : « ويستفتونك في النساء . قل : الله يفتيكم فيهن »[1] . فقد كان أهل الجاهلية يستفتون فقهاءهم وأهل الفتيا منهم فيما يشكل عليهم من أمور الدين ، فيفتون لهم ما يرونه من رأي واجتهاد . فنحن ، اذن أمام فقه في الدين واجتهاد فيه عند أهل الجاهلية .

والإمام ما ائتم به قوم من رئيس أو غيره، كانوا على دين أو كانوا مشركين. فهو الذي يقتدى به[2] . وقد وردت الكلمة في سبعة مواضع من القرآن الكريم في حالة الإفراد ، ووردت خمس مرات في حالة الجمع ، أي (أئمة) ، أطلقت على أئمة الكفر وعلى الغواة كما أطلقت فيه على المؤمنين الهادين الى الحق . وأئمة الكفر في قوله تعالى : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وهم الذين كانوا يؤذون الرسول ، وهمّوا بإخراجه وعادوه[3] . فالإمام إمام دين وإمام دنيا : رجل دين يقتدى به ، ورئيس قبيلة وشريف قوم وسيدهم . ونظراً لقلة استعمال اللفظة في الرئاسة الدينية ولاستعمالها في معنى الرئاسة الدينية في الغالب ، ولا سيما في الاسلام حيث خصصت برئاسة دينية ، من إمامة للمسلمين ، وإمامة في الفقه ، وإمامة في الصلاة، ولعدم اطلاق الجاهليين لها على سادات القبيلة أو سادة القوم ، إلا في القليل . فإن في استطاعتنا القول انها كانت عندهم في معنى الرئاسة الدينية كما هو الحال في الاسلام .

ونجد في أخبار أهل الأخبار ما يفيد بوجود رجال دين كان لهم رأي في الخلق وفي الخالق وفي الحياة ، منهم من بشر برأيه وحاول نشره : ومنهم من تبتل واعتكف وقنع بإيمانه برأيه وبصحة عقيدته . حتى ان منهم من كان قد تبتل وتنسك وسلك طريق الزهاد في اجتناب الطيبات ولذات الحياة ، ومن ذلك أكل اللحم . فقد عرف (عبدالله بن عبد الملك بن عبدالله)[4] الغفاري ، بـ (أبي اللحم) (آبى اللحم) ، لأنه كان يأبى أن يأكل اللحم . وكان شريفاً شاعراً ، ينزل (الصفراء) ، وشهد (حنيناً) وقتل بها[5] .

---

١ النساء ، الآية ١٢٧ ، تفسير الطبري (٥/١٩١) ، روح المعاني (٥/١٤٣) .
٢ تاج العروس (٨/١٩٣) ، (أمم) .
٣ التوبة ، الرقم ٩ ، الآية ١٢ ، تفسير الطبري (١٠/٦٢) .
٤ ذكر « ابن الكلبي » أن اسمه « خلف بن عبد الملك » ، وقيل اسمه الحويرث .
٥ الاصابة (١/٢٣) ، (رقم ١) .

وعرف (عثمان بن مظعون) بتبتله ، حتى انه ابتعد عن زوجه ، فلم يقربها، وكاد ان يختصى ، حتى نهاه عن ذلك رسول الله . وكان على هـذا الرأي في جاهليته من شدة التمسك بالزهد عن الدنيا والابتعاد عن ملذاتها،وقد كان نصرانياً متأثراً بالرهبانية ، أخـذ آراءه هـذه من زهاد النصارى ، الذين غلب التصوف عليهم ، وابتعدوا عن الدنيا ، ورأوا ان الخلاص من الخطيئة والإثم،هو بالتقشف وبالابتعاد عن كل حلو محبوب في هذه الدنيا [1] .

وقد عرفت الجاهلية رجالاً آخرين كانوا مثل عثمان بن مظعون والرهبان في التأمل والتفكر والابتعاد عن الناس . وهي رهبانية حاربها الاسلام ، إذ نهى عن الرهبنة . رأى (عمر) رجلاً مطأطئاً رأسه ، فقال : ارفع رأسك ، فإن الاسلام ليس بمريض . ورأى رجلاً متماوتاً ، فقال : لا تمت علينا ديننا ، أماتك الله . ونظرت عائشة الى رجل كاد يموت تخافتاً ، فقالت : ما لهذا ؟ قيل : انه من القراء ، فقالت : كان عمر سيد القراء ، وكان اذا مشى أسرع،واذا قال أسمع، واذا ضرب أوجع[2] . وذكر ان عشرة من الصحابة اجتمعوا في بيت (عثمان بن مظعون) ، واتفقوا على ان يصوموا النهار،ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلون اللحم والودك ، ويلبسوا المسوح ، فسمع رسول الله بهم ، فنهاهم عن ذلك[3] .

و (الصارورة) والصرار الذين تبتلوا وتركوا النكاح . وهذا من فعل الرهبان . وهو معروف عند العرب . والصرورة الرجل في الجاهلية يحدث حـدثاً فيلجأ الى الكعبة ، فلا يهج ، فكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم ، قيل له هو صرورة ولا تهجه ، تعظيماً للبيت واحتراماً له[4] .

ومثل (صرمة) المعروف بـ (أبي قيس) ، وكان ترهب في الجاهليـة واغتسل من الجنابة ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك . وكان قوّالاً بالحق لا يدخل بيتاً فيه جنب ولا حائض الى أن أدرك الإسلام ، فأسلم[5] . ويظهر مـن ذلك ،

---

١ ارشاد الساري (٨/١٠ وما بعدها) .
٢ اللسان (٢/٩٤) ، (موت) .
٣ الطبرسي ، مجمع البيان (٣/٢٣٦) .
٤ اللسان (٤/٤٥٣) ، (صرر) ، تاج العروس (٣/٣٣١) ، (صرر) .
٥ الاصابة (٢/١٧٦) ، (رقم ٤٠٦١) .

أن الاغتسال من الجنابة والابتعاد عن الحائض من الشعائر التي راعاهـا المتدينون من أهل الجاهلية ، من الموحدين الذين تأثروا باليهودية ، لكنهم لم يدخلوا فيهـا ولا في النصرانية ، بل أمسكوا عن الديانتين ، ودعوا الى عبـادة واحد أحد ، وماتوا على هذا الدين .

ومثل (وكيع بن سلمة) الإيادي ، صاحب الصرح بحزورة مكة ، فقد كان كاهناً ورجل دين ، وقالوا كان صديقاً من الصديقين . اتخذ صرحاً يصعد اليـه بسلالم ، فكان يدعي أنه يناجي ربّه من ذلك الموضع[1] . وكان يعظ الناس وينصحهم بالتدين بدينه وبالابتعاد عن عبادة الأوثان ، على شاكلة الأحناف . وهو في الواقع واحد منهم ، ويجب اعتباره أحدهم ، لأن ما ينسب اليه ينسب أيضاً الى الحنفاء .

والصدّيق الكثير الصدق ، ومن صدق بقوله واعتقـاده وحقق صدقه بفعله . « قال الله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم . انه كان صديقاً نبياً . وقال تعالى : وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أي مبالغة في الصدق والتصديق »[2] . وهم من آمن بالله وصدق به وبشّر بعبادته بين الناس ، وكان باراً بنفسه وبغيره . وهي بمعنى (بار) في لغة بني إرم[3] .

وقد نسب أهل الأخبار الى رجال من الجاهليين فتاوى وأحكـام صارت سنناً في قومهم . من ذلك ما نسبوه الى (قصي) من أمور ، زعموا انها صارت سنّة احتذت بها قريش ، وان بعضاً من أحكامه بقيت الى الاسلام،فأقرها[4]، وما نسبوه الى (عامر بن الظرب) العدواني من حكم في (الخنثى) جرى حكم الاسلام به[5] . وما ذكروه من افتاء (عامر بن جشم بن غنم) ، المعروف بـ (ذي المجاسد) في التوريث على قاعدة : ان للذكر مثل حظ الانثيين ، وهو حـكم حـكم بـه الاسلام . ومن أمور أخرى ، يرد ذكرها في المواضع المناسبة من هذا الكتاب[6]، مما يدل على ان الحياة الدينية عند الجاهليين ، هي آراء وفتاوى ، أفتى بها رجال من أهل الدين والمروؤة والعقل والعـلم من أهل الجاهلية ، فأخـذ بها قوم من

---

١ المحبر (١٣٦) .
٢ تاج العروس (٦/٤٠٥ وما بعدها) ، (صدق) ، تفسير الطبري (١٦/٦٧) .
٣ غرائب اللغة (١٩٢) .
٤ المحبر (٢٣٦) .
٥ المحبر (٢٣٦) .
٦ المحبر (٢٣٦ وما بعدها) .

أتباعهم ، وساروا بموجبها . وبقي بعض منها الى الاسلام . غير ان تلك الفتاوى لم تكن عامة ، شملت كل العرب ، بل حتى كـــل قوم ذلك المفتي أو الإمام ، إذ لم تكن عند العرب سنّة واحدة ملزمة ، لسبب انهم كانوا شيعاً وقبائـــل ، ولكراهتهم الخضوع للقيود العامة ، إلا كرهاً ، وذلك في الأمور التي لا بد لهم من الخضوع لحكمها لأنها من أصول الأعراف التي يقوم عليها وجودهم مثل عرف الأخذ بالثأر .

ومن الصعب تصور وجود طبقة خاصة كبيرة لرجال الدين على نحو ما كان عند المصريين مثلاً أو الآشوريين أو البابليين أو اليونان أو الرومان، أو في الكنيسة، بسبب النظام القبلي الذي كان غالباً على جزيرة العرب . وصغر المجتمعات الحضرية. فالأصنام هي أصنام محلية ، أصنام قبيلة ، لذلك كان عبدتها هم عبدة القبيلة أو القبائل المتعبدة لها . وفي محيط اجتماعي ضيق مثل هذا المحيط ، لا يمكن ظهور طبقة خاصة برجـــال الدين ذات نفوذ واسع ، إنما تكون قدرتها بقدرة المحيط الذي تعيش فيه . ولما كانت حياة البداوة حياة بسيطة غير معقدة ، تعذر علينا أن نتصور حياة دينية معقدة عند أبناء البادية . وكل ما يمكن وجوده عندهم ، هو ما كان له علاقة بمحيطهم وبمعيشتهم البسيطة ، مثل السدانة والكهانة وأمثال ذلك مما يحتاج اليه البدوي لحل مشكلات حياته ولجلب السعادة له .

ولم أجد في نصوص الجاهليين ولا في أخبار أهل الأخبار ، ما يفيد قيام رجال الدين من أهل الجاهلية ، بتلقين الناس أصول الدين وتعاليمه ، أو شرح نصوص دينية لهم . أو تعليمهم الناس مبادىء القراءة والكتابة في المعابد على نحو ما كان يفعله اليهود والنصارى في ذلك الوقت . ولكن هذا لا يكون دليلاً عـــلى نفي وجود شيء من ذلك عندهم . فقد يجوز أن يعثر في المستقبل على نصوص تفيد بوجود ذلك عنـــدهم . ذكر أن رجلاً من (خثعم) قال : « كانت العرب لا تحرم حلالاً ولا تحلل حراماً . وكانوا يعبدون الأوثان ويتحاكمون اليها »[1] .

وفي القرآن الكريم آيات مثـــل : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم . وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم ، فلا يصل الى الله ، ومـــا كان لله ، فهو يصل الى شركائهم . ساء ما يحكمون .

---

١ ابن عساكر ، التأريخ الكبير (١/٣١٧) .

وكذلك زين لكثير من الناس قتل أولادهم،شركاؤهم ليردوهم ، وليلبسوا عليهم دينهم . ولو شاء الله ما فعلوه،فذرهم وما يفترون . وقالوا : هذه أنعام وحرث حجرٌ لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم،وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ، افتراءً عليهم ، سيجزيهم بما كانوا يفترون »[1] ، وآيات أخرى وكلمات تفيد وجود تشريع ومشرعين لدى الجاهليين ، أي رجال دين يبينون لهم الحلال والحرام وأوامر الأصنام ، ويشرعون لهم من تشريع كالذي نراه في هذه الآيات وغيرها من أحكام وضعوها للناس باسم آلهتهم ، فوبخهم الله في القرآن على افترائهم هذا على الله وعلى الأصنام التي لا تنطق ولا تعقل .

وكان من أهم واجبات رجال الدين والزهاد والمتنسكين ، الاشراف على المعابد وصيانة أموالها ، وخدمة الأصنام وتنفيذ الأحكام ، وتلبية طلبات الناس في التوسط لدى الآلهة برفع الضر والكرب عنهم ، أيام الشدة وساعات العسر . من ذلك التوسل الى الآلهة . بحفظ القوافل ، وانزال الرحمة بالناس سني القحط . ومن ذلك ما يسمونه بالاستسقاء . فقد كانوا يستسقون إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهي : سلع وعشر وشبرق ، من كل شجرة شيئاً من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة ، وربطوا بها ظهر ثور وأضرموا فيها النار، ويرسلون ذلك الثور ، فإذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط . وقد يهلك ذلك الثور فيسقون[2] .

وذكر انهم كانوا اذا أرادوا الاستمطار في الجاهلية اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ، ثم صعدوا بها في جبل وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون ان ذلك من أسباب السقيا . ولأمية بن أبي الصلت شعر في ذلك[3] .

وكان من عادة أهل مكة في الاستسقاء ، انهم كانوا اذا أجدبوا وقحطوا ، واشتدت بهم الحاجة ، خرج من كل بطن منهم رجل ، ثم يغتسلون بالماء ، ويتطيبون ، ثم يلتمسون الركن ويطوفون بالبيت العتق سبعاً،ثم يرقون أبا قبيس ،

---

١ الانعام ، الرقم ٦ ، الآية ١٣٧ وما بعدها .
٢ السيرة الحلبية (١/١٣٢) .
٣ الحيوان (٤/٤٦٦ وما بعدها) .

فيتقدم رجل منهم ، يكون من خيارهم ، ومن رجال الدين فيهم ، ممن يتبركون به ، فيدعو الله ويستغيث ، طالباً الرحمة والغوث بالمتوسلين اليه . ويذكرون ان (عبد المطلب) ، كان ممن استسقى لأهل مكة ولغيرهم مراراً [1] .

التبرك برجال الدين :

ويظهر من أخبار أهل الأخبار ، ان رجال الدين من أهل الجاهلية كانوا يباركون أتباعهم ويقدسونهم ويلمسون رؤوسهم لمنحهم البركة والشفاء من الأمراض. فكان أحدهم يضع يده على رأس مريض ، أو يلمس جبهته ، ليمنحه بركة تشفيه ، أو عافية تصيبه ، أو تبركاً وتقرباً بذلك الى الآلهة . وكانوا يتفلون في فم الصبيان ، لتكون التفلة بركة لهم ، وعافية ، وشفاء من مرض ، أو علماً يصيب الصبي ، حينما يكون رجلاً .

ويظهر من القرآن ومن الحديث النبوي ، ان أهل الكتاب من الجاهليين كانوا يبالغون في التقرب من رجال دينهم وفي التبرك بهم ، حتى انهم كانوا يتسابقون في الحصول على قطعة من ملابس أوليائهم ورجال دينهم ورهبانهم ونسّاكهم للتبرك بها ، وفي شعر امرىء القيس،وشعر غيره إشارة الى هذا التبجيل والتعظيم .

تنفيذ الأحكام :

ولم يكن تنفيذ الأحكام الدينية إلزامياً ، انما كان عن طاعة وموافقة . ثم إن العرب لم يكونوا على دين واحد يرجع الى شرائعه ، حتى يلزم المرء بتنفيذ ما جاء في حكمه [2] . فكان أمر إطاعة أحكام رجال الدين رهناً بمكانة رجل الدين وبما له من هيبة ونفوذ بين قومه .

وقد رأينا أن من الناس من كان يثور حتى على آلهته ، إذا وجد أنها لم تلبّ طلباته . وأنه كان يتوسل اليها ويلوذ بها لمساعدته عند الشدة ، ثم يهددها ويتوعدها

---

١ السيرة الحلبية (١/١٣٢ وما بعدها) .
٢ اليعقوبي (١/٢٢٧) ، (حكام العرب) .

بالابتعاد عنها وبترك زيارتها وبنبذها ، إن هي صمت آذانها عنه ، ولم تجب مـا طلبه منها . وقد قصصنا حكايـة امرىء القيس مع صنمه ، اذ رمى السهام في وجهه وعنفه وشتمه ، لأن جواب الاستقسام لم يكن على نحو مـا كان يريد . ولم يكن ذلك من عمل أهل الجاهلية وحدهم ، بل نجد وقوع مثل هذه الحوادث في الاسلام أيضاً .

وقد رأينا أن في الجاهليين — كما في كل قوم — أناس كانوا لا يقيمون وزناً لحلال أو حرام ، فكانوا يستحلون المظالم ، ولا يجعلون للحرمات حرمة،ويعتدون في الأشهر الحرم . كانوا إذا حضروا الأسواق ، أباحوا لأنفسهم الاعتداء فيهـا على أموال الناس فسمّوا : « المحلون » . ومنهم قبائل من أسد وطيء وبني بكر ابن عبد مناة بن كنانة ، وقوم من بني عامر بن صعصعة[1] . فهؤلاء لا يعرفون الحـلال ولا الحرام ، والشهور والأيام عندهم سواء بسواء ، يغزون فيهـا متى شاؤوا ، حتى في الأشهر الحرم . اذا لا حرمة عندهم لشهر .

وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر ، فيسمون الذادة المحرمون[2] . وهم من بني عمرو بـن تميم ، وبني حنظلة بن زيد مناة ، وقوم من هذيل ، وقوم من بني شيبان ، وقوم من بني كلب بن وبرة . فكانوا يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس . وكـان العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم .

ولم تكن للجاهليين أحكام في الحلال والحرام بالنسبة الى المأكول على ما يظهر ، بل كان مرجع الحرمة والإباحة عندهم الى عرف القبائـل . فلـما نزل الأمر في الاسلام بتحريم أكـل الميتة ، أي الحيوان الميت ، عجبت قريش من ذلك ، واحتجوا قائلين : كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون مما قتل ، وتأكلون أنتم مما قتلتم؟ وكانوا يقولون ما الذي يموت ، وما الذي تذبحون إلا سواء . وذكر « ان ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها ؟ فقال الله قتلها . قالوا : فتزعم ان ما قتلت أنت

---

١ اليعقوبي (١/٢٤٠) ، (أسواق العرب) .

٢ اليعقوبي (١/٢٤٠) ، (أسواق العرب) .

وأصحابك حلال ، وما قتله الله حرام ! »[1]. وذكر ان فارس أوحت الى أوليائها من مشركي قريش ان خاصموا محمداً وقولوا له : ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله بشمشار من ذهب ، فهو حرام . فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء »[2] . فقد كانت قريش تأكل كل شيء ، من ميتة ومختنقة ومن نطيحة وما أكل السبع وما أهل للصنم ، فنزل تحريم ذلك في الاسلام .

وذكر انهم كانوا يقطعون يسيراً من حلق الشاة ويتركونها حتى تموت، يجعلون عملهم هذا ذكاة لها . وقيل : ذبيحة الشريطة ، هي انهم كانوا يشرطونها من العلة ، فإذا ماتت ، قالوا : قد ذبحناها . وذكر ان الشريطة الشاة أثر في حلقها أثر يسير كشرط المحاجم ، لا يستقصى في ذبحها ، والشريطة أيضاً المشقوقة الأذن من الإبل ، لأنها شرطت آذانها ، واذا كان التعريف الأول صحيحاً ، فإن معنى هذا انهم كانوا يراعون بعض الأحكام في الذبح ، أي ان لهم أحكاماً دينية في كيفية الذبح . وقد نهى الاسلام عن أكل الشريطة[3] .

واستباح الجاهليون أكل (النطيحة) ، وهي المنطوحة التي ماتت من النطح . واستباحوا أيضاً أكل الفريسة والأكيلة والرمية[4] .

وقد كان رجال الدين وسادات القبائل ، يحرمون بعض الأشياء على أنفسهم، إذا شعروا بوجود ضرر بها ، وبأن في فعلها إلحاق أذى في الإنسان وخدشاً في الإسم . فحرم بعض رجال الجاهلية الخمر على أنفسهم تكرماً وصيانة لأنفسهم . منهم عامر بن الظرب العدواني ، وقيس بن عاصم ، وصفوان بن أميّة بن محرث الكناني ، وعفيف بن معديكرب ، وسويد بن عدي بن عمرو بن سلسلة الطائي، وغيرهم . لما وجدوا فيها من ضرر على الأبدان ، وأثر في العقل ، واضاعة للمال[5] . وورد في بعض الموارد أن أول من حرم الخمر في الجاهلية (الوليد بن المغيرة) ، وقيل : (قيس بن عاصم) ، ثم جاء الإسلام بتقريره[6] .

---

١ تفسير الطبري (٨/١٢ وما بعدها) .
٢ تفسير الطبري (٨/١٣) .
٣ تاج العروس (٥/١٦٧) ، (شرط) .
٤ تاج العروس (٢/٢٤٠) ، (نطح) .
٥ الأمالي ، للقالي (١/٢٠٤ وما بعدها) .
٦ صبح الاعشى (١/٤٣٥) .

وذكروا أن أول من حرم القمار في الجاهلية (الأقرع بن حابس) التميمي ، ثم جاء الإسلام بتقريره . وأن أول من رجم في الزنا في الجاهليـــة (ربيعة بن حدّان) ، ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن . وأول من حكم أن الولد للفراش اكثم بن صيفي ، حكيم العرب ، ثم جـاء الإسلام بتقريره . وأن أول من قطع في السرقة في الجاهلية : (الوليد بن المغيرة) ، ثم جاء الإسلام بتقريره . وان أول من سنّ الدية مائة من الإبل (عبد المطلب) جد النبيّ ، ثم جاء الإسلام بتقريرها . وأن أول من أوقد النار بالمزدلفة ، قصي بن كلاب ، وان أول من أظهر التوحيد بمكة (قس بن ساعدة الإيادي)[1] .

ولكننا نجدهم يتقيدون بعرفهم وعاداتهم تقيداً شديداً ، والعرف عنـــدهم هو ما استقر في نفوسهم وثبت في ذهنهم ، حتى صار في حكم الدين عندهم ، فلا يجوز لأحد الخروج عليه وكسر حكمه . وعرف القبيلة ، الذي هو دينها ، هو الذي يعين لها الحرام والحلال ، والمباح والمحرم . وأحكام رجال القبيلة من رؤساء وسادة وحكّام ، هي منبع التشريع والإفتاء في أمور الدين والحق في القبيلة . وما يلائم طبيعة القبائل ، ويناسب عقليتها وينبع من محيطها ، يكون ديناً على القبائل إطاعته ، لأنه في صالحها جميعاً ، ولأن في مخالفته ضرراً بالغاً ، فصـار من ثم في درجة أحكام الشرع عندها .

ومن قبيل الأعراف التي صارت ملزمة عندهم لكل أحد ، وفي حكم الأحكام اللزومية ، وجوب احترام العقود والعهود وما اتفق عليه من عهود . مثل مراعاة الأشهر الحرم بالنسبة للمحرمين . فـــلا يجوز لأحد القتال فيها ولا الاعتداء على أحـــد ، ولو كان قاتلاً مطلوباً بدم . ومثل مراعاة حرمـــة الأماكن المقدسة ، كالمسجد الحرام ، فلا يجوز لأحد التعرض لحيوان لجأ اليه ، أو لانسان لاذ به ، ولو كان قاتلاً . وهذا ما حمل البعض على ملازمة (البيت الحرام) وعدم الخروج منه ، لأنه غير آمن على نفسه ، ولأنه مطلوب بدم .

ومثل ما كان يفعله الناس من التمسك بالعهود والمواثيق والأحلاف. وقد عيب رجلان قتلا رجلين كانا تقلدا لحاء شجر الحرم الذي كان أهل الجاهلية يتقلدونه ،

---

١ صبح الاعشى (١/٤٣٥ وما بعدها) .

ليأمنوا به على أنفسهم ، لأنهما قد خالفا بذلك العهود وما اتفق عليه من وجوب مراعاة الحرمات[1] .

وقد كان من عرفهم : انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر مكة، فيقيم الرجل بمكانه ، حتى اذا انقضت الأشهر الحرم فأراد ان يرجع الى أهله قلّد نفسه وناقته من لحاء الشجر فيأمن حتى يأتي أهله . وكان من عرفهم في رواية من روايات أهل الأخبار ، انهم اذا خرجوا من بيوتهم يريدون الحج ، تقلدوا من لحاء السمر ، واذا أرادوا العودة الى ديارهم تقلدوا قلادة شعر ، فلم يعرض لهم أحد بسوء[2] . وذكر أيضاً ، ان الرجل منهم ، كان يتقلد قلادة من لحاء شجرة من شجر الحرم ، ثم يذهب حيث يشاء ، فيأمن بذلك[3] . وان اهل مكة كانوا يفعلون ذلك في تجارتهم ، فيضعون القلائد في أعناقهم وفي أعناق بهائمهم ، فلا يعرض لهم أحد بسوء . إذ كانوا يرون الوفاء بالميثاق عهداً في أعناقهم ودِيناً يلزمهم بالوفاء في أحكامه .

كسوة رجال الدين :

يقول أهل الأخبار في معرض كلامهم على كسوة العرب : « وأما أهل الحضر وسكنة المدر منهم ، فكانوا يتفننون في لبوسهم ، ويختلفون في كسوتهم ، فكان الكاهن لا يلبس المصبغ والعرّاف لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر ؛ والشاعر منهم كان اذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلاً واحدة ، وكان لحرائر النساء زيّ ، ولكل مملوك زي ، ولذوات الرايات زي .. »[4] . فيظهر من قولهم هذا انه قد كان لرجال الدين أو لبعض منهم زي ، يميزون أنفسهم به عن بقية الناس ، وهو شيء معروف عند البشر من قديم الأيام الى اليوم. فلا نستبعد وجود زي خاص لرجال الدين عند الوثنيين الجاهليين . أما رجال الدين من أهل الكتاب ، فقد كانوا يتزيون بزي خاص يميزهم عن بقية أتباعهم . وقد نص على ذلك أهل الأخبار .

---

١ ألم تقتلا الحرجين اذ أعودا كما يمران بالايدي اللحاء المضفرا
تفسير الطبري (٦/٣٨) .
٢ تفسير الطبري (٦/٣٧ وما بعدها) .
٣ المصدر نفسه .
٤ بلوغ الارب (٣/٤٠٧) .

الفصل التاسع والستون

الاصنام

نجد في كتاب الأصنام لابن الكلبي وفي المؤلفات الإسلامية الأخرى ، أسماء عدد من الأصنام كان الجاهليون يعبدونها ، وهي على الأكثر أصنام كان يتعبد لها أهل الحجاز ونجد والعربية الشمالية،وذلك قبيل الإسلام . ومن هذه الموارد الإسلامية استقينا علمنا عن هذه الأصنام[1] .

وقد ذكر أهل الأخبار ان بعض هذه الأصنام اناث . وهن اللات ، والعزى ، ومناة . وهي أصنام ذكرت في القرآن الكريم : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى »[2] . ويجب ان نضيف اليها الشمس .

اللات :

واللات من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب . ذكر ابن الكلبي أنه كان صخرة مربعة بيضاء ، بنت ثقيف عليها بيتاً صاروا يسيرون اليه ، يضاهون به

---

١ كتاب الاصنام ، لابن الكلبي ، بتحقيق المرحوم ، أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٥ م (مطبعة دار الكتب المصرية) ، (كتاب الاصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك اسمه) ، الفهرست (١٢٥) ، (الرد على عبدة الاوثان) ، معجم الادباء (١/١٣٢) ، (كتاب الاصنام) ، للجاحظ ، وقد نقل منه النويري ، نهاية الارب (١٦/١٥) .

٢ سورة النجم ، الآية ٢٠ .

الكعبة ، وله حجبة وكسوة ، ويحرمون واديه . وكانت سدانته لآل أبي العاص ابن أبي يسار بن مالك من ثقيف ، أو لبني عتاب بن مالك . وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه أيضاً ، ويتقربون اليه ، حتى أن ثقيفاً كانوا إذا ما قدموا من سفر ، توجهوا الى بيت اللات أولاً للتقرب اليه ، وشكره على السلامة ، ثم يذهبون بعد ذلك الى بيوتهم[1] . فيتبين من ذلك أن معبد اللات الشهير كان في مدينة الطائف ، مركز قبيلة ثقيف ، يقصده الناس للتبرك به . وقد كانت له معابد كثيرة منتشرة في مواضع عديدة من الحجاز .

وذكر ابن كثير ان اللات (صخرة بيضاء منقوشة ، عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش)[2] ، فلم تكن صخرة اللات صخرة ملساء حسب ، بل كانت الى ذلك منقوشة ، وكانت في داخل بيت له أستار على شاكلة الكعبة . والفناء هو حرم معظم عند أهل الطائف ، تعظيم قريش لحرم البيت . حرم على الناس قطع شجره ، وصيد حيوانه ، ومن دخله صار آمناً[3] .

وكانت تحت صخرة اللات حفرة يقال لها (غبغب) ، حفظت فيها الهدايا والنذور والأموال التي كانت تقدم الى الصنم . فلما هدم المغيرة الصنم أخذ تلك الأموال وسلمها الى أبي سفيان امتثالاً لأمر الرسول[4] .

ويظهر من وصف أهل الأخبار لبيت اللات انه كان على طراز البيت بمكة من حيث المنزلة والاحترام والكسوة . فقد كان يكسى في كل عام كسوة . ويظهر ان ثقيفاً اتخذت له سدنة وخدماً يقومون بحراسة البيت وخدمته وتنظيفه على نحو

---

١ البلدان (٧/٣١٠) (اللات) ، الاصنام (١٦) ، اللسان (٢/٣٨٨) ، تاج العروس (١/٥٨٠) المحبر (٣١٥) ، الواقدي (٣٨٤ وما بعدها) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، بلوغ الارب (٢/٢٠٣) ، قاموس المحيط (١/١٥٦) ، تفسير البحر المحيط ، لابي حيان الاندلسي (٨/١٦٠ وما بعدها) ، (الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ) ، تفسير الطبري (٢٧/٥٨ وما بعدها) ، فتح الباري (١٠/٢٣٥ ، ٢٥٣) ، (تفسير ابن كثير (٤/٢٥٣) .

٢ تفسير ابن كثير (٤/٢٥٣ وما بعدها) .

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (١١١ وما بعدها) .

٤ الطبري (٣/٩٩ وما بعدها) (دار المعارف) ، Reste, S. 31.

ما كان في مكة وفي بيوت الآلهة الأخرى[1] .

ويرى ابن الكلبي ان الصنم (اللات) ، هو أحدث عهداً من مناة[2] . أما نحن، فلا نستطيع ان نجرؤ فنقول بهذا القول ، لأن الصنمين هما من الأصنام القديمة التي ورد ذكرها في كتابات النبط والصفويين ، ثم ان (هيرودوتس) أشار الى (اللات) ، كما سأذكر ذلك . وليس من السهل حتى بالنسبة الى ابن الكلبي أو غيره ، ممن تقدم عليه بالزمن الحكم على زمن دخول عبادة الصنمين الى جزيرة العرب ، لأن ذلك يعود الى زمن سابق لا تصل ذاكرة الرواة اليه .

ومكان بيت اللات في موضع مسجد الطائف، أو تحت منارة مسجد الطائف. وقد عرف البيت الذي بني على اللات بيت الربة ، ويقصدون بالربة اللات ، لأنه أنثى في نظر عابديه[3] . ولا ندري أكان انشاء مسجد الطائف على موضع معبد اللات رمزاً لحلول بيت الله محل بيت الربة، وبيت الأصنام ، وتعبيراً عن حلول الإسلام محل عبادة اللات والأصنام ، أم كان ذلك لسبب آخر ، هو وجود أسس سابقة وحجارة قديمة موجودة ، فاستسهل لذلك إقامة بناء المسجد في هذا المكان ؟ وقد فسر بعض المستشرقين إقامة المسجد في هذا المكان ، بأنه تخليد لذكرى الوثنية في نفوس بعض من أسلم لسانه وكفر قلبه ، فسرهم قيام المسجد في هذا المكان ليبقى أثراً يذكرهم بذكرى صنمهم القديم اللات[4] .

وللأخباريين روايات عن صخرة اللات ، منها أنها في الأصل صخرة كان يجلس عليها رجل ، يبيع السمن واللبن للحجاج في الزمن الأول ، وقالوا : إنها سميت باللات لأن عمرو بن لحي كان يلت عندها السويق للحجاج على تلك الصخرة، وقالوا : بل كانت اللات في الأصل « رجلاً من ثقيف . فلما مات ، قال لهم عمرو بن لحي : لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمر بعبادتها ، وأن يبنوا بنياناً يسمى اللات » . وقالوا : « قام عمرو بن لحي ، فقال لهم : إن ربكم كان قد دخل في هذا الحجر ، يعني تلك الصخرة، نصبها لهم صنماً يعبدونها. وكان فيه وفي العزى شيطانان يكلمان الناس ، فاتخذتها ثقيف طاغوتاً ، وبنت لها

---

١ Das Gotzenbuch, S. 93.
٢ الاصنام (١٦) .
٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٢) .
٤ العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٢) .

بيتاً ، وجعلت لها سدنة ، وعظمته ، وطافت به » . وقيل : « كانت صخرة مربعة ، وكان يهودي يلت عندها السويق »[1].

وذكر المفسر (أبو السعود) أن هناك رواية تزعم أن حجر اللات كان على صورة ذلك الرجل الذي قبر تحته ، وهو الذي كان يلت السويق ، فلما مات ، عكفوا على قبره فعبدوه[2] . وقيل إن اللات : الذي كان يقوم على آلهتهم ، ويلت لهم السويق[3] .

فنحن أمام رأي يزعم ان (اللات) انسان في الأصل مات ، وكان يخدم الأصنام ، فيتقدم اليها يلت السويق ويعطيه للناس ، فلما توفي ، دفن في موضعه الذي كان يلت السويق عنده ثم اتخذ قبره مزاراً، كما اتخذت قبور أخرى مزارات ينحر عندها ويتبرك بها الناس ، ولهذا نهى الاسلام ، عن اتخاذ القبور مزارات، حتى لا تعظم من دون الله ، كالذي حدث عند الجاهليين[4] .

وذكر بعض أهل الأخبار ان صنم اللات انما سمي لاتاً ، من (لوى ، لأنهم كانوا يلون عليها ، اي يطوفون)[5] ، ويعتكفون للعبادة عنده[6] . ومعنى هذا ان عبّاد هذا الصنم لم يكونوا يكتفون بالذبح عنده ، بل كانوا يطوفون حوله ، طوافهم حول أصنام أخرى . وذكر انه سمي لاتاً ، من اللتات، وكل شيء يلت به سويق أو غيره نحو السمن[7] .

ولدينا رأي آخر في سبب تسمية اللات لاتاً ، خلاصته : « ان الناس اشتقوا اللات من اسم (الله) ، فقالوا (اللات) ، يعنون مؤنثه منه »[8] . وذكر

---

١ الاصنام (١٦ وما بعدها) ، البلدان (٧/٣١٠) (اللات) ، النقائض (١٤١) ، تاج العروس (١/٥٨٠ وما بعدها) ، اللسان (٢/٣٨٨) ، روح المعاني (٢٧/٤٧ وما بعدها) ، الازرقي ، أخبار مكة (٧٩ وما بعدها) (طبعة لايبزك) ، تفسير الخازن (٤/١٩٤ وما بعدها) .

٢ تفسير أبي السعود (٥/١١٢) .

٣ تفسير الطبري (٢٧/٣٥) .

٤ كان النهي عن ذلك في أول ظهور الاسلام ، ثم أذن به ، بدلالة الحديث : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور . ألا فزوروها ، فانها تذكركم بالآخرة) .

٥ تفسير البيضاوي (١/١٩٩) (سورة النجم) .

٦ روح المعاني (٢٧/٣٧ وما بعدها) .

٧ اللسان (٢/٨٣) (بيروت ١٩٥٥) .

٨ تفسير ابن كثير (٤/٢٥٣ وما بعدها) .

الطبري ان « اللات هي من الله ، ألحقت فيه التاء ، فأنثت ، كما قيـــل عمرو للذكر وللأنثى عمرة ، وكما قيل للذكر عباس ثم قيل للأنثى عباسة »[1] .

وورد في بعض روايات أهل الأخبار ان الثقفي الذي كان يلت السويق بالزيت ويقدمه للناس ، لما توفي قبر في موضع اللات ، فعكفوا على قبره، فعبدوه وجعلوه وثناً ، وزعم بعض آخر انه قبر عامر بن الظرب العدواني[2] . فترى هذه الروايات ان (بيت الربة) ، هو قبر رجل ، دفن فيه ، فعبد وصير إلهاً . وزعم قوم انه كان رجلاً من ثقيف ، يقال له (صرمة بن غنم) ، وكان يسلأ السمن ، فيضعه على صخرة ، فتأتيه العرب ، فلما مات ، عبدته ثقيف[3] .

وتفسير أهل الأخبار لاسم (اللات) ، هو بالطبع من تفسيراتهم المألوفة الكثيرة التي لا يمكن أن نثق بها ، ولا يمكن أن نحملها على محمل الصدق والعلم . فالاسم هو من الأسماء القديمة التي عرفت قبل الميلاد . ويرى بعض المستشرقين أنه ادغام وسط بين (الالاهت) (ال سال هت) Al Alahat والإدغام التام (اللات) (ال لت) Allat ، على نحو مـــا حدث للفظ الجلالة : (الا لاه) (ال ــ ال ه) الذي صار (الله)[4] .

وفي قول أهل الأخبار أن صخرة اللات كانت ليهودي ، يلتّ عندها السويق، أو لرجل من ثقيف ، غمز وطعن في ثقيف ، وقد غمز بها في أمور أخرى أشرت اليها في مواضع أخرى . ويعود سبب هذا الغمز الى المنافسة التي كانت بين أهل الطائف وأهل مكة ، ثم الى الكراهية الشديدة التي حملها أهل العراق وأهل الحجاز وغيرهم للحجاج لأعماله القاسية ، وعدم مبالاته ومراعاته للحرمات حتى بالنسبة الى الكعبة ، مما حمل الناس على كرهه وكره قومه ثقيف ، وعلى وضع قصص عن تقيف .

ولا يستبعد أن تكون صخرة اللات صخرة من هذه الصخور المقدسة التي كان يقدسها الجاهليون ومن بينها (الحجر الأسود) الذي كان يقدسه أهل مكة ومن

---

١ تفسير الطبري (٣٤/٢٧) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ وما بعدها) .
٢ روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (١١٢/٥) (سورة النجم) .
٣ الخازن (١٩٤/٤ وما بعدها) .
٤ رينه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٤) .

كان يأتي الى مكة للحج وفي غير موسم الحج ، لذلك كانوا يلمسونه ويتبركون به . وإذا أخذنا برأي ابن الكلبي من أن عمرو بن لحي قال للناس : « إن ربكم كان قد دخل في هذا الحجر » ، أو أن الرجل الذي كان عند الصخرة لم يمت، ولكن دخل فيها أو أن روح ميت حلت فيهـــا ونظرنا الى رأيه هذا بشيء من الجد ، فلا يستبعد أن يشير هذا الرأي الى ما يسمى بـ (الفتيشزم) fetichism أي عبادة الأحجـــار في اصطلاح علماء الأديان . ويعنون بها عبادة الأرواح التي يزعم المتعبدون لها أنهـــا حالة في تلك الأحجار ، وخاصة الأحجار الغريبة التي لم تصقلها الأيدي ، بل عبدت على هيأتها وخلقتها في الطبيعة ، وهي من العبادات المنحطة بالنسبة الى عبادة الصور والتماثيل والأصنام [1] .

وذكر ان قريشاً تعبدت للصنم اللات بموضع نخلة عند سوق عكاظ ، وقيـــل انه كان بالكعبة [2] . وذكر ان (اللات بيت كان بنخلة تعبده قريش)[3]. ويلاحظ ان من أهل الأخبار من جعل العزى بيتاً كان بنخلة [4] أي هذا البيت المذكور .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ان منهم من رأى ان اللات بيت للصنم ، الذي كان بالطائف ، وان منهم من رأى انه كان بنخلة تعبده قريش . وأما عباد البيت الأول ، فهم ثقيف . ولا أستبعد وجود بيوت عبادة أخرى في غير هذين المكانين في الحجاز وفي غير الحجاز .

واللات من الآلهة المعبودة عند النبط أيضاً ، وقد ورد اسمها في نصوص(الحجر) و (صلخد) و (تدمر) ، وهي من مواضع النبط[5] . وهو (هـ ل ت) (هـ ــ لت) (هـ ــ لت) في النصوص الصفوية [6] ، ومعناها (اللات) ، لأن (الهاء) حرف تعريف في اللهجة الصفوية . وقد ذكر أكثر من ستين مرة في الكتابات الصفوية . وهو أكثر آلهة الصفويين وروداً في نصوصهم ،ويدل ذلك على شيوع عبادته بينهم[7] .

---

١ Robertson, p. 209.

٢ الخازن (١٩٤/٤ وما بعدها) ، البيضاوي ، سورة النجم (١٩٩/١) ، روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) .

٣ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

٤ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .

٥ Reste, S. 32, Vogue 6, 8, Euting 3, Waddington 2203, Dussaud - Macler. Mission, p. 55.

٦ Ency. Religi., I, P. 661.

٧ العرب في سوريا قبل الاسلام ، (١١١) .

ويذكر الباحثون ان النبط عدّوا اللات أماً للآلهة ، وهي في نظر (روبرتسن سمث) الإلهة الأم لمدينة (بطر) ، وتقابل الإلهة Artemis عند أهل قرطاجة[1] . وقد عبدت اللات في تدمر ، وفي أرض (مدين) عند اللحيانيين[2] . وقد وصف (أفيفانيوس) Epiphanius معبد الإلهة اللات في مدينة (بطرا) ، فذكر انه معبد (الأم العذراء Virgin mother . كما انها كانت معبودة عند أهل (الوسة) (الوس) Elusa كذلك . ويظهر ان عبادتها كانت قد انتقلت من النبط ومن القبائل العربية الشمالية الى أهل الحجاز[3] .

وصنم اللات ، هو (أليلات) (أللات) Alelat = Alilat المذكور في تأريخ (هيرودوتس) . ذكر أنه من آلهة العرب الشهيرة[4] . والتسمية عربية النجار ، وقد غيرت تغييراً طفيفاً ، اقتضته طبيعة اللغة اليونانية ، فذكره (هيرودوتس) على النحو المذكور . فهـذا الصنم إذن هو أول صنم عربي يرد اسمه في نص مؤرخ يوناني . وهو يقابل الإلـه Minerva أي (أثينة) Athene عند اليونان[5].

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن (اللات) تمثل (الشمس) ، وهي أنثى أي إلهة[6] أما (رينه ديسو) ، فيرى أنها لا تمثل الشمس ، وانما تمثل كوكب الزهرة ، وخطأ رأي من يقول إن اللات الشمس[7] .

وقد انتهت الينـا أسماء رجال أضيفت إلى اللات ، مثل : (تيم اللات) ، و (زيد اللات) ، و (عائذ اللات) ، و (شيع اللات) ، و (شكم اللات) ، و (وهب اللات) وما شاكل ذلك من أسماء . ومما يلفت النظر أننا لم نلاحظ ورود اسم (عبد اللات) بين أسماء الجاهليين[8] .

وقد أقسموا باللات ، كما أقسموا بالأصنام الأخرى ، ونسب الى أوس بن حجر قوله[9] :

---

١ Smith, p. 56, Reste, S. 33.
٢ Arabien, S. 82.
٣ Smith, p. 56, Das Gotzenbuch, S. 91.
٤ Herodotes, I, 181, III, 8, Arabien, S. 82.
٥ Arabien, S. 82.
٦ Ency. Religi., I, p. 661.
٧ العرب في سوريا قبل الاسلام (١١٥) .
٨ الاصنام (١٨) ، المحبر (٢١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥٠ ، ٤٥٣) .
٩ الاصنام (١١) ، (روزا) .

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ، ان الله منهن أكبر

وهدم اللات في جملة ما هدم من الأصنام، وأحرق البيت وقوضت حجارته ، هدمه بأمر الرسول المغيرة بن شعبة في أغلب الروايات . وكان الناس ينظرون الى هدمه في خوف وفزع وهلع خشية أن ينالهم شيء من أذى انتقاماً منهم ، لأنهم لم يدافعوا عن بيت ربتهم ، وكانت نساء ثقيف حسراً يبكين عليه . فلما انتهى الهدم ، ولم يحدث لهن شيء، أخذ المغيرة مالها وحليها من الذهب والجزع وأعطاه أبا سفيان ، وكان الرسول قد أرسله مع المغيرة في وفد ثقيف الذي جاء اليه عارضاً عليه الاسلام ، فأخذه منه أبو سفيان ، ليقضي من مال اللات دين عروة والأسود ابني مسعود[1] .

ولما أصيبت ثقيف بهزيمة ، واحتمت بالطائف قال الشاعر :

وفرّت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر[2]

ويظهر من هذا الشعر الذي ينسب الى (شداد بن عارض الجشمي) ، وقد قاله حين هدمت وحرقت اللات :

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر ؟
ان التي حرقت بالنار فاشتعلت ، ولم تقاتل لدى أحجارها ، هدر
ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن ، وليس بها من أهلها بشر

ان ثقيفاً بقيت مخلصة لصنمها مؤمنة به ، حتى بعد هدمه وتحريقه ، فقال الشاعر شعره ، ينهى ثقيفاً عن العود اليها والغضب لها[3] .

ويظهر من بيت ينسب الى كعب بن مالك الأنصاري ، هو قوله :

ونسي اللات والعزى وودّاً ونسلبها القلائد والسيوفا[4]

---

١ الطبري (٣/٩٩ وما بعدها) ، البلدان (٧/٣١٠) ، البداية والنهاية (١/١٤٩) ، نهاية الارب (١٨/٥٩ وما بعدها) ، ابن سيد الناس ، عيون الاثر (٢/٢٢٩ وما بعدها) ، ابن هشام (٢/٣٢٦) ، الروض الانف (٢/٣٢٦) .
٢ الاغاني (١٩/٨٠) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م (حـ١) (ص ٤) .
٣ الاصنام (١١) (روزا) ، الاصابة (٢/١٣٩) ، (رقم ٣٨٥٢) .
٤ ابن هشام (١/٦٣) (هامش روض الانف) .

ان الناس كانوا يعلقون القلائد والسيوف على تلك الأصنام . وروايات الأخباريين تؤيد هذه الدعوى ، إذ نذكر ان الجاهليين كانوا يقدمون الحلي والثياب والنفائس وما حسن وطاب في أعين الناس هدية ونذوراً الى الأصنـــام ، فكانوا يعلقون ما يمكن تعليقه عليها ، ويسلمون الأشياء الأخرى الى سدنة الأصنام .

وقد ذكر الرحالة الانكليزي (جيمس هاملتون) ان صخـــرة اللات كانت لا تزال في ايامه بالطائف . وقد شاهدها فوصفها بأنها صخرة من الغرانيت ذات شكل خماسي ، وان طولها زهاء اثني عشرة قدماً [1] .

ويظهر انه كان للات بيت وقبة يحملها الناس معهم حين يخرجون الى قتال ، فينصبان في ساحة الجيش ، ليشجع المحاربون فيستميتوا في القتال ، وينادي المنادون بنداء تلك الأصنام مثل : يا للات ، وقد كانت لبقيـــة الأصنام بيوت وقباب أيضاً [2] . وعادة حمل الأصنام الى المعارك والحروب واشراكها مع الناس في القتال بإحضارها ساحة المعارك عادة قديمة، معروفة عند العرب وعند غيرهم . وقد سبق أن قلت إن الآشوريين ذكروا أنهم أسروا أصنام (أريبي) العرب في أثنـــاء قتالهم معهم ، أسروها مراراً ، وكانوا يثبتون عليها خبر الأسر ، كما أن الفلسطينيين والعبرانيين وغيرهم كانوا يحملون معهم أصنامهم في القتال [3] .

العُزى :

والعُزى صنم أنثى كذلك ، وهي أحدث عهداً في نظر ابن الكلبي من اللات ومناة . وأما الذي اتخذ العُزى على روايـة ابن الكلبي ، فهو ظـــالم بن أسعد . وضعت (بواد من نخلة الشامية ، يقال له حراض ، بأزاء الغمير ، عـــن يمين المصعد الى العراق من مكة ، وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعـة أميال ، فبنى عليها بساً (يريد بيتاً) . وكانوا يسمعون فيه الصوت)[4] وينسب اليه بيت العزى كذلك .

---

١ James Hamilton, Sinai, The Hegaz and Soudan, London, p. 150, (1857).

٢ Das Götzenbuch, S. 83.

٣ صموئيل الاول ، الاصحاح الرابع ، الآية ٥ وما بعدها ، صموئيل الثاني ، الاصحاح الخامس ، الآية ٢١ ، الاصحاح ١١ ، الآية ١١ .

٤ الاصنام (١٧ وما بعدها) ، البلدان (٦/١٦٥) (العزى) ، سبائك الذهـــب (١٠٤) ، بلوغ الارب (٢/٢٠٣ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٢٧/٣٥) ، المحبر (١٢٤ ، ٣١١ ، ٣١٥) ، تفسير الطبرسي (٢٧/١٧٥) (طهران) .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان (العزى) كان بيتاً بالطائف تعبده ثقيف. ويظهر ان هذا اشتباه قد وقع لهم ، وأنهم خلطوا بين اللات والعزى ، فتوهموا أن بيت اللات هـو العزى فقالوا ما قالوه . ونجد في تفسير الطبري تأييداً لهذا الرأي [1] .

وورد في بيت شعر ينسب الى (حسان بن ثـابت) ان بيت العزى كـان (بالجزع من بطن نخلة)[2] .

ويظهر أن العزى كانت (سمرات) ، لها حمى ، وكان الناس يتقربون اليها بالنذور . وهي بالطبع عبادة من العبادات المعروفة للشجر[3] . وقـد ذكر الطبري روايات عديدة تفيد أن (العُزّى) شجيرات ، ولكنه أورد روايات أخرى تفيد انها حجر أبيض[4] . فنحن إذن أمام رأيين : رأي يقـول إن العزى شجيرات ، ورأي يرى أنها حجر . وذكر (ابن حبيب) ان العُزى شجرة بنخلة عنـدها وثن تعبدها غطفان ، سدنتها من بني صرمة بن مرة[5] . وذكر غـيره انها سمرة لغطفان[6] .

وقد تسمى العرب وقريش بالعزى ، فقالوا : (عبد العزى)[7] . وقد أقسموا بها ، ولها يقول درهم بن زيد الأوسي :

إني ورب العزى السعيـدة والله الذي دون بيته سرف[8]

وأقدم من سمي باسم (عبد العزى) في رأي ابن الكلبي هو عبـد العزى بن كعب[9] . وقد ذكر ابن دريد أسماء عدد من أهل مكة عرفوا بـ (عبد العزى) ،

---

١ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) ، (العزى بيت بالطائف تعبده ثقيف) .
٢ الازرقي ، (ص ٧٨ وما بعدها) .
٣ أخبار مكة ، للازرقي (٧٤/٢) ، اللسان (٣٧٨/٥) ، (عز) ، تاج العـروس (٥٥/٤) ، تفسير الخازن (٢١٧/٦ وما بعدها) ، الشوكاني ، فتح (١٠٥/٥)، تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الاندلسي (١٦٠/٨ وما بعدها) ، تفسير ابـن كثير (٢٥٣/٤) .
٤ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .
٥ المحبر (٣١٥) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ ومـا بعدهـا) ، تفسير البيضاوي (١٩٩/١) .
٦ مراصد الاطلاع (٩٣٧) .
٧ الاصنام (١٦ وما بعدها) .
٨ الاصنام (١٣) (روزا) ، مراصد الاطلاع (٩٣٧) .
٩ الاصنام (١٨) .

منهم بـ (عبد العزى بن قصي) ، و (عبد العزى بن عبد مناف) ، و (عبد العزى بن عبد المطلب)[1] .

ويظهر من هذا الشعر المنسوب الى (زيد بن عمرو بن نفيل) :

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور[2]

ان عبّاد العزى كانوا يتصورونها أماً ، ولها ابنتان ، ولعله أراد بـ (ابنتيها) اللات ومناة . وقد نسب بعض أهل الأخبار عبادة العزى الى عمرو بن لحي جرياً على عادتهم في نسبة عبادة الأوثان اليه ، فقالوا انه قال لعمرو بن ربيعة والحارث ابن كعب : إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعزى لحر تهامة[3] . وفي رواية لابن اسحاق : ان عمرو بن لحي اتخذ العزى بنخلة ، فكانوا اذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزى ، فيطوفون بها، ويحلّون عندها ، ويعكفون عندها يوماً . وكانت لخزاعة. وكانت قريش وبنو كنانة كلها تعظم العزى مع خزاعة وجميع مضر . وكان سدنتها الذين يحجبونها بنو شيبان من بني سليم ، حلفاء بني هاشم[4] .

وتشير روايـــة من زعم أن عمرو بن لحي قال لقومه : « إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالعُزى لحر تهامة » ، صحت او لم تصح ، الى وجود صلة بين اللات والعُزى. وقد ذكرت العُزى بعد اللات في القرآن الكريم. وكذلك ترد بعد اللات في جميع روايات الأخباريين . مما يشير الى وجود صلة بين الـــلات والعزى . ولا يستبعد ان تكون هذه الصلة بين الصنمين قد جاءت الى أهل الحجاز من بلاد الشأم من اهل تدمر وبادية الشأم والصفويين ، إذ وردا وكأنهما إلهـــان متقابلان ، فحمل ذلك بعض المستشرقين على تصور أنهما يمثلان كوكبين : كوكب الصباح وكوكب المساء[5] .

---

١ الاشتقاق (٣٤٨) (الفهرست) .
٢ الاصنام (١٤) (روزا) .
٣ الازرقي ، أخبار مكة (١/٧٤) (باب ما جاء في اللات والعزى) .
٤ الازرقي (١/٧٤ وما بعدها) .
٥ العرب في سوريا قبل الاسلام (١٢٥) .

والعُزى مثل اللات ومناة من الآلهة المعبودة عند عرب العراق وعرب بلاد الشأم ، وعند النبط والصفويين . وقد ذكر اسم العُزى مرتين في المصادر المؤلفة بعد الميلاد ، وأشار اسحاق الأنطاكي Isaac of Antioch من رجال القرن الخامس للميلاد ، الى اسم العُزى في حديثه عن مدينة (بيت حور) Beth-Hur ودعاها بـ Beltis ، وسماها (كوكبتا) . ويظن ان (كوكبتا) Kawkabta ، أي (كوكبة) المذكورة في المصادر السريانية ، هي أنثى كوكب ، تعني الكوكب الذي يظهر عند الصباح ، وهو العُزى عند الجاهليين[1] . ويراد بها (الزهرة) Venus ، عند النبط[2] . حيث اتخذوا لها معبداً في مدينة (بصرى) في منطقة (رم) عرف بـ (بيت ايل) . وقد نص (بروكوبيوس) ، Procopius على انها (أفروديت)[3] . وهي كناية عن القمر على رأي بعض المستشرقين[4] .

ولعل العزى هي (ملكة السماء Melekheth Hash-Shama المذكورة في سفر (ارميا)[5] ، وقد جاء فيه : ان أهل (اورشليم) كانوا يصنعون كعكاً، يتقربون به الى تلك الإلهة : إلهة السماء . وقد كان الجاهليون يتقربون بالخبز والكعك الى (كوكب السماء)[6] .

ويظهر من ورود اسم امرأة هو : (امت عزى) ، (أمة العزى) ، في نص عربي جنوبي ، ان عبادة العزى كانت معروفة هناك. وقد قدم أحد العرب تمثالاً من ذهب الى هذه الإلهة[7] .

وقد كان آل لخم ، ملوك الحيرة ، ينحرون الأسرى قرباناً للعزى. وقد زعم بعض المؤرخين السريان ان (المنذر بن ماء السماء) ضحى بأربع مئة راهبة للعزى[8] .

---

١ Reste, S. 40, Ency. Vol. IV, p. 1059, Rothstein, S. 81, 141. Shorter Ency. of Islam, p. 617.

٢ Arabien, S. 82.

٣ Procopius, De Bello Persi., II, 28, Arabien, S. 28, 82.

٤ Arabien, S. 82, Reste, S. 40, Ryckmans, 15.

٥ أرميا ، الاصحاح السابع ، الآية ١٨ وما بعدها) .

٦ Hastings, p. 778, Das Gotzenbuch, S. 95.

٧ Das Gotzenbuch, S. 94.

٨ Malalas, II, 166, Noldeke, Sassaniden, S. 171, Ghass., II, Anm. 3, Theophanes, 273, Land, Anecd. Syr., III, 247, Rothstein, S. 81, Paulys-Wissowa, Erster Halband, 1893, S. 1281.

وذكر (إسحاق الأنطاكي) ان العرب كانوا يقدمون الأولاد والبنـات قرابين للكوكبة (كوكبتا) ، فينحرونهم لها ، ويقصد بـ (كوكبتا) العزى[1] .

وكانت قريش تتعبد للعزى ، وتزورها وتهدي اليها ، وتتقرب اليها بالذبائح. وذكر ابن الكلبي انها كانت أعظم الأصنام عند قريش، وان قريشاً كانت تطوف بالكعبة وتقول : « واللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى . فإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى » . وكانوا يقولون : هن بنات الله ، وهن يشفعن اليه . وكانت قريش قد حمت لها شعباً من وادي حراض ، يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة . وكان لها منحر ينحرون فيه هداياهم ، يقال له الغبغب ، فكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها[2] .

وكانت قريش تستعين بأصنامها حين تحارب ، تستجير بها وتستمد منها العون في الحرب[3] ، لتبعث الهمة والنشاط في النفوس بذكرها . فلما كان يوم أحد نادى (أبو سفيان : « اعلُ هبل ، اعلُ هبل » فقال المسلمون : « الله أعلى وأجل). فقال (أبو سفيان) : « لنا العزى ولا عزى لكم » . فقال المسلمون : « الله مولانا ولا مولى لكم »[4] .

ويقول ابن الكلبي أيضاً : « ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئاً من الأصنام إعظامهم العزى ، ثم اللات ، ثم مناة . فأما العزى ، فكانت قريش تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية . وكانت ثقيـف تخص اللات كخاصة قريش للعزى. وكانت الأوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين، وكلهم كان معظماً لها) ، أي للعزى[5] .

ولابن الكلبي رأي في اقبال قريش على العُزى ، إذ يقول : « فأما العزى ، فكانت قريش تخصها دون غيرهـا بالزيارة والهديـة . وذلك فيما أظن لقربهـا منها »[6] . فجعل قرب بيت العزى من قريش،هو السبب في إقبال قريش عليها .

---

١ Isaak von Antiochia, Opera, I, 220, (Ed. Bickell), Reste, S. 40, Das Gotzenbuch, S. 96.

٢ الاصنام (١٨) وما بعدها ، (١٢) (طبعة روزا كلينكه روزنبركر) بمدينة (لايبزك ١٩٤١ م) .

٣ Arabien, S. 83.

٤ تفسير ابن كثير (٤/٢٥٣) ، الطبري (٢/٥٢٦) ، « معركة أحد » .

٥ الاصنام (٢٧) .

٦ الاصنام (١٦) (روزا) .

وهو يرى هذا الرأي نفسه حين تكلم على الأصنام : ود ، وسواع ، ويعوق ، ونسر ، وقارن بينها وبين الأصنام اللات والعُزى ومناة . إذ قال: « ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي دفعها عمرو بن لحي .. كرأيهم في هذه ولا قريباً من ذلك . فظننت أن ذلك كان لبعدهم منهم »[1] .

وقال ابن الكلبي في كتابه الأصنام « وقد بلغنا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذكرها يوماً ، فقال : لقد أهديت للعزى شاة عفراء ، وأنا على دين قومي »[2] .

وكان فيمن يتقدم الى العُزى بالنذور والهدايا ، والد خالد بن الوليد . ذكر خالد أن والده كان يأتي العُزى بخير ما له من الإبل والغنم ، فيذبحها للعزى ، ويقيم عندها ثلاثة ايام[3] .

وممن تعبد للعُزى بنو سليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر[4] . وغني وباهلة وخزاعة وجميع مضر وبنو كنانة . وقد ارتبطت قبائل غطفان بعبادة العُزى وتقديسها بصورة خاصة ،حتى لقد ذكر (ياقوت الحموي) ان (العُزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها ،وكانوا بنوا عليها بيتاً ، وأقاموا لها سدنة)[5] . وقد عرف البيت بـ (كعبة غطفان)[6] . وذكر (الطبري) أن العُزى (صنم لبني شيبان) ، بطن بن سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسيد بن عبد العزى ، يقولون : هذا صنمنا ، وانها (كانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها)[7] . وقد تعبدت لها ثقيف كذلك ، بأن اتخذت لها صنماً[8] . والظاهر ان قريشاً كانت تعد العزى حامية وشفيعة لها[9] .

وكان لحرم العزى شعب حمته قريش للصنم ، يقال له سقام في وادي حراض

---

١ الاصنام (١٧) (روزا) .
٢ الاصنام (١٨) وما بعدها ، (١٢) (طبعة روزا روزنبركر) .
٣ الازرقي ، أخبار مكة (٧٨ وما بعدها) .
٤ تفسير الطبرسي ، مجمع البيان (٣٦٤/٥) ، اليعقوبي (٢٢٥/١) .
٥ البلدان (١٦٦/٦) ، (١١٦/٤) (صادر) ،
٦ Shorter Ency., p. 617, Arabien, S. 83.
٧ الطبري (٦٥/٣) ، (دار المعارف) .
٨ Arabien, S. 83, Doughty, Documents Epigraphiques, 35, Travels in Arabia Deserta, II, p. 511, 515.
٩ Arabien, S. 83.

على طريقة قريش في اتخاذ حرم للكعبة. وقد صار هذا الحمى موضعاً آمناً لا يجوز التعدي فيه على أحد ، ولا قطع شجره ، ولا القيام بعمل يخل بحرمة المكان[1] . فذاك قول أبي جندب الهذلي تم القردي في امرأة كان يهواها ، فذكر حلفها له بها :

لقد حلفت جهداً يميناً غليظة بفرع التي أحمت فروع سقام[2]

وينسب (ابن الكلبي) بناء (بيت العزى) الى (ظالم بن أسعد) ، إذ يقول : « بس : بيت لغطفان بن سعد بن قيس عيلان كانت تعبده . بناه ظالم بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف ، لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت . ونص العباب : وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ، فرجع الى قومه ، وقال : يا معشر غطفان ، لقريش بيت يطوفون حوله والصفا والمروة ، وليس لكم شيء ، فبنى بيتاً على قدر البيت ، ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة فاجتزئوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة الكلبي ،فقتل ظالماً ، وهدم بناءه »[3] .

وجاء في رواية أخرى ان (بني صداء) قالوا : أما والله لنتخذن حرماً مثل حرم مكة ، لا يقتل صيده ، ولا يعضد شجره ، ولا يهاج عائذه، فوليت ذلك بنو مرة بن عوف . ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رباح بن ظالم ففعلوا ذلك ، وهم على ماء لهم يقال له بس ، فلما بلغ فعلهم هذا وما أجمعوا عليه زهير بن جناب ، قال : والله لا يكون ذلك وأنا حي ، ولا أخلّي غطفان تتخذ حرماً أبداً ، ثم سار في قومه حتى غزا غطفان ، وتمكن منها ، واستولى على الحرم ، وقطع رقبة أسير من غطفان به ، وعطل الحرم وهدمه[4] .

وذكر بعض أهل الأخبار ، ان العزى صنم كان لقريش وبني كنانة، أو سمرة عبدتها غطفان بن سعد بن قيس عيلان . أول من اتخذها منهم : (ظالم بن أسعد)

---

١ البلدان (٥/٩١) ، (٦/١٦٦) .
٢ الاصنام (١٢) (روزا) .
٣ الاغاني (٢١/٦٣) ، تاج العروس (٤/١٠٩) ، البلدان (٢/١٧٩) ، اللسان (٧/٣٢٧) ، (بس) .
٤ الاغاني (٢١/٦٣) .

فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال ، بالنخلة الشامية بقرب مكـــة ، وقيل بالطائف ، بنى عليها بيتاً وسمّاه بُساً ، وقيـل بساء ، وأقاموا لها سدنة مضاهاة للكعبة ، وكانوا يسمعون فيها الصوت ، فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد ، عام الفتح ، فهدم البيت ، وقتل السادن وأحرق السمرة [1] .

ويظهر مما تقدم أن البيت هدم مرتين : مرة في الجاهلية ، على يد زهير بن جناب ،وقتل إذ ذاك بانيه ظالم ، والمرة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد [2] .

وأما سدنة العزى ، فكانوا من بني صرمة بن مرّة ، أو من بني شيبان بن جابر بن مرة بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور . فهم من بني شيبان ، من بني سليم حلفاء بني هاشم [3] .

وكان آخر سادن للعُزى (دبية بن حرمي السلمي ثم الشيباني) ، قتله خالد ابن الوليد بعـــد هدمه الوثن والبيت وقطعه الشجرة أو الشجرات الثلاث [4] . وفي رواية : أن هـــدم العُزى كان لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، وكان سادنها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم . فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين ، فقال له : مالي أراك حزيناً ؟ قـال : اخاف ان تضيع العُزى من بعدي . قال أبو لهب : فلا تحزن ، فأنا اقوم عليهـا بعدك . فجعل ابو لهب يقول لكل من لقي : إن نظهر العزى ، كنت قد اتخذت عندها يداً بقيامي عليها ؛ وإن يظهر محمد على العُزى ، وما أراه يظهر ، فابن أخي . فأنزل الله تبارك وتعالى « تبت يدا أبـي لهب وتب » [5] . وتدل هذه الرواية إن صحت على ان أفلح بن النضر لم يكن آخر سادن للعزى ، وان الهدم لم يكن في حياته ، وإنما كان بعد وفاته .

وتشبه هذه القصة قصة أخرى وردت في الموضوع نفسه ، عن أبـي أحيحـة

---

١ تاج العروس (٤/٥٥) ، (عزز) .
٢ تاج العروس (٤/١٠٩) ، (بس) .
٣ الطبري (٣/٦٥) (دار المعارف) ، تاج العروس (٤/٥٦) ، (عزز) .
٤ البلدان (٦/١٦٧ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/٢٠٥) ، ابن هشام (١/٦٥) (هامش الروض الانف) ، الطبري (٣/١٢٣) ، (٣/٦٥) (دار المعارف) ، الاصنام (١٥) (روزا) ، (ودبية بن حرمس السلمي سادن العزى) ، تاج العروس (١٠/١٢٤) ، (دبي) .
٥ أخبار مكة ، للازرقي (١/٧٦) ، البلاذري ، أنساب (١/١٢١) .

وأبي لهب . فلما مرض أبو أحيحة ، وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، مرضه الذي مات فيه ، كان اهم ما شغل باله عبادة العُزى وخشيته ان لا تعبد من بعده ، فلما اجابه ابو لهب مهوناً عليه الأمر : رد والله ما عبدت حياتك (لأجلك) ،ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ! سره هذا الجواب ، وأفرج عنه . فقال : « الآن علمت ان لي خليفة »[1] .

ويروي ابن الكلبي ان الرسول أمر بالقضاء على العُزى ، وذلك عام الفتح ، فلما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال له : ايت بطن نخلة ، فإنك تجد ثلاث سمرات ، فاعضد الأولى . فأتاها فعضدها ، فلما جاء اليه عليه السلام : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فاعضد الثانية ؟ فأتاها فعضدها . ثم أتى النبي عليه السلام ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثالثة . فأتاها . فإذا هو بحبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها دبية بن حرمي الشيباني ثم السلمي، وكان سادتها . فلما نظر الى خالد ، قال :

أعزّ شدي شدة لا تكذبي على خالد ألقي الخمار وشمري
فإنك الا تقتلي اليوم خالداً تبوئي بذل عاجلاً وتنصري

فقال خالد :

يا عز كفرانك ، لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها ، فإذا هي حممة . ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن. ثم أتى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره فقال : تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب . أما انها لن تعبد بعد اليوم[2] .

---

١ الاصنام (٢٣) .

٢ الاصنام (١٥ وما بعدها) (روزا) ويختلف نص الشعر المذكور المنسوب الى (دبية) في كتاب الاصنام بعض الاختلاف عن نص تأريخ الطبري (٦٥/٣) ، أمتاع الاسماع (٣٩٨/١) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧ وما بعدها) ، روح المعاني (٤٧/٢٧ وما بعدها) ، الازرقي (٧٨ وما بعدها) .

ويظهر من شعر لـ (أبي خراش الهذلي) أن (دبية) كان كريماً ، يطعم الناس ، عظيم القدر ، له جفنة حين الشتاء ، وقد مدحه ، إذ حذاه نعلين جيدين ، كما رثاه يوم قتل بأبيات ذكرها (ابن الكلبي) في كتابه الأصنام[1] .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (خالد بن الوليد) هدم بيت العزى عام الفتح ، وقتل إذ ذاك سادنه (ربيعة بن جرير السلمي)[2] . وروايات الأخباريين عن العُزى يكتنفها شيء من الغموض واللبس ، ويدل ذلك على أنهم لم يكونوا على علم تام بالعُزى . فبينما هم يذكرون أن العزى شجرة أو سمرة[3] . تراهم يذكرون في روايات أخرى أنها شيطانة تأتي ثلاث سمرات ، أي ان العزى هي تلك الشيطانة ، لا السمرة أو السمرات الثلاث[4] . ثم تراهم يذكرون في روايات أخرى أن العزى صنم ، وان الرسول حينما أمر خالد بن الوليد بهدمه ، قال له لما هدم العزى ، وعاد : « أرأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد الى الصنم ، فهدم بيته ، وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعزى اغضبي بعض غضباتك . فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مولولة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزى ، ولا تعبد العزى أبداً »[5] . ومعنى هذا أن العزى صنم ، كان في داخل بيت العُزى ، وأن خالد بن الوليد كسره ، وهدم بيته . ولم يكن شجرة . أما تلك السمرة أو السمرات الثلاث ، فلم تكن إلا أشجاراً نبتت في حرم البيت . لذلك صارت محرمة لا يجوز مسها بأي سوء كان .

وقد سمّى بعض أهل الأخبار اسم آخر سدنة العزى (دُبَيَّة) و (دبية بن

---

١ الاصنام (١٤ وما بعدها) (روزا) .

٢ تاج العروس (٤/١٠٩) ، (بس) ، ابن سعد ، حلفات (٢/١٤٦) .

٣ السمر : شجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس ، وليس في العضاه شيء أجود خشبا من السمر ، بلوغ الارب (٢/٣٠٤) ، تاج العروس (٤/١٠٩) ، (بس) .

٤ البلدان (٦/١٦٧ وما بعدها) ، المحبر (٣١٥) ، بلوغ الارب (٢/٢٠٤) ، الاصنام (١٥ وما بعدها) (روزا) .

٥ الطبري (٣/٦٥) (دار المعارف) ، روح المعاني (٢٧/٤٧ وما بعدها) .

حرمس السلمي)[1] ، وسمّاه بعض آخر (ربية السلمي) ، و (ربية بن جرمي)[2] ، و (ربيعة بن جرير السلمي)[3] .

والرأي المعقول المقبول ، هو ان العزى صنم ، له بيت ، وأمامه غبغب، أي خزانة يضع فيها العباد المؤمنون بالعزى هداياهم ونذورهم لها ، كما كانوا ينحرون لهـا ، إذ لا يعقل ان يقال إن خالداً كسر الصنم وهـدم بيته[4] . ثم لا يكون العزى ، صنماً بل يكون شجرة ، أو شجرات . وأما الشجيرات، فإنها شجيرات مقدسة أيضاً ، لأنها في حرم العزى ، وشجر الحرم هو شجر مقـدس لا يجوز قطعه ، ولذلك كان أهل مكة يتجنبون مس شجر الحرم بسوء ، فلما أراد (قصي) اعتضاده ، هابت قريش عمله وخافت سوء العاقبة ، ونهته عن مسه بسوء، ولكنه أقدم على قطعه ، لم يبال برأيهم ، ولم يحفل بنصائحهم ، فقطعه . وكان بيت العزى يسمع فيه الصوت. وقد ذكر الأخباريون انه كان في كل من اللات والعزى ومناة شيطانة ، تكلمهم ، وتظهر للسدنة وقد نسبوا ذلك الى صنع ابليس[5] . والظاهر ان الحبشية المذكورة التي قتلها خالد،وزعم انها شيطانة ان صح ما ذكره الرواة عن وجودها ، كانت امرأة كان السادن يخفيها في موضع سري ، وهي التي تجيب عن أسئلة السائلين فينسب السادن كلامها الى العزى .

ومما يؤيد رأيي في ان (العزى) صنم ، ما ورد في تفسير (الطبري) من قوله : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خالد بن الوليـد الى شعب بسقام ليكسر العزى ، فقال سادنها ، وهو قيمها : يا خالد أنا أحذركها إن لها شدة لا يقوم اليها شيء . فمشى اليها خالد بالفأس فهشم أنفها[6] . مما يدل على انها كانت صنماً أنثى ، أي تمثالاً لامرأة ، لأنها أنثى .

ويظهر من هذا البيت :

أما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر ، عندما[7]

---

١ بلوغ الارب (٢٠٤/٢) .
٢ تاج العروس (٥٥/٤ وما بعدها) ، (عزز) .
٣ تاج العروس (١٠٩/٤) ، (بس) .
٤ المحبر (١٢٣) .
٥ الازرقي (٧٥/١) ، (باب ما جاء في اللات والعزى) .
٦ تفسير الطبري (٥/٢٤) ، تفسير القرطبي (٢٥٨/١٥) .
٧ اللسان (٣٤٩/١٣) ، (قنن) .

ان عبّـــاد العزى كانوا قد لطخوا قنة الصنم ، أي أعلاه ورأسه بدم الأضاحي . وكذلك فعل عبّاد الصنم نسر بقنة صنمهم .

مناة :

ويعد الصنم مناة أقدم الأصنام عند الأخباريين . وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى »[1] . وهذه الأصنام الثلاثة هي إناث في نظر الجاهليين .

وموضع مناة بالمشلـــل على سبعة أميال من المدينة[2] ، وبقديد بـــين مكـــة والمدينة[3] ، وقيل أيضاً انه بموضع (ودان) أو في موضع قريب منه[4] . وذكر اليعقوبي ان مناة كان منصوباً بفدك مما يـــلي ساحل البحـــر[5] . والرأي الغالب بين أهل الأخبار انه كان على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد[6] . وذكـــر (محمد بن حبيب) أنه كان بسيف البحر وكانت الأنصار وأزد شنؤة وغيرهم من الأزد تتعبد له . وأما سدنتـــه ، فهم (الغطاريف) من الأزد[7] . وذكر أن تلبيته كانت على هـذه الصورة : « لبيك اللهم لبيك ، لولا ان بكراً دونك ، يبرك النـــاس ويهجرونك ، وما زال حج عشج يأتونك . أنا على عدوائهم من دونك »[8] .

وتسكت أكثر روايات أهل الأخبار عن معبد (مناة) فلم تذكر شيئاً عنه ،

---

١ النجم ، الآية ١٩ وما بعدها .
٢ تاج العروس (٣٥١/١٠) ، تفسير الطبري (٣٢/٢٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤ وما بعدها) ، تفسير الخازن (١٩٤/٤ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (١١٢/٥) ، اللسان (١٦٧/٢٠) ، تفسير الطبرسي (٤٨/٢٧) .
٣ مجمع البيان (١٧٦/٩) ، البلدان (٩٤٤/٢) ، عمدة القاري (٢٨٧/٩) .
٤ البلدان (١٦٧/٨ وما بعدها) .
٥ اليعقوبي (٣١٢/١) ، (٢٢٥/١) .
٦ ابن هشام (٨٧/١) ، الاصنام (١٣ وما بعدها) ، الروض الانف (٦٥/١) ، أخبار مكة (٧٣/١وما بعدها) ، البداية والنهاية (١٩٢/٢) ، عمـــدة القاري (٢٨٧/٩) .
٧ المحبر (٣١٦) .
٨ المحبر (٣١٣) .

ولكن (الطبري) يشير في تفسيره إلى أنه كان بيتاً بالمشلل[1] ، وهو كلام منطقي معقول ، إذ لا يعقل أن يكون هذا الصنم ، مجرد صخرة أو صنم قائم في العراء تعبث به الرياح والشمس ، ثم ان له سدنة ، ولا يعقل أن تكون لصنم سدنة ، ثم لا يكون له بيت يؤويه . ولست أستبعد أن يكون له ، (جب) يلقي المؤمنون فيه هداياهم ونذورهم . وذكر (الطبري) أيضاً أن معبده كان بـ (قديد) . وأما عبدته ، فخزاعة ، وبنو كعب[2] .

والأخباريون على خلاف فيما بينهم على هيأة (مناة) وشكله ، منهم من يقول إن مناة صخرة ، سميت بذلك لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها ، أي تراق[3]. ومنهم من يقول إنه صنم كان منصوباً على ساحل البحر ، فهو على هيأة ومثال ، وقد نحت من حجارة[4] ، وجعله بعض الرواة في الكعبة مع بقية الأصنام[5] .

والذين يذكرون أن مناة صخرة ، يرون أن الناس كانوا يذبحون عندها فتمنى دماء النسائك عندها ، أي تراق ، فهي إذن ، وبهذا الوصف مذبح تراق عنده الذبائح الذي تقدم نسيكة للإلهة . ويذكرون أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك « كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها »[6] . ويتبين من ذلك ان هذا الموضع كان مكاناً مقدساً ، وقد خصص بإلـه ينشر السحب ويرسل الرياح فتأتي بالأمطار لتغيث الناس ، وان لهذا الإلـه صلة بالبحر وبالماء ، ولذلك أقيم معبده على ساحل البحر[7] . وقد تكون هذه الصخرة مذبحاً أقيم عند الصنم ، أو عند معبده لتذبح عليه ما يهل للصنم ، فسمي باسمه ، ولذلك يمكن التوفيق بين الرأيين : كونه صخرة ، وكونه صنماً .

ويظهر من أقوال ابن الكلبي ان هذا الصنم كان معظماً ، خاصة عند الأوس

---

٢ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .
١ تفسير الطبري (٣٥/٢٧) .
٣ تفسير الطبري (٣٢/٢٧ وما بعدها) .
٤ تفسير الطبرسي ، مجمع البيان (١٧٦/٩) ، البلدان (١٦٧/٨ وما بعدها) .
٥ مجمع البيان (١٦٧/٨ وما بعدها) .
٦ تفسير الطبري (٣٢/٢٧ وما بعدها) ، الكشاف (١٤٤/٣ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (١٩٩/١) .
٧ وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة وما قارب ذلك من المواضيع ، البلدان (١٦٧/٨ وما بعدها) .

والخزرج ، أي أهل يثرب ومن كان يأخـــذ مأخذهم من عرب المدينة والأزد وغسان (فكانوا يحجون ويقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا أتوا مناة وحلقوا رؤوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك[1] . ولكن القبائل العربية الأخرى كانت تعظمه كذلك ، وفي جملتها قريش[2] وهذيـل وخزاعـــة[3] . وأزد شنؤة ، وغيرهم من الأزد . وقيل ثقيف أيضاً ، وذكرت رواية أخرى ان العرب جميعاً كانت تعظمه وتذبح حوله[4] . أما سدنته، فالغطاريف من الأزد[5] .

وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمون مناة ، ويهلون منها للحـــج الى الكعبة[6] .

فمناة اذن من الأصنام المعظمة المقدسة عند (الخزرج) . وكانوا يحلفون بها ويقفون عندها . وفي ذلك ورد شعر ينسب الى عبد العزى بن وديعة المُزني أو غيره من العرب :

إني حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

فالمحل الذي يقف فيه (آل الخزرج) ، هو المحل الذي يحلف بـــه أمام مناة . وكان العرب في الجاهلية يسمّون الأوس والخزرج جميعـــاً : الخزرج ، ولذلك يقول الشاعر في بيته : (عند محل آل الخزرج)[7] .

وترجع بعض الروايات تأريخ مناة الى (عمرو بن لحي) فتزعم أنه هو الذي نصبه على ساحل البحر مما يلي قديداً[8] . وقد أخذت من الرواية التي ترجع أساس عبادة الأصنام وانتشارها بين العرب الى ذلك الرجل .

---

١ الاصنام (١٤) ، البلدان (١٦٩/٨) (مناة) الازرقي (٧٣/١ وما بعدها) .
٢ الاصنام (١٣ ، ١٥) ، البلدان (١٦٩/٨) .
٣ البلدان (١٦٩/٨) ، اللسان (١٦٧/٢٠) .
٤ الكشاف (١٤٤/٣ وما بعدها) .
٥ المحبر (٣١٦) ، البلدان (١٦٧/٨ وما بعدها) .
٦ تفسير ابن كثير (٢٥٣/٤) ، اللسان (١٦٧/٢٠) .
٧ الاصنام (١٣ وما بعدها) .
٨ أخبار مكة (٧٣/١ وما بعدها) ، البلدان (٦٥٣/٤) .

وكان المتعبدون لهذا الصنم يقصدونه ، فيذبحون حوله ، ويهدون له . ويظهر من روايات ابن الكلبي عن هذا الصنم ، أنه كان من الأصنام المعظمة المحترمة عند جميع العرب . وقد قصد ابن الكلبي بعبارة : « وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله »[1] عرب الحجاز على ما أعتقد . وكان سدنته يجنون من سدانتهم له أرباحاً حسنة من هذه الهدايا التي تقدم الى معبده باسمه .

وقد بقي سدنة هذا الصنم يرتزقون باسمه ، الى أن كان عام الفتح ، فانقطع رزقهم بهدمه وبانقطاع سدانته . فلما سار الرسول في سنة ثمان للهجرة ، وهي عام الفتح أربع او خمس ليال من المدينة ، بعث علياً اليه ، فهدمه وأخذ ما كان له ، فأقبل به الى النبي ، « فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان أهداهما له ، أحدهما : يسمى مخذماً ، والآخر رسوباً . وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في بيته :

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف : مخذم ورسوب

فوهبهما النبي لعليّ ، فيقال : إن ذا الفقار ، سيف علي أحدهما . ويقال : إن علياً وجد هذين السيفين في الفلس ، وهو صنم طيء ، حيث بعثه النبي فهدمه[2] .

وفي رواية للواقدي أن الذي هدم الصنم هو سعد بن زيد الأشهلي ، هدمه سنة ثمان للهجرة[3] . وفي رواية أخرى ان الذي هدم الصنم هو أبو سفيان[4] .

وقد كانت القبائل تتجنب ان تجعل ظهورها على (مناة) إعظاماً للصنم ، ولذلك كانت تنحرف في سيرها ، حيث لا يكون الصنم الى ظهرها[5] . وفي ذلك قال الكميت بن زيد الشاعر ، أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة :

وقد آلت قبائل لا تولي مناة ظهورها متحرفينا

---

١ الاصنام (١٥) ، الاصنام (٤٩) ، (القاهرة ١٩١٤) .
٢ الاصنام (١٥) ، البلدان (١٦٨/٨) .
٣ الطبري (١٢٣/٣) ، روح البيان ، لاسماعيل حقي أفندي ، (٥٥١/٤) ، تأريخ الخميس ، للديار بكري (١٠٧/٢ وما بعدها) ، أمتاع الاسماع (٣٩٨/١) ، البخاري (١٨/٥) .
٤ البداية والنهاية (١٩٢/٢) ، الروض الانف (٦٥/١) ، ابن هشام (٨٧/١) .
٥ ابن هشام (٩٠/١) .

ويظهر من ورود اسم هذا الصنم في القرآن الكريم ، ومن انتشار التسمية بـه في مثـل (عبد مناة) و (عبدة مناة) و (زيـد مناة) و (عوذ مناة) و (سعد مناة) و (أوس مناة) بين عدد من القبائل المختلفة ، مثـل تميم وطيء وكنانة ، ان عبادة (مناة) كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين القبائل[1] . ولهذه الكلمات المتقدمة على كلمة (مناة) شأن كبير في وصف الصورة التي كانت في مخيلة عبدة مناة عنه ، إذ تمثله إلهاً كريماً يسعد عباده ويساعدهم في المكـاره والملمات ويعطيهم ما يحتاجون اليه .

والصنم مناة هو (منوتن) (منوت) Manavat عنـد النبط ، ويظن ان لاسمه صلة بـ (مناتا) Menata في لهجـة بني إرم ، و (منا) Mana في العبرانية ، وجميعها (مانوت) (منوت) Manot ، وباسم الإلـه (منى) Meni ، وبكلمة (منية) ، وجمعها (منايا) في عربية القرآن الكريم . وهي لذلك تمثل الحظوظ والأماني ، وخاصة الموت[2] . ولهذا ذهب بعض الباحثين الى ان هذه الإلهة هي إلهة المنية والمنايا عند الجاهليين[3] .

وقد ذكر (منى) Meni مع (جد) Gad في العهد القديم . والظاهر ان كلمة (جد) كانت مصدراً ، ثم صارت اسم علم لصنم . وذكر (منى) مع (جد) له شأن كبير من حيث معرفة الصنمين . فالأول هو لمعرفة المستقبل وما يكتبـه القدر للانسان من منايا ومخبآت لا تكون في مصلحة الانسان . والثانـي ، وهو (جد) ، لمعرفة المستقبل الطيب والحظ السعيد (tyche) (fortune) في اليونانية ، فهما يمثلان إذن جهتين متضادتين[4] .

هبل :

يقول ابن الكلبي : « وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وكان أعظمها هبل . وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة إنسان ، مكسور اليد

---

١ تاج العروس (١٠/٣٥١) . Reste, S. 29.
٢ Reste, S. 28, Ency. Religi., I, pp. 231, 661.
٣ Das Gotzenbuch, S. 87.
٤ Hastings, pp. 275, 604.

اليمنى . أدركته قريش فجعلت له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة .

وكان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقداح ، مكتوب في أولها : صريح والآخر ملصق . فإذا شكوا في مولود أهدوا اليه هدية ، ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج صريح ألحقوه ، وإن خرج ملصق دفعوه . وقدح على الميت،وقدح على النكاح، وثلاثة لم تفسر لي على ما كانت . فإذا اختصموا في أمر ، أو أرادوا سفراً او عملاً ، أتوه فاستسقوا بالأزلام عنده . فما خرج ، عملوا به وانتهوا اليه . وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبدالله[1] .

وتذكر رواية أخرى أن خزيمة بن مدركة كان أول من نزل مكة من مضر، فوضع هبل في موضعه ، فكان يقال له صنم خزيمة ، وهبل خزيمة . وورث أولاده سدانته من بعده[2] . وقد ذهب (ابن الكلبي) هذا المذهب أيضاً ، إذ قال : « وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة »[3] .

ولا خلاف بين أهل الأخبار في أن (هبل)، كان على هيأة انسان رجل[4] .

وهناك روايات تنسب هبل الى عمرو بن لحي ، تقول إنه جاء به الى مكة من العراق من موضع هيت ، فنصبه على البئر وهي الأخسف والجب الذي حفره إبراهيم في بطن الكعبة ، ليكون خزانة للبيت ، يلقى فيه ما يهدى الى الكعبة ، وأنه هو الذي أمر الناس بعبادته ، فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به على أهله بعد طوافه بالبيت ، وحلق رأسه عنده ، وكان على هذه الروايات من خرز العقيق على صورة إنسان ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فأدركته قريش فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة للقربان وكان قربانه مائة بعير . وله حاجب يقوم بخدمته[5] .

---

١ الاصنام (٢٧ وما بعدها) (تحقيق احمد زكي باشا) ، سبائك الذهب (١٠٤) الازرقي (٦٨/١ وما بعدها) ، ابن هشام (٦٤/١) ، الطبري (٢٠٢/٢) ، (الاستقامة) ، (٢٤٠/٢) « المعارف » ، خزانة لادب (٢٤٤/٣) ، سبائك الذهب (١٠١) ، ابن الاثير ، الكامل (١٨/٢) ، مروج الذهب (٢٣٨/١) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البداية والنهاية (١٨٧/٢) .

٢ طبقات ابن سعد (٣٩/١) .

٣ الاصنام (روزا) ، نهاية الارب (١٢/١٦) .

٤ الطبرسي ، مجمع البيان (٦٨/٢٩ وما بعدها) (بيوت ١٩٥٤ م) .

٥ اخبار مكة ، للازرقي (٢٧/١ ، ٦٨ وما بعدها) ، الروض الانف (٦٥/١) .

وجاء في رواية ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشأم في بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العمالق ، وهم ولد عملاق ، ويقال عمليق ، وجدهم يتعبدون للأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه الأصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا . فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنماً ، فأسير به الى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل ، وأخذه ، فتقدم به الى مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته[1] .

ولسنا نجد في كتب أهل اللغة أو الأخبار تفسيراً مقبولاً لمعنى (هبل) . وقد ذهب بعضهم الى انه من (الهبلة) ، ومعناها القبلة . وذكر بعض آخر انه من (الهبيلي) ، بمعنى الراهب ، وذكر ان (بني هبل) كانت تتعبد له[2] . وذكر انه من (هُبل) بوزن (زُفَر)، ومعناها كثرة اللحم والشحم، أو من (هبل) بمعنى غنم ، وما شاكل ذلك من آراء[3] . ويكمن سبب اضطراب العلماء في تسميته في انه من الأصنام المستوردة من الخارج التي حافظت على تسميتها الأصلية، فوقع لديهم من ثم هذا الاضطراب .

وكانت تلبية من نسك هبل : « لبيك اللهم لبيك . اننا لقاح ، حرمتنا على أسنة الرماح ، يحسدنا الناس على النجاح »[4] .

ويذكر أهل الأخبار ان (هبل) كان أعظم أصنام قريش ، وكانت تلوذ به وتتوسل اليه ، ليمنّ عليها بالخير والبركة ، وليدفع عنها الأذى وكل شر . وكانت لقريش أصنام أخرى في جوف الكعبة وحولها ، ولكن هبل هو المقدم والمعظم عندها على الجميع . وقد نصب على الجب الذي يقال له (الأخسف) ، وهو بئر ، وكانت العرب تسميها (الأخشف)[5] .

وذهب بعض المستشرقين الى ان (هبل) ، هو رمز الى الإلـه القمر ، وهو

---

١ سيرة ابن هشام (٦٢/١) ، (وقد طبعت في هامش كتاب الروض الانف للسهيلي) ، ديوان حسان (تحقيق هرشفلد) ، سيرة ابن هشام (٨٢/١) ، البداية والنهاية (١٨٧/١ وما بعدها) ، اليعقوبي (٢١١/١) ، مروج (٢٣٨/٢)٠

٢ اللسان (٦٨٦/١١) ، تاج العروس (١٦٨/٨) ، (هبل) ٠

٣ البلدان (٤١٦/٨) ٠

٤ المحبر (ص ٣١٥) ٠

٥ أخبار مكة (٦٦/١ وما بعدها) ٠

إلـه الكعبة ، وهو الله عند الجاهليين[1] . وكـان من شدة تعظيم قريش له انهـم وضعوه في جوف الكعبة . وانه كان الصنم الأكبر في البيت .

ويرى بعض الباحثين ان صورة الحية أو تمثالها يشيران الى هبل ، أو إلى هبل وود . وقد عثر على صورة لحيّـة في (رم) ، يظهر انها رمز الى (هبل) أو ود[2] .

وذكر (ياقوت الحموي) أن هبل (صنم) لبني كنانة : بكر ومالك وملكان، وكانت كنانة تعبد ما تعبد قريش ، وهو اللات والعزى . وكانت العرب تعظم هذا المجمع عليه . فتجتمع عليه كل عام مرة[3] . وقال غيره : « وكان هبـل لبني بكر ومـالك وملكان وسائر بني كنانة . وكانت قريش تعبد صاحب بني كنانة ، وبنو كنانة يعبدون صاحب قريش »[4] .

وقد ورد اسم هبل في الكتابات النبطية التي عثر عليهـا في الحجر ، ورد مع اسم الصنمين : دوشرا (ذي الشرى) ، و (منوتو) (مناة)[5] . وقد تسمى به أشخاص وبطون من قبيلة كلب ، مما يدل على أن هذه القبيلة كانت تتعبـد له ، وأنه كان من معبودات العرب الشماليين[6] . وباسم هذا الصنم سمي (هبل بن عبدالله بن كنانة الكلبي جدّ زهير بن جناب)[7] .

ولما أراد النبي الإنصراف عن أحد ، علا صوت أبـي سفيان : أعل هُبَل، أعل هُبَلْ . فقال النبي لعمر : أجبه ، قال : ما أقول له ؟ قال : الله أعلى وأجل . فقال : لنا العُزى ولا عزى لـكم . فقال النبي لعمر قـل : الله مولانا ولا مولى لـكم[8] .

---

١ Reste, S. 73, 221, Grohmann, S. 87.

٢ Grohmann, S. 87, Jaussen — Savignac, Mission, I, 169.

٣ البلدان (٤٤٢/٧ وما بعدها) .

٤ المحبر (٣١٨) .

٥ Ency., II, 327, CIS, II, NR : 189, Jaussen et Savignac, Mission, I, p. 169, Reste, S. 75, 221, L. Krehl, Uber die Religion der Vorislamischen Araber, S. 90, Oslander, in ZDMG., VII, S. 493.

٦ Ency. Religi., I, p. 664.

٧ كتاب المعمرين (ص ٢٩) (هبل) .

٨ الاصنام (ص ٢٨) ، اللسـان (٦٨٦/١١) ، (٢١٢/١٤) ، تـاج العروس (١٦٢/٨) ، الاشتقاق (٣١٦/٢) .

أصنام قوم نوح :

وزعم ابن الكلبي أن خمسة أصنام من أصنام العرب ، من زمن نوح ، وهي: ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر[1] . وقد ذكرت في القرآن الكريم : « قال نوح : ربّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ، ومكروا مكراً كباراً ، وقالوا : لا تذرون آلهتكم ، ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق ونسراً ، وقد أضلوا كثيراً »[2] . ويظهر ان ورود اسمها على هذا النحو في القرآن ، هو الذي حمله على رجع هذه الأصنام الى أيام نوح .

وزعم (ابن الكلبي) ان الأصنام المذكورة كانت في الأصل قوماً صالحين ، ماتوا ، في شهر ، وذلك في أيام (قابيل) ، فجزع عليهم بنو قابيل ، وذوو أقاربهم ، وقام رجل من قومهم ، فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ، فصار الناس يعظمونها ويسعون حولها ، ثم جاء من بعدهم من عبدها ، وعظم أمرها ، ولم يزل أمرها يشتد ، حتى أدرك (نوح) فدعاهم الى الله ، والى نبذ هذه الأصنام ، فكذبوه ، فكان الطوفان ، فأهبط ماء الطوفان هذه الأصنام من جبل (نوذ) الى الأرض ، وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جدة ، ثم نضب الماء وبقيت على الشط، فسفت الريح عليها حتى وارتها . وبقيت مطمورة هناك أمداً ، حتى جاء (رئي) (عمرو ابن لحي)وكان يكنى أبا ثمامة ، فقال له : عجّل بالمسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة . قال عمر : جير ولا إقامة . فقال الرئي ايت ضف جدة تجد فيها أصناماً معدة ، فأوردها ولا تهاب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجاب . فأتى شط جدة فاستثارها ، ثم حملها حتى ورد تهامة . وحضر الحج ، فدعا العرب الى عبادتها قاطبة . فأجابه سادات القبائل ، ووزع تلك الأصنام عليهم ، وأشاعوا عبادتها بين الناس[3] ، ومن ثم عبد العرب هذه الأصنام .

وذكر أيضاً ان الأصنام المذكورة هي أصنام نحتها الشيطان على صورة خمسة بنين من أبناء (آدم) ، ماتوا فجزع الناس عليهم ، لأنهم كانوا عبّاداً صالحين .

---

١ الاصنام (٨) (روزا) .
٢ سورة نوح ، الآية ٢١ وما بعدها .
٣ الاصنام (٣٣ وما بعدها) (روزا) .

فسوّل لهم الشيطان ان يصنع لهم تماثيل على هيأتهم وصورهم ، لتذكرهم بهم فسرّوا برأيه ، وصنعها لهم ، فما لبث الناس ان عبدوها ، حتى تركوا عبادة الله ، وكان (ود) أكبرهم وأبرهم ، فصار أول معبود عبد من دون الله[1] .

ود :

وكان الصنم ود من نصيب (عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة)، أعطاه اياه (عمرو بن لحي) فحمله الى وادي القرى ، فأقره بدومة الجندل . وسمّى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمي به ، وهو أول من سمّى عبد ود ، ثم سمّت العرب به بعد[2] . وقد تعبّد له بنو كلب[3] .

ومنهم من يهمز فيقول أدّ . ومنه سمي (عبد ودّ) و (أد بن طابخة)، و (أدد) جد معد بن عدنان[4] .

وجعل عوف ابنه عامراً الذي يقال له عامر الأجدار سادناً له ، فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام .

وقد استنتج (ياقوت الحموي) من هذه الرواية التي يرويها (ابن الكلبي) أن الصنم اللات أقدم عهداً من ودّ ؟ لأن وداً على هذه الرواية قد سلم الى عوف وعوف هو حفيد زيد اللات الذي سمي بـ (زيد اللات)،نسبة الى الصنم اللات، فودّ على هذا أحدث عهداً من اللات[5] .

وفي رواية لمحمد بن حبيب أن ودّاً كان لبني وبرة ، وكانت سدنته من بني الفرافصة بن الأحوص من كلب[6] . ويشك (ولهوزن) Wellhausen في

---

١ روح المعاني (٢٩/٧٧ وما بعدها) .
٢ الاصنام (٣٤) (روزا) اللسان (٤/٤٦٨) (بولاق) روح المعاني (٢٩/٧٧ وما بعدها) .
٣ اللسان (٤/٤٦٨) تفسير ابي السعود (٥/١٩٨) ، تفسير الخازن (٤/٣١٤) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٦ وما بعدها) ، الروض الانف (١/٦٣) ، ابن هشام (١/٦٣) ، (هامش على الروض) .
٤ اللسان (٤/٤٥٥) ، (ودد) .
٥ البلدان (٨/٤١٠) (نهاية مادة ود) .
٦ المحبر (٣١٦) ، البلدان (٨/٤٠٧) (ود) .

صحة هذه الرواية ، فقد كان الفرافصة بن الأحوص على رأيه نصرانياً ، وهو والد نائلة زوج الخليفة عثمان . ثم ان (الفرافصة) لم يكن من بني عمرو بن ودّ ، ولا من بني عوف بن عذرة ، فلا يعقل أن تكون السدانة اليه وفي نسله [1] .

وود على وصف (ابن الكلبي) له في كتابه الأصنام « تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد ذبر عليه حلتان ، متزر بحلة ، مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة فيها نبل »[2] . وقد أخذ ابن الكلبي وصفه هذا لود من أبيه عن مالك بن حارثة الأجداري .

ومالك بن حارثة الأجداري ، هو من بني عامر الأجدار ، وهم سدنة ود . وزعم ابن الكلبي ان أباه محمد بن السائب الكلبي حدثه عن مالك بن حارثه أنه قال له : إنه رأى ودّاً ، وأن اباه كان يبعثه ، وهو صغير ، باللبن اليه ، فيقول : اسقه إلهك ، فيشربه مالك ، فيعود وقد شرب اللبن . أما أبوه فيظن انه قد أعطى ودّاً إياه[3] .

وذكر (جارية بن أصرم الأجداري) ، من بني عامر بن عوف ، المعروف بعامر الأجدار ، انه رأى وداً بدومة الجندل في صورة رجل[4] . وورد أن من عبدة (ودّ) بعض تميم ، وطيء ، والخزرج ، وهذيل ، ولخم[5] .

ويظهر انه (أدد) عند ثمود . وأدد من الأسماء المعروفة . وقبيلة (مرة) ، نسبة الى (مرة بن أدد) . وقد عرف بـ (كهلن) ، أي (الكاهل) . (هكهل) (ها – كهل) . ويظن أن الإلـه (قوس) (قيسو) (قوسو) ، هو (ود) ، أي اسم نعت له . وذهب بعض الباحثين الى أن (نسراً) و (ذا غابة) (ذ غبت) يرمزان اليه[6] .

---

١ Reste, S. 17, Ency. Religi., I, p. 662.

٢ الاصنام (٥٦) ، (٣٥) (روزا) سبائك الذهب (١٠٤) ، البلدان (٨/٩٠٤) (ود) .

٣ الاصنام (٥٥) .

٤ الاصابة (١/٢١٩) ، (رقم ١٠٤٤) .

٥ Reste, 14 - 18, Ryckmans 16, Grohmann, S. 87.

٦ Jaussen — Savignac, Mission, II, 395, 581, Grohmann, S. 87.

وقد بقي ود قائمـــاً في موضعه الى ان بعث رسول الله خالدَ بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه . فلـــما أراد خالد هدمه ، اعترضه بنو عبد ود وبنو عامـــر الأجدار ، وأرادوا الحيلولة بينه وبين هدمه ، فقاتلهم وأوجعهم ، وقتل منهم ، فهدمه وكسره . وذكر ابن الكلبي انه كان فيمن قتل رجل من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح ، ورجل آخر هو حسان بن مصاد ابن عم الأكيدر صاحب دومة الجندل[1] .

ويرى بعض المستشرقين استناداً الى معنى كلمة (ود) بأن هذا الصنم يرمز الى الود ، اي الحب ، وانه صنو للإلهين (جيل) Gil و (بحد) Pahad عند الساميين . ويستندون في رأيهم هذا إلى بيت للنابغة مطلعه : (حيّاك ود)[2] ، غير ان من العسير علينا تكوين رأي صحيح عن هذا الصنم. ولا أستبعد أن تكون كلمة (ود) صفة من صفات الله لا اسم علم له .

وهناك من يرى وجود صلة بين (ود) و (ايروس) Eros الصنم اليوناني، ويرى انه صنم يوناني في الأصل استورد من هناك ، وعبدته العرب . وهو رأي يعارضه (نولدكه) ، لانتفاء التشابه في الهيأة بين الصنمين[3] .

و (ود) هو الإلـه الأكبر لأهل معين . وسوف أتحدث عنه فيما بعد .

سواع :

أما سواع ، فكان موضعه برهاط ، من أرض ينبع . وذكـر انه كان صنماً عـــلى صورة امـــرأة ، وهو صنم هذيـــل . وينسب ابن الكلبي انتشار عبادته ــ كعادته ــ الى عمرو بن لحي ، فذكر ان مضر بن نزار أجابت عمرو بن لحي، فدفع الى رجل من هذيل (يقـــال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيـــل بن مدركة بن الياس بن مضر) سواعاً، فكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة ، يعبده من يليه من مضر[4] . وذكر (ابن حبيب) انه كان بـ (نعمان) ، وأن

---

١ الاصنام (٥٥) .
٢ Reste, S. 17, Ency. Religi., VIII, p. 180.
٣ Ency. Religi., I, p. 662.
٤ الاصنام (٥٧) ، البكري (٦٩٧/٢) (رهاط) ، اللسان (٣٤/١٠) (بولاق) .

عبدته : بنو كنانة ، وهذيل ، ومزينة ، وعمرو بن قيس بن عيـــلان . وكان سدنته بنو صاهلة من هذيل . وفي رواية أن عبدة سواع هم آل ذي الكلاع[1] . وذكر (اليعقوبـي) أنه كان لكنانة[2] .

وفي رواية أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) كذلك ، تزعم أن سواعاً صنم كان برهـــاط من أرض ينبع ، وينبع عرض من أعراض المدينة . وكانت سدنته بنو لحيان . ثم تقول إنه لم يسمع بورود اسم هذا الصنم في شعر هذيل ، إنما بورود اسمه في شعر رجل من اليمن[3] .

وورد في رواية أخرى ان (سواعاً) صنم من أصنام همدان[4] .

ويرى (نولدكه) أن سواعاً لم يكن من الأصنام الكبرى عند ظهور الإسلام، وهو في نظره من الأصنام التي لم ترد أسماؤها في الأعلام المركبة ، ويـــدل عدم ورود اسمه في هذا الأعلام على خمول عبادته بين الجاهليين[5] .

وفي السنة الثامنة من الهجرة هدم سواع ، وكان الذي هدمه عمرو بن العاص، فلما انتهى الى الصنم ، قال له السادن : ما تريد : قال : هدم سواع ، قال : لا تطيق تهدمه ، قال له عمرو بن العاص : أنت على الباطل بعد . فهدمه عمرو، ولم يجد في خزانته شيئاً ، ثم قال للسادن : كيف رأيت ، قال : أسلمت والله[6].

و (سواع) من الأصنام التي ورد اسمها في القـــرآن الكريم : « وقالوا : لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعـاً ولا يغوث ويعوق ونسراً »[7] . وقد ذكر بعض العلماء ، انه صنم عبد في زمن نوح ، فدفنه الطوفان، فأشار (ابليس)

---

١ المحبر (٣١٦) ، البكري (٢/٦٧٩) .
٢ اليعقوبي (١/٢٢٥) .
٣ الاصنام (٦) (روزا) ، البلدان (٣/٣٤١) ، (رهاط) ، تاج العروس (٥/٢٩٠) اللسان (١٠/٢٤) ، القاموس (٣/٤٢) (سوع) .
٤ الاصنام (٥٧) ، الطبرسي ، مجمع البيان (٥/٣٦٤) ، الكشاف (٤/١٤٣) ، تفسير البيضاوي (١/٢٣٩) ، روح المعاني (٢٩/٧٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٦ وما بعدها) تفسير ابي السعود (٥/١٩٨) .
٥ Ency. Relig. I, p. 663.
٦ الطبري (٣/٦٦) (دار المعارف) ، (حوادث السنة الثامنة) ، امتاع الاسماع (١/٣٩٨) .
٧ نوح ، ٧١ ، (الآية ٢٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (٢٩/٦٢) ، روح المعـاني (٢٩/٧٧) .

على الجاهليين بالتعبد له ، فعبدته همدان ، ثم صار لهذيل ، وكان برهاط وحجّ اليه . وقال (ابن الكلبي) انه لم يسمع بذكره في أشعار هذيل . وقد قال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظل جنابه برهاط صرعى عتائر من ذخائر كل راع[1]

وذكر بعض أهل الأخبار ان سواعاً وبقية الأصنام التي ذكرت معه في سورة نوح ، « كانوا قوماً صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم . فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صوّرناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوّروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبّ اليهم ابليس ، فقال : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم »[2] .

ورهاط من بلاد بني هذيل ، ويقال وادي رهاط ببلاد هذيل ، ذكر انه على ثلاثة أميال أو ثلاث ليال من مكة[3] .

ونسب بعض أهل الأخبار هدم الصنم (سواع) الى (غاوي بن ظالم السلمي) (غاوي بن عبد العزى) . ذكروا أن هذا الصنم كان (لبني سليم بن منصور) ، فبينما هو عند الصنم ، اذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنّماه ، فبالا عليه فقال :

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم قال : يا معشر سليم ؟ لا والله هذا الصنم لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ! فكسره ولحق بالنبيّ عام الفتح . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، ما اسمك ؟ فقال : غاوي بن عبد العزى . فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه . وعقد له على قومه . وقيل إن هذه الحادثة إنما وقعت لعبّاس بن مرادس السلمي، وقيل لأبي ذر الغفاري[4] .

---

١ تاج العروس (٥/٣٩٠) ، (سا ع) .
٢ تفسير الطبري (٢٩/٦٢) .
٣ تاج العروس (٥/١٤٥) ، (رهط) ، نوادر المخطوطات ، أسماء جبال تهامة وسكانها (٤٠٩) .
٤ اللسان (١/٢٣٧) ، (ثعلب) ، (صادر) ، (كان الصنم الذي يقال له سواع بالمعلاة ، فذكر قصتة اسلامه وكسره اياه) ، الاصابة (١/٤٨٢ وما بعدها) ، (رقم ٢٥١٧) .

يغوث :

وأمـــا يغوث ، فكان أيضاً على رواية ابن الكلبي ، في جملة الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على من استجاب الى دعوته من القبائل ، دفعه الى أنعم بن عمرو المرادي ، فوضعه بأكمة مذحج باليمن ، فعبدته مذحج ومن والاها وأهل جرش[1] . وقد بقي في أنعم الى ان قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد ، فهربوا به الى نجران ، فأقروه عند بني النار من الضباب ، من بني الحارث بن كعب. واجتمعوا عليه جميعاً[2] . وفي رواية أن عبدة يغوث هم بنو غطيف من مراد[3] .

وفي رواية أن يغوث بقي في أنعم وأعلى من مراد ، الى أن اجتمع أشراف مراد وتشاوروا بينهم في أمر الصنم ، فقر رأيهم أن يكون فيهم ، لما فيهم من العدد والشرف . فبلغ ذلك من أمرهم الى أعلى وأنعم ، فحملوا يغوث وهربوا به حتى وضعوه في بني الحارث بن كعب ، في وقت كان النزاع فيه قائماً بين مراد وبني الحارث بن كعب . فلما أبت بنو الحارث تسليم الصنم الى مراد،وتسوية أمر الديات ، أرسلت عليها مراد جيشاً فاستنجدت بنو الحارث بهمدان ، فنشبت بينها معركة عرفت بيوم الرزم ، انهزمت فيها مراد ومنيت بخسارة كبيرة قبيحة، وبقي الصنم في بني الحارث . وقد وافق يوم الرزم يوم بدر[4] .

وذكر (الطبرسي) أن بطنين من طيء أخذا يغوث ، فذهبا به الى مراد ،

---

١ **الاصنام** (١٠ ، ٥٧) ، اللسان (٤٨٠/٢) (غوث) تاج العروس (٣٣٧/١) (غوث) ، قال الشاعر :

وسار بنـا يغوث الى مـراد فناجزناهم قبل الصباح

البلدان (٥١١/٨) (يغوث) الروض الانف (٦٣/١) سبائك الذهب (١٠٤) ، بلوغ الارب (٢٠١/٢) القاموس (١٧١/١) ، روح المعاني (٧٧/٢٩ ومـــا بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٣٩/١) .

٢ المحبر (٣١٧) .

٣ الطبرسي (٣٦٤/٥) ، الكشاف (١٤٣/٤) ، تفسير أبي السعود (١٩٨/٥) ، تفسير الخازن (٣١٤) ، تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤) .

٤ البلدان (٥١١/٨) ، (يغوث) .

Reste, S. 20, Ency. Religi., I, p. 663, A. Fischer, In ZDMG., 58, 869, Nöldeke, in ZDMG., 40, 161, 168, Das Götzenbuch, S. 28.

فعبدوه زمانـــاً ، ثم أن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ، ففروا به الى بني الحارث بن كعب[1] .

ويظهر من غربلة هذه الروايات أن الصنم يغوث كان في جرش أو على مرتفع قريب من هذه المدينة . أما سدنته ، فكانوا من بني أنعم بن أعلى من طيء ، وكانوا في جرش . وفي حوالي سنة ٦٢٣ ، أي السنة التي وقعت فيهـــا معركة بـــدر ، حدث نزاع عـــلى الصنم : أراد بنو مراد ان يكون الصنم فيهم وسدنته لهم ، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيه . فهرب بنو أنعم بصنمهم الى بني الحارث ، واحتفظوا به بعد أن وقعت الهزيمة في مراد[2] .

وفي الحرب التي وقعت بين (بني أنعم) و (غطيف) حمل عبدة (يغوث) صنمهم معهم وحاربوا ، مستمدين منه العون والمدد . وفي ذلك يقول الشاعر :

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجوناهم قبـــل الصباح[3]

ويظهر ان (بني أنعم) ، وسائر عبدة هذا الصنم ، كانوا يحملون صنمهم معهم في غالب الأحوال عند قتالهم القبائل الأخرى[4] .

ولا يستبعد ان تكون لاسم هذا الصنم علاقة بفكرة المتعبدين له عنـه ، بمعنى ان المتعبدين له كانوا يرون انه يغيثهم ويساعدهم . وقد ظن بعض الباحثين انـه يمثل الإلـه الأسد . وانه كان (طوطم) قبيلة مذحج ، يدافع عنها ويذب عن القبيلة التي تستغيث به ، على نحو ما فعله الاسرائيليون من استغاثتهم بـ (حيـة النحاس) المسماة (نحشتان) Nehushtan [5] ، التي كانت (طوطماً) في الأصل على رأي (سمث)[6] .

ونجد بين أسماء الجاهليين عدداً من الرجال سمّوا بـ (عبد يغوث) ، منهم

---

١ الطبرسي (٥/٣٦٤) .
٢ Reste, S. 21, A. Fischer, Der Gotze Jaguth, in ZDMG., BD., 58, S. 869, Leipzig, 1904.
٣ البلدان (٨/٥١١) .
٤ Reste, S. 20, Das Botzenbuch, S. 83.
٥ الملوك الثاني ، الاصحاح الثامن عشر الآية ٤ .
٦ Das Gotzenbuch, S. 82, Smith, The Religion of the Seites, London, 1927, p. 227, Journal of philo., IX, 99.

من كان في مذحج ، ومنهم من كان في قريش ، ومنهم من كان في هوازن . وقد كان قائد بني الحارث بن كعب على تميم في معركة (الكلاب) عبد يغوث ، كما كان لدريد بن الصمة أخ اسمه (عبد يغوث) . ومن مذحج : (عبد يغوث) ابن وقاص بن صلاءة الحارثي ، الذي قتلته (التيم) يوم الكلاب الثاني[1] . ومن بني زهرة : عبد يغوث بن وهب ، وعبيد يغوث ، وامهما صفية بنت هشام بن عبد مناف[2] . ويدل ذلك على ان عبادته كانت معروفة بين مذحج وأهل جرش وقريش وهوازن ، وقبائل أخرى مثل تغلب[3] .

ولم يرد اسم هذا الصنم في الكتابات[4] . وقد ذهب (روبرتسن سمث) الى انه (يعوش) Ye'ush المذكور في سفر التكوين ، وهو أحد أجداد أدوم[5] . ويمثله الأسد في نظر (روبرتسن سمث)[6] .

يعوق :

ويعوق أيضاً في جملة هذه الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على القبائل . لقد سلمه عمرو الى مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف ابن همدان فوضعه في موضع خيوان ، حيث عبدته همدان وخولان ومن والاها من قبائل . وكان في أرحب[7] .

وذكر (ياقوت الحموي) ان ابن الكلبي قال : « واتخذت خيوان يعوق ، وكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة ، ولم أسمع لها

---

١ المحبر (٢٥١) ، (عبد يغوث بن الحارث بن وقاص ، قتل يوم الكلاب وكان على مذحج يومئذ) ، الاشتقاق (٢٣٩) .

٢ الاشتقاق (٩٥) .

٣ Ency. Religi., I, p. 663.

٤ Ency. Religi., I, p. 663.

٥ التكوين ، الاصحاح ٣٦ ، الآية ٥ ، ١٤ ، ١٨ ، وأخبار اليوم الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٣٥ .

٦ Robertson, p. 226.

٧ الاصنام (٥٧) القاموس (٣/٢٧٠) ، الطبرسي (٥/٣٦٤) ، سبائك الذهب (١٠٤) الاكليل (١٠/٥٦) ، الكشاف (٤/١٣٤) ، الاشتقاق (٢٥٣) ، البلدان (٥/٤٣٨) ، روح المعاني (٢٩/٢٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٤/٤٢٦ وما بعدها) ، تفسير الخازن (٤/٣١٤) تفسير ابي السعود (٥/١٩٨) .

ولا لغيرها شعراً فيه . وأظن ذلك لأنهم قربوا من صنعاء واختلطوا بحمير، فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذي نواس ، فتهودوا معه »[1]. ونسب (الطبرسي) عبادة يعوق إلى كهلان ، وذكر انهم توارثوه كابراً عن كابر، حتى صار الى همدان[2]. وذكر في رواية أخرى ان يعوق اسم صنم كان لكنانة[3] .

وذكر بعض أهل الأخبار : (يعوق) صنم كان لكنانة ، « وقيل كان لقوم نوح عليه السلام ، كما في الصحاح . او كان رجلاً من صالحي أهل زمانه . فلما مات جزعوا عليه فأتاهم الشيطان في صورة إنسان . فقال : أمثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ، ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ، ثم تمادى بهم الأمر الى أن اتخذوا تلك الأمثلة أصناماً يعبدونها »[4] .

وتشير ملاحظة (ابن الكلبي) من أنه لم يسمع بأن همدان أو غير همدان سمت (عبد يعوق)[5] الى أن يعوق لم يكن من الأصنام المهمة بين العرب عند ظهور الإسلام ، وان عبادته كانت قد تضاءلت ، وانحصرت في قبائل معينة .

وهناك بيت ينسب الى مالك بن نبط الهمداني الملقب بذي المعشار ، وهو من بني خارف أو من يام بن أصى ، هذا نصه :

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبرى يعوق ولا يريش[6]

نسر :

وأما نسر فكان من نصيب حمير، أعطاه عمرو بن لحي قيل ذي رعين المسمى (معديكرب) فوضعه في موضع بلخع من أرض سبأ ، فتعبدت له حمير الى أيام

---

١ البلدان (٨/٥١٠) (يعوق) ، Reste, S. 22, Ency. Religl., I, p. 663.

٢ الطبرسي (٥/٣٦٥) .

٣ اللسان (١٠/٢٨١) (صادر) تاج العروس (٧/٢٩) ، اللسان (١٢/١٥٤) (بولاق) .

٤ تاج العروس (٧/٢٩) ، (عوق) .

٥ الاصنام (٧) ، (روزا) ، البلدان (٤/١٠٢) .

٦ الروض الانف (١/٦٣) ، ابن هشام (١/٦٣) ، (هامش الروض) .

ذي نواس ، فتهودت معه ، وتركت هذا الصنم[1] . وكان عبـاد نسر آل ذي الكلاع من حمير على رواية من الروايات[2] . وذكر (محمد بن حبيب) ، أن حمير تنسكت لنسر ، وعظمته ودانت له ، وكان في غمدان قصر ملك اليمن[3] . وذكر اليعقوبي أنه كان لحمير وهمدان منصوباً بصنعاء[4] .

ونسر هو (نشر) Nesher في العبرانية[5] . وهو صنم من أصنام اللحيانيين كذلك ، ويجب ان يكون من أصنام العرب الشماليين لورود اسمه في الموارد العبرانية والسريانية على انه اسم إلـه عربي[6] .

وأشير في التلمود الى صنم ذكر ان العرب كانوا يعبدونه اسمه (نشرا) Neshra و (نشرا) هو (نسر) . وقد ورد اسم الصنم (نسر) عند السبئيين كذلك، وكان من الآلهة المعبودة عند كثير من الساميين ، وقد عبد خاصة في جزيرة العرب[7] .

ولم يشر ابن الكلبي الى صورة الصنم نسر ، ولكننا نستطيع ان نقول استناداً إلى هذه التسمية انه كان على هيأة الطائر المسمى باسمه ، وقد وجدت أصنام على صورة نسر منحوتة على الصخور خاصة في أعالي الحجاز[8] . ويؤيد هـذا الرأي رواية ذكرها الطبرسي في أشكال الأصنام ، أسندها إلى الواقـدي ، قال فيها : « كان ود على صورة رجل ، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد ، ويعوق على صورة فرس ، ونسر على صورة نسر من الطير »[9] .

---

١ الاصنام (٥٧ وما بعدها) ، البلدان (٢٨٦/٨) (نسر) ابن هشام (٦٣/١) ، (هامش الروض) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، الكشاف (١٤٣/٤) بلوغ الارب (٢٠١/٢) ، القاموس (١٤١/٢) .

٢ الطبرسي (٣٦٤/٥) ، تاج العروس (٥٦٣/٣) ، اللسان (٦٠/٧ وما بعدها)، (نسر) .

٣ المحبر (٣١٧) .

٤ اليعقوبي (٢٢٥/١) .

٥ Hastings, p. 200.

٦ Handbuch, I, S. 44.

٧ Ency. Religi., I, p. 663.

٨ XXIX, S. 600. Robertson, p. 226, Noldeke, In ZDMG., 1886, S. 186.

٩ الطبرسي (٣٦٤/٥) .

عميأنس :

وعميأنس (عم أنس) ، هـو صنم خولان ، وموضعه في أرض خولان . وكان يقـدم له في كل عام نصيبه المقرر من الأنعام والحروث[1] . وذكر ابن الكلبي ان الذين تعبدوا له من خولان هم بطن منهم يقال لهم (الادوم) وهم الأسوم . وفيهم نزلت الآية : « وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا: هذا لله ، بزعمهم،وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون »[2] . وكانوا « يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم . فما دخل في حق الله من حق عميأنس ، ردوه عليه ، وما دخـل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له ، تركوه له »[3] .

وقد ورد ذكر هذا الصنم في خبر (وفد خولان) الذي قدم على رسول الله في شعبان سنة عشر ، إذ ذكر أن رسول الله قال لهم : « ما فعل عم أنس » ، فقالوا : بشرّ وعرّ ، أبدلنا الله به ، ولو قد رجعنا اليه هدمناه[4] . « وقـد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به »[5] .

وقـد كانوا يقدمون له القرابين حتى في أيام الضيق وأوقات المحنة ، تقرباً اليه . لقد قالوا للرسول حين سألهم : « ما أعظم ما رأيتم من فتنته » « لقـد رأيتنا وأسنتنا حتى أكلنا الرمة ، فجمعنا ما قدرنا عليه ، وابتعنا مئة ثور، ونحرناها لعم أنس قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها تردها السباع ، ونحن أحوج اليها من السباع ، فجاءنا الغيث من ساعتنا . لقد رأينا العشب يوارى الرجال ، ويقول قائلنا : أنعم علينا عم أنس »[6] . وذكروا له أنهم كانوا يقتسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم ، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءاً له[7] .

---

١ سبائك الذهب (١٠١) ، خـزانة الادب (٣/٢٤٥) ، سـيرة محمد (١/٥٣) ، (طبعة فرانكفورت) ، ابن خلدون (٢/١٦٩) ، الاغاني (٣٠/١٢٤) .
٢ الانعام ، الآية ١٣٧ .
٣ الاصنام (٤٤) .
٤ نهاية الارب (١٨/٨٢) ، ابن سعد (١/٣٢٤) (صادر) .
٥ عيون الاثر (٢/٢٥٣) .
٦ عيون الاثر (٢/٢٥٣ وما بعدها) .
٧ المصدر نفسه .

اساف ونائلة :

وللأخباريين قصص في اساف ونائلة ، وهما في زعم بعضهم إنسانان عملا عملاً قبيحاً في الكعبة ، فمسخا حجرين ، ووضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما . فلما طال مكثهما ، وعبدت الأصنام ، عبدا معها . وكان أحدهما بلصق الكعبة ، والآخر في موضع زمزم . فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة الى الآخر ، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما [1] . وفي رواية أن اسافاً كان حيال الحجر الأسود . وأما نائلة ، فكان حيال الركن اليماني[2] . وفي أخرى أنهما « أخرجا الى الصفا والمروة فنصبا عليها ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمرو بن لحي ، نقلها الى الكعبة ونصبها على زمزم : فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله »[3] . وذكر (اليعقوبي) ، أن (عمرو بن لحي) وضع (هبل) عند الكعبة ، فكان أول صنم وضع بمكة . ثم وضعوا به اساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من أركان البيت . فكان الطائف إذا طاف بدأ بأساف فقبله وختم به . ونصبوا على الصفا صنماً يقال له مجاور الريح وعلى المروة صنماً . يقال له مطعم الطير»[4]. فاليعقوبي ممن يرون إن اسافاً ونائلة كانا عند الكعبة ، لا على الصفا والمروة .

وتذكر رواية أخرى ان أساف صنم وضعه عمرو بن لحي الخزاعي على الصفا، ونائلة على المروة . وكانا لقريش . وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة . أو هما رجلان من جرهم ، أساف بن عمرو ونائلة بنت سهل فجرا في الكعبة ، وقيل أحدثا فيها ، فمسخا حجرين ، فعبدتهما قريش[5] . وورد ان موضع أساف ونائلة عند الحطيم[6] . وورد ان اسافاً رجل من جرهم ، يقال له اساف بن يعلى ، ونائلة

---

١ الاصنام (١٨) (روزا) الروض الانف (١/٦٤) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، ابن هشام (١/٨٦) ، الطبري (٢/٢٨٤) ، المحبر (٣١١ ، ٣١٨) ، اليعقوبي (١/٢٢٤) ، الطبري (٢/٢٤١) ، (المعارف) .

٢ الطبرسي (٥/٣٦٤) ، روح المعاني (٢/٤١) .

٣ الروض الانف (١/٦٥) ، ابن هشام ، تاج العروس (٦/٤٠) ، اللسان (٩/٦)، (أسف) ، البلدان (١/١٧٠) .

٤ اليعقوبي (١/٢٢٤) .

٥ تاج العروس (٦/٤٠ وما بعدها) ، اللسان (١٠/٣٤٨) ، الروض الانف (١/٦٤) ، بلوغ الارب (٢/٢٠٥) ، ابن هشام (١/٦٤) ، اللسان (٩/٦) ، (أسف) ، (صادر) .

٦ الازرقي ، أخبار مكة (١/٧٠) .

امرأة من جرهم يقال لها نائلة بنت زيد ، وكان اساف يتعشقها في أرض اليمن، فأقبلا حجاجاً ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ، ففجر بها في الكعبة ، فمسخا حجرين ، فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين ، فوضعوهما موضعها . فعبدتهما خزاعة وقريش ، ومن حج البيت بعد من العرب[1] .

وذكر (محمد بن حبيب) ان اسافاً كان على الصفا . وأما نائلة، فكان على المروة . (وهما صنمان . وكانا من جرهم . ففجر اساف بنائلة في الكعبة، فمسخا حجرين ، فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما ، ثم عبدا بعد)[2] . وكان نسك قريش لأساف : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك »[3] .

وورد اسم اساف في بيت شعر ينسب إلى بشر بن أبي خازم الأسدي ، هو:

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف[4]

وورد ان نائلة حين كسرها الرسول عام الفتح ، خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادي بالويل والثبور[5] .

ويظهر أن مردّ هذا القصص الذي يقصه علينا أهل الأخبار عن الصنمين، إنما هو الى شكل الصنمين . كان (اساف) تمثال رجل على ما يظهر من روايات الأخباريين ، وكان (نائلة) تمثال إمرأة . يظهر أنهما استوردا من بلاد الشأم، فنصبا في مكة ، فتولد من كونهما صنمين لرجل وامرأة ، هذا القصص المذكور ولعله من صنع القبائل الكارهة لقريش ، التي لم تكن ترى حرمة للصنمين .

وكانت قريش خاصة تعظم ذينك الصنمين وتتقرب اليهما ، وتذبح عندهما وتسعى بينهما . أما القبائل الأخرى ، فلم تكن تقدسهما ، لهذا لم تكن تتقرب اليهما ، ومن هنا لم يكن الطواف بهما من مناسك حج تلك القبائل .

---

١ الاصنام (٦) (روزا) ، (٩) ، (القاهرة ١٩١٤) .
٢ المحبر (٣١١) .
٣ المحبر (٣١١) ، صبح الاعشى (٤٦٢/٤) ، أخبار مكة ، للازرقي (٧٢) ، (طبعة لايبزك) ، (نائلة بنت وهب) ، (أساف بن عمر ، ونائلة بنت سهل) ، تفسير الطبري (٤٣/٢)، (١٩٥٤ م) .
٤ ديوان بشر بن أبي خازم ، ملحق الديوان رقم ١١ ، (صفحة ٢٣٣) .
٥ الروض الانف (٦٥/١) .

وكانت قريش تحلف عند هذين الصنمين . ولها يقول (أبو طالب) ، وهو يحلف بهما حين تحالفت قريش على بني هاشم :

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري وأمسكت من أثوابه بالوصائل
وحيث ينسخ الأشعرون ركابهم بمغضي السيول من أساف ونائل

فكانا على ذلك الى أن كسرهما الرسول يوم الفتح فيما كسر من الأصنام[1] .

ويظهر من الشعر المتقدم ، أن أسافاً ونائلة كانا في موضعين مكشوفين ،وعندهما كان ينيخ الأشعرون . ويؤيد ذلك هذا الشعر المنسوب الى بشر بن أبي خازم الأسدي :

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من أساف[2]

حيث يظهر أن الطير كانت تقف مكتظة عليه ، لا تخاف من أحد ، ولا تفزع من قادم ، لأنها في حرمة صنم .

رضى :

ورضى ، ويكتب رضاء في بعض الأحيان ، هو صنم آخر . وذكر ابن الكلبي انه كان لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فهدمه المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . هدمه في الاسلام[3] . وتعبدت لهذا الصنم قبيلة تميم . وقد ورد اسم (عبد رضى) بين أسماء الجاهليين . ويظهر ان قبيلة طيء كانت قد تعبدت له كذلك[4] .

و (رضى) من الأصنام المعروفة عند قوم ثمود . وقد ورد اسمه في كتابات

---

١ تاج العروس (٦/٤٠) ، « أسف » .
٢ ابن الكلبي (٢٩ وما بعدها) ، ديوان بشر بن أبي خازم ، ملحق الديوان ، رقم ١١ ، (ص ٢٣٣) .
٣ الاصنام (٣٠) ، (١٩) ، (روزا) ، الروض الانف (١/٦٧) ، تاج العروس (١٠/١٥١) ، (رضو) .
٤ الاغاني (٧/١٤٧) ، (٩/١٦ ، ٤٧) .

ثمودية عديدة[1] . وكانت عبادته منتشرة بين العرب الشماليين . وورد في نصوص تدمر وبين أسماء بني إرم[2] ، كما ورد في كتابات الصفويين . وورد على هـذا الشكل : (رضو) و (رضى)[3] ، و (هرضو) (ها ـ رضو) . ويظن انه يرمز إلى كوكب .

ويظهر من بيت شعر ينسب إلى المستوغر في كسره رضى في الاسلام ، هو :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها تلا تنازع أسحما[4]

ان الصنم (رضى) (رضاء) ، هـو أنثى ، بدليـل استعمال ضمـير التأنيث في لفظة (فتركتها) . فهو إلهـة . ويرى بعض الباحثين ، انه إلهة أيضاً عند العرب الصفويين .

مناف :

و (مناف) : صنم من أصنام الجاهلية ، قال عنه ابن الكلبي : « وكان لهم مناف ، فيه كانت تسمى قريش (عبد مناف) . ولا أدري أيـن كان ، ولا من نصبه ؟ »[5] . وسمي به أيضاً رجال من هذيل[6] . و « بـه سمي عبد مناف . وكانت أمه أخدمته هذا الصنم »[7] .

وفيه يقول بلعاء بن قيس :

وقرن وقد تركت الطير منه كمعتبر العوارك من مناف[8]

---

١ Reste, S. 58, Ency. Religi., I, p. 662, Hubert Grimme. Die Losung des Sinai., S. 43, 44.

٢ Vogue 6, 84, Reste, S. 59.

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (١٣٥ وما بعدها) .

٤ الاصنام (١٩) ، (روزا) ، (٣٠) ، (أحمد زكي) ، الروض الانف (٦٧/١) ، (فتركتها قفرا بقاع أسحما) ، سبائك الذهب (١٠٤) ، ابن هشام (٦٦/١) ، (حاشية على الروض) ، تـاج العروس (١٥١/١٠) ، ابن كثـير ، البدايـة (١٩٢/١) .

٥ الاصنام (٣٢) ، (٢٠) ، (روزا) ، تاج العروس (٢٦٣/٦) . (ناف) .

٦ Reste, S. 57.

٧ تاج العروس (٢٦٣/٦) ، (ناف) ، الاصنام (٣٢٢) ، البلدان (١٦٦/٨) ، النقائض (١٤١) ، بيفان) ، بلوغ الارب (٢٠٦/٢) .

٨ تاج العروس (٢٦٣/٦) . (ناف) .

ويتبين من ورود اسم (مناف) بين عرب الشأم أنه كان إلهاً معبوداً عندهم كذلك . وقد عثر عـــلى اسمه في كتابة دوّنها شخص اسمه : (أبو معن) على حجر توجه بها الى الإلهة مناف ، ليمن عليه بالسعد والبركة ، وحفرت عـــلى الحجر صورة الإلـه (مناف) على هيأة (رجل لا لحية له) يتحدر على عارضيه شعر رأسه الصناعي المرموز به الى الإلهة الشمس ، وحول جفنيه وحدقتيه خطّان ناعمان ، ويزين جيده قلادة ، كما ترى غالباً في تصاوير الآلهة السوريين ، وعلى صدره طيات ردائه ، ويرى طرف طيلسانه الإلهي الذي ينعطف من كتفه الأيسر فيتصل الى الأيمن ويعقد به [1] . وقد ذهب المتخصصون الذين فحصوا هذه الكتابة الى أنها من حوران .

وقد عثر على كتابة وجدت في حوران ، ورد فيها اسم (منـــاف) مع إلـه آخر ، ورد اسم مناف فيها على هذا الشكل .(MN, PHA) وقد عثر على كتابة أخرى وجد فيها الاسم على هذه الصورة : (منافيوس) Manaphius ، مما يدل على أن المراد بالإسمين شيء واحد ، هو الإلـه مناف [2] .

ذو الخلصة :

أما ذو الخلصة ، فكان صنم خثعم وبجيلة ودوس وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة [3] ، والحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مر بن أد وبنو هلال بن عامر ،وكانوا سدنته [4] . وذكر ابن الكلبي ان سدنته بنو أمامة من باهلة بن أعصر [5] .

---

١ المشرق ، السنة الرابعة والعشرون ، العدد ٣ ، اذار ١٩٣٣ م ، (ص ١٩٨ ومـــا بعدها) .

٢ المشرق ، السنة ٢٤ ، اذار ١٩٣٣ ، العدد ٣ ، (ص ١٩٨ وما بعدها) ،
Ency. Religi., I, p. 662, Ephem. Epigr., II, 390
No. 22, Mordtmann, in ZDMG., XXIX, 1875, S. 106.

٣ الاصنام (٣٥ ، ٤٧) ، (٢٢) (روزا) ، ابـن هشـــام (١/ ٣٠) ، الازرقي (١/ ٢٥٦) ، الروض الانف (١/ ٦٦) ، بلوغ الارب (٢/ ٢٠٧) ، اليعقوبـي (١/ ٢٢٥) .

٤ المحبر (٣١٧) .

٥ الاصنام (٢٢) (روزا) .

وصفته انه (كان مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيأة التاج) . وكان بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة[1] . وله بيت يحج اليه . وجعل (ابن حبيب) موضع البيت في العبلاء على أربع مراحل من مكة[2] .

وفي رواية لابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب ذا الخلصة بأسفل مكة،فكانوا يلبسونه القلائد ، ويهدون اليه الشعير والحنطة ، ويصبون عليه اللبن ، ويذبحون له، ويعلقون عليه بيض النعام[3] .

وهناك روايات جعلت ذا الخلصة (الكعبة اليمانية) لخثعم ، ومنهم من سمّاه كعبة اليمامة . وأظن ان هاتين الروايتين هما روايـة واحدة في الأصل ، صارت روايتين من تحريف النساخ . ومنهم من جعل ذا الخلصة بيتاً في ديار دوس[4] . ويستنتج من كـل هذه الروايات ان ذا الخلصة بيت كان يدعى كعبة أيضاً ، وكان فيه صنم يدعى الخلصة ، لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم[5] .

ويظهر من حديث : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة ، والمعنى انهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبـادة الأوثان ، فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة ، فترتج أعجازهن »[6] . ويستنتج من ذلك ان بني دوس وغيرهم كانوا يطوفون حول كعبـة ذي الخلصة التي في جوفها صنم الخلصة .

وكان (بيت ذي الخلصة) من البيوت التي يقصدها الناس للاستقسام عندها

---

١ الاصنام (٢٢) (روزا) (٣٤) (أحمد زكي) ، الازرقي (١/٧٣) .

٢ المحبر (٣١٧) بلوغ الارب (٢/٢٠٧) ، صفة جزيرة العرب (١٢٧) .

٣ الازرقي ، أخبار مكة (١/٧٣) (باب ما جاء في الاصنام التي كانت على الصفا والمروة) ، تاج العروس (٤/٣٨٩) (خلص) ، البلدان (٨/٤٣٤) .

٤ ابن هشام (١/٣٠) ، الاغاني (٩/٧) ، الاكليل (٨/٨٤) ، بلـوغ الارب (٢/٣٢٩) ، وقد أجمل السيد رشدي الصالح ملحس الروايات الواردة عن ذي الخلصة في نهاية الاول من تأريخ مكة للازرقي . وهو يرى أن البجلي لم يهدم بنيان بيت ذي الخلصة تهديما تاما ، وانه بقي الى أيام الملك عبد العزيز ال سعود ، فأزاله ، وأحرقت الشجرة التي كانت بجانب البيت وهي شجرة العبلاء . وذهب أيضا أن ذلك البيت لم يكن بتبالة ، انما كان في تروق وقد عرف البيت بالولية كذلك . الازرقي (١/٢٥٦ وما بعدها) ابن هشام (١/٦٤) (حاشية على الروض الانف ، تاج العروس (٢/٣٧٨) ، الروض الانف (١/٦٥ وما بعدها) .

٥ اللسان (٧/٢٩) (خلص) (صادر) .

٦ اللسان (٧/٢٩) (خلص) .

بالأزلام . وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهي ، والمتربص[1] .

وفي ذي الخلصة قال أحد الرجّاز :

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

وكان سبب قوله أنه قُتل أبوه ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنه بالأزلام ، فخرج السهم ينهاه عن ذلك ، فقال تلك الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس[2] . وذكر (ابن الكلبي) أيضاً أنه لما أقبل امرؤ القيس بن حجر ، يريد الغارة على بني أسد ، مرّ بذي الخلصة ، فاستقسم عنده ثلاث مرات . فخرج الناهي . فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم ، ثم غزا بني أسد ، فظفر بهم[3] .

وقد هدم البيت في الإسلام ، « فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبدالله مسلماً . فقال له : يا جرير : ألا تكفينني ذا الخلصة ؟ فقال : بلى . فوجهه اليه . فخرج حتى أتي بني أحمس من بجيلة ، فسار بهم اليه . فقاتلته خثعم وباهلة دونه . فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مئة رجل ، وأكثر في خثعم ، وقتل مئتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم . فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذي الخلصة ، وأضرم فيه النار فاحترق[4] . وورد في رواية أن هدمه كان قبل وفاة الرسول بشهرين أو نحوهما[5] .

ويذكر (ابن الكلبي) أن موضع بيت ذي الخلصة عند عتبة باب مسجد تبالة[6] أما (ابن حبيب) ، فذكر أنه صار بيت قصار في العبلاء[7] . وذكر أن موضعه

---

١ الاصنام (٢٢ ، ٢٩) (روزا) .
٢ الاصنام (٣٥) (٢٢) (روزا) الروض الانف (١/٦٥) ، ابن هشام (١/٦٥) (هامش على الروض الانف) بلوغ الارب (٢/٢٠٧) .
٣ الاصنام (٢٩) (روزا) .
٤ الاصنام (٢٣) (روزا) ، الطبري (٣/١٥٨) (دار المعارف) .
٥ الروض الانف (١/٦٦) .
٦ الاصنام (٢٣) (روزا) .
٧ المحبر (٣١٧) .

مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم[1] .

ويظهر من رثاء امرأة من خثعم لذي الخلصة حين هدمه جرير بن عبدالله ، وأحرق بيته ، وهو قولها :

وبنو أمامة بالوليّة صرعوا ثملا يعالج كلهم انبوبا[2]

ان (الخلصة) كان صنماً أنثى ، أي إلهة ، ولذلك قيل له (الوليّة) ، كما ترى ذلك في البيت المذكور . ونجد في مواضع أخرى من روايات أهل الأخبار ما يؤيد هذا الرأي ، فقد استعملوا ضمير التأنيث للتعبير عنها[3] ، كما قالوا فيه (المروة البيضاء)[4] . وأما تعبيرهم عنه بضمير التذكير ، مثل قولهم (وكان) ، فإنهم أرادوا بذلك لفظ (صنم) فذكروه .

سعد :

وكان لمالك وملكان ، ابني كنانة ، بساحل جدة وتلك الناحية صنم يقال له سعد . وكان صخرة طويلة[5] . وذكر (اليعقوبي) انه كان لبني بكر بن كنانة[6] . وذهب (ابن اسحاق) إلى انه في موضع قفر ، وقيل انه قرب اليمامة . وقد أورد الأخباريون عنه هذه القصة : « أقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها . فلما أدناها منه نفرت منه ، وكان يهراق عليه الدماء ، فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه ، وأسف فتناول حجراً فرماه به ، وقال : لا بارك الله فيك إلهاً . أنفرت عليّ إبلي » . ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، وانصرف عنه ، وهو يقول :

---

١ الروض الانف (١/٦٥) .
٢ الاصنام (٢٣) (روزا) .
٣ الازرقي (١/٧٣) ، تاج العروس (٤/٣٨٩) .
٤ قال خداش بن زهير العامري :
وبالمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة النعمان حيث تنصرا
الاصنام (٢٢) (روزا) .
٥ الاصنام (٣٦ وما بعدها) (٢٣) (روزا) ابن هشام (١/٦٤) (حاشية على الروض) تاج العروس (٢/٣٧٨) .
٦ اليعقوبي (١/٢٢٥) .

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد ، فلا نحن من سعـــد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعي لغيّ ولا رشد[1]

وذكر (ابن قتيبة) أن سعداً صنم على ساحل البحر بتهامـــة ، تعبده عك ومن يليها ، ويقال كانت تعبده هذيل[2] .

وقد ورد اسم (سعد) في أسماء الأشخاص المركبة المضافة ، مثل (عبد سعد) ، وهو مما يدل على أن الناس كانوا يتبركون به بتسمية أبنائهم باسمه[3] .

وقد ورد اسم هذا الصنم في كتابات النبط ، فدعي بـ (سعدو)[4] . كما ورد في كتابات الصفويين ، ممـــا يدل على أنه كان بين الأصنام التي تعبد لها أولئك القوم[5] . ويظن انه يرمز الى كوكب .

ذو الكفين :

وهناك صنم عرف عند الأخباريين بـ (ذي الكفين) وكان لدوس ، ثم لبني منهب بن دوس . فلما أسلموا ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، الطفيل بن عمرو الدوسي ، فحرقه وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميـــلادنا أكبر مـــن ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا[6]

ويظهر من هذا الرجز أنه أحرقه بالنار . ومعنى هـــذا أنه لم يكن صنماً من

---

١ الاصنام (٣٧) ، (٢٣) (روزا) ابن هشـــام (١/٦٤) ، (حاشيـــة على الروض الانف) الروض الانف (١/٦٤) ، تاج العروس (٢/٣٧٨) ، اللسان (٣/٢٠٢) (سعد) بلوغ الارب (٢/٢٠٨) ، اللسان (٣/٢١٨) (صادر) .
٢ الاشتقاق (٢٥) ، تاج العروس (٣/٣٧٨) ، (سعد) .
٣ الاغاني (١١/١٧١) ، Reste, S. 60.
٤ O. Eissfeldt, 150, Arabien, S. 85. Handbuch, I, S. 234.
٥ Ency. Religi., I, p. 662.
٦ الاصنام (٣٧) ، (٢٣) (روزا) الازرقي (١/٧٨ ، ٢٦٩) ، تأريـــخ الخميس (٢/١٠٩) ، تاج العروس (٦/٢٣٥) ، (كف) ، اليعقوبي (١/٢٢٥) ، (أقدم)، الروض الانف (١/٢٣٥) .

حجر ، وإنما كان من خشب ، أو أنه أراد بيت الصنم . وذكر أن هذا الصنم كان صنم (عمرو بن حممة الدوسي) أحد حكام العرب[1] .

ذو الشرى :

وكان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد ، صنم يقال له ذو الشرى[2]. وورد في رواية للأخباريين أن (ذا الشرى) صنم لدوس كان بالسراة[3] . وقد ورد اسم هذا الصنم في الحديث النبوي ، وورد بين أسماء الجاهليين اسم (عبد ذي الشرى)[4] .

ويرى بعض اللغويين ان الشرى ما كان حول الحرم ، وهو إشراء الحرم[5] ، فإذا كان هذا التعريف صحيحاً، فإنه يكون في معنى (ذات حمى) عند السبئيين[6]. وكان له حمى ، به ماء يهبط من جبل ، حمته دوس له[7] .

و (ذو الشرى) إلّه ورد اسمه في كتابات (بطرا) و (بصرى) ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد .

الأقيصر :

أما الأقيصر ، فكان صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان ، وكان في مشارف الشأم . وقد ذكر اسمه في شعر لزهير بن أبي سلمى ، ولربيع بن ضبع الفزاري ، وللشنفرى الأزدي[8] . وكانوا يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويلقون مع الشعر قرة من دقيق[9] . وهي عادة كانت متبعة عند بعض قبائل اليمن كذلك .

---

١ امتاع الاسماع (٣٩٨/١) .
٢ الاصنام (٣٨) ، (٢٤) (روزا) بلوغ الارب (٢٠٩/٢) .
٣ تاج العروس (١٩٧/١٠) .
٤ Ency. Religi, I., p. 663, Reste, S. 48.
٥ (وأشراء الحرم : نواحيه ، والواحد شرى) ، اللسان (٤٢٨/١٤) (صادر) .
٦ Reste, S. 51.
٧ نهاية الارب (١٤/١٨ وما بعدها) .
٨ الاصنام (٣٨ وما بعدها) ، (٢٤) (روزا) ، تاج العروس (٤٩٧/٣) ، اللسان (٤١٦/٦) ، الاغاني (١٤١/٢١) .
٩ البلدان (٣٤١/١ وما بعدها) (الاقيصر) الاصنام (١٨) .

ويذكر (ابن الكلبي) أن هوازن كانت تنتاب حجاج الأقيصر ، فإن أدركت الموسم ، قبل أن يلقي القرة ، أي قبضات من دقيق ، قال أحدهم لمن يلقي : « أعطنيه . فإني من هوازن ضارع » ، وإن فاته ، أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق ، فخبزه وأكله . وقد عيرت هوازن في ذلك ، فقال معاوية بن عبد العُزى بن ذراع الجرمي ، في (بني جعدة) وكانوا قد اختصموا مع بني جرم في ماء لهم الى النبي يقال له العقيق ، فقضى به رسول الله لجرم، شعراً منه :

ألم تر جرماً أبجدت وأبوكم مع القمل في جفر الأقيصر شارع ؟
إذا قرة جاءت بقول: أصب بها سوى القمل؟ إني من هوازن ضارع[1]

ويظهر من بيت شعر رواه (ابن الأعرابي) ، هو :

وأنصاب الأقيصر حين أضحت تسيل على مناكبها الدماء

ومن بيت لزهير بن أبي سلمى ، هو :

حلفت بأنصاب الأقيصر جاهداً وما سحقت فيه المقاديم والقمل[2]

انه كان عند الصنم الأقيصر أنصاب ينحر الناس عليها ذبائحهم التي يتقربون بها إلى هذا الإلـه . وكانت أكثر من نصب واحد ، وقد تلطخت بالدماء من كثرة ما ذبح عليها .

وأشير إلى (أثواب الأقيصر) في بيت للشنفرى الأزدي[3] . ويظهر ان عباده كانوا يطوفون حوله ، وهم يلبون ويغنون[4] .

---

١ الاصنام (٣٠) (روزا) .

٢ الاصنام (٣٠) (روزا) تاج العروس (٣/٤٩٧) ، اللسان (٦/٤١٦) ، الاغاني (٢١/١٤١) .

٣ وان امرءا أجار عمرا ورهطه علي ، وأثواب الاقيصر ، يعنف الاصنام (٢٥) (روزا) .

٤ البلدان (١/٣٤٠) ،

نهم :

وكان لمزينة صنم يقال له : نهم ، كسره سادنه خزاعي بن عبد نهم ، وهو من مزينة من بني عداء ، وأعلن إسلامه[1] . ويظهر من أبيات لأمية بن الأسكر ان أتباع الصنم كانوا يقدمون الذبائح له ، ويقسمون به . وقد سمى منهم جملة رجال عرفوا بـ (عبد نهم) من بني هوازن وبجيلة وخزاعة[2] . وهـذا مما يدل على انتشار عبادة هذا الصنم بين هذه القبائل أيضاً .

عائم :

وكان لأزد السراة صنم يقال له عائم . ورد اسمه في شعر لزيد الخير ،المعروف أيضاً بزيد الخيل[3] .

سعير :

أما سعير ، فهو صنم عنزة[4] . وكان الناس يحجون اليه ويطوفون حولـه ، ويعترون العتائر له ، وقد ورد في شعر لجعفر بن خلاس الكلبي ، وكان راكباً ناقة له ، فمرت به ، وقد عترت عنزة عنده ، فنفرت ناقته منه ، فأنشأ يقول؛

نفرت قلوصي من عتائر صرعت حول السعير تزوره ابنا يقدم
وجموع يذكر مهطعين جنابـه ما ان يحـير اليهم بتكـلم[5]

---

١ (وكان سادن نهم يسمى خزاعي بن عبد نهم ، من مزينة ثم من بني عداء . فلمـا سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ثار الى الصنم فكسره . وأنشأ يقول :
ذهبت الى نهـم لاذبـح عنـده عتـيرة نسك كالتي كنـت أفعـل
فقلت لنفسي حـين راجعت عقلها أهـذا الـه أبكـم ليس يعقـل ؟
أبيـت فديني اليـوم دين محمد الـه السمـاء الماجـد المتفضـل
الاصنام (٣٩ وما بعدها) (٢٥) (روزا) معجم الشعراء (٣٢٨) ، بلـوغ الارب (٢/٢١٠) .

٢ Reste, S. 58.

٣ الاصنام (٤٠) ، (٢٥) (روزا) الاغاني (١٦/٥٧) ، بلوغ الارب (٢/٢١٠) .

٤ الاصنام (٤١) ، (٢٥) (روزا) بلوغ الارب (٢/٢١٠) .

٥ الاصنام (٢٥) (روزا) (٤١) (أحمد زكي باشا) .

وبين أسماء الرجال أناس عرفوا بـ (سعير)[1] . والسعير النار واللهب ، ولا استبعد وجود صلة بين هذا المعنى وبين هذا الصنم . بأن يكون هـذا الصنم ممثلاً للشمس[2] .

الفلس :

وكان لطيء صنم يقال له الفلس ، وكان أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ ، أسود ، كأنه تمثال إنسان . وكانوا يعبدونه ، ويهدون اليه ، ويعترون عنده عتائرهم ، ولا يأتيه خائف إلاّ أمن عنده ، ولا يطرد أحـد طريدة فيلجأ بها اليه إلاّ تركت له ولم تخفر حويته أي حوزته وحرمه[3] . ذكر (ابن حبيب) انه كان بنجد ، وكان قريباً من فيد وسدنته بنو بولان[4] .

وبولان جد بني بولان هو الذي بدأ بعبادته على روايـة ابن الكلبي . وكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفي « فأطرد ناقة خلية لامرأة من كلب من بني عُلَيم ، كانت جارة لمالك بن كلثوم الشمجي ، وكان شريفاً ، فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت جارة مالك ، فأخبرته بذهابه بناقتها ، فركب فرساً عُرياً وأخذ رمحه ، وخرج في أثره ، فأدركه وهو عند الفلس ، والناقـة موقوفة عند الفلس ، فقال له : خل سبيل ناقة جارتي . فقال : انها لربك . قال : خل سبيلها . قال : أتخفر إلهك ؟ فبوأ له الرمح ، فحل عقالها ، وانصرف بها مالك ، وأقبل السادن على الفلس ، ونظر إلى مالك ، ورفـع يده وقال ، وهو يشير بيده اليه :

يا ربّ إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب علكوم
وكنت قبل اليوم غير مغشوم

---

١ Reste, S. 61.

٢ تاج العروس (٣/٢٦٨) ، (سعر) .

٣ الاصنام (٥٩ وما بعدها) ، (٣٧) (روزا) الروض الانف (١/٦٥) نهاية الارب (١٨/٧٧) ، البلدان (٣/٩١١) ، جمهرة (٣/٣٨) .

٤ المحبر (٣١٦) ، اليعقوبي (١/٢٢٥) .

يحرضه عليه . وعدي بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك . وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال ، انظروا ما يصيبه في يومه هذا . فمضت له أيام لم يصبه شيء . فرفض عدي عبادته وعبادة الأصنام وتنصر . فلم يزل متنصراً حتى جاء الله بالاسلام ، فأسلم .

فكان مالك أول من أخفره . فكان بعد ذلك السادن إذا أطرد طريدة ، أخذت منه . فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام ، فبعث اليه علي بن أبي طالب ، فهدمه ، وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك غسان قلده اياهما ، يقال لهما مخذم ورسوب ، فقدم بهما علي بن أبي طالب على النبي ، فتقلد أحدهما ، ثم دفعه إلى علي بن أبي طالب ، فهو سيفه الذي كان يتقلده »[1] . وجاء في بعض الروايات ذكر ثلاثة سيوف ، هي : مخذم ، ورسوب ، واليماني[2] .

وقد عرف (مالك بن كلثوم بن ربيعة) الشمجي المذكور ، بـ (مخفر الفلس) ، لأنه أخفر ذمته ، وكان لا تخفر ذمته[3] .

و (الفلس) ، هو (هفلس) (ها ـ فلس) ، عند لحيان . وقد تعبدوا له مع أصنام أخرى ، وردت أسماؤها في نصوصهم[4] .

ويلاحظ أن (ابن الكلبي) الذي يروي هذا الخبر ، كان نفسه قد روى قبل ذلك أن السيفين مخذماً ورسوباً ، كانا على الصنم مناة ، صنم الأوس والخزرج ، وأن الذي أهداهما له هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وأن علي بن أبي طالب لما هدم منـاة ، أخذ السيفين معه ، فجاء بهما الى الرسول . فيظهر من ذكره للخبر مع صنمين انه وقع في هفوة أو نسي ، فجعل من القصة الواحدة قصتين.

أصنام أخرى :

وكانت لطيء أصنام أخرى ، منها اليعبوب ، وهو صنم لجديلة طيء ، وكان

---

١ الاصنام (٣٧ وما بعدها) ، (روزا) ، نهاية الارب (١٨/٧٧) ، تاج العروس (٤/٢١٠) ، (الفلس) .

٢ Das Gotzenbuch, S. 140.

٣ الاشتقاق (٢/٢٣٥) .

٤ Jaussen — Savignac, Mission, II, 484, Grohmann, S. 984.

لهم صنم أخذته منه بنو أسد ، فتبدلوا اليعبوب بعده . وقد ورد ذكره في شعر لعبيد :

فتبـــدلوا اليعبوب بعـــد إلههم صنماً ، فقروا ، يا جديل ، وأعذبوا

أي : لا تأكلوا على ذلك ، ولا تشربوا [1] .

وأما باجر ، فكان صنماً للأزد ومن جاورهم من طيء وقضاعة [2] .

ولم يذكر ابن الكلبي في كتابه الأصنام اسم الصنم الجلسد . وهو صنم كانت كندة تتعبد له ، وكذلك تعبد له أهل حضرموت . وكان سدنته بنو شكامة من السكون ، وهم من كنـــدة . وكان للصنم حمى ، ترعاه سوامه وغنمه ، فإذا دخلته هوافي الغنم ، حرمت على أربابها ، وصارت ملكاً للصنم [3] .

وقد وصف بأنه كان كجثة الرجل العظيم ، من صخرة بيضاء ، لها كالرأس أسود ، إذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الإنسان . وكانوا يكلمون منه ، وتخرج منه همهمة ، ويقربون القرابين اليه ، ويلطخون بدمه ، ويكترون ثيـــاب السدنة يلبسونها حينما يقربون قرباناً اليه ويريدون مكالمته [4] . ويلاحظ أن تغيير الملابس وابدالها للتطهر ، له مثيل عند العبرانيين [5] .

المحرق :

وكان المحرق (محرق) صنماً لبكر بن وائل وبقية ربيعـة في موضع سلمان . وأما سدنته ، فكانوا أولاد الأسود العجلي . وقد نسب اليـه بعض الرجال فورد

---

١ الاصنام (٣٩) (روزا) ، (٦٣) (أحمد زكي باشا) ، المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، الجزء الاول (ص ٥) .

٢ الاصنام (٦٣) (٣٩) (روزا) .

٣ البلدان (١٢٢/٣) . قال المثقب العبدي ، وقيل عدي بن وداع :

فبـــات يجتـــاب شقارى كما يبقـــر مـــن يمشي الى الجلســـد

تاج العروس (٣٢٤/٢) ، (جلسد) .

٤ البلدان (١٢٢/٣ وما بعدها) .

٥ التكوين ، الاصحاح الخامس والثلاثون ، الآية ٢ .

(عبد محرق)[1] . ويظن بعض المستشرقين انه عرف بـ (محرق) لأن عبدته كانوا يقدمون اليه بعض القرابين البشرية محروقة[2] . وكان بنو بكر بن وائـــل وسائر ربيعة ، قد جعلوا في كل حي من ربيعـــة له ولداً . (وكان في عنزة بلج بن المحرق . فكان في عميرة وغفيلة عمرو بن المحرق . وكان سدنتـــه آل الأسود العجليون)[3] .

الشمس :

والشمس صنم كان لبني تميم ، وله بيت . وكانت تعبده بنو أد كلها : ضبة، وتميم ، وعدي ، وعكل ، وثور . وأما سدنته ، فكانوا من بني أوس بن مخاشن ابن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تمـــيم . فكسره هند بن أبـي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن[4] . وقد قيل لها : الإلاهة[5] . وذكر (اليعقوبـي) ان قوماً من (عذرة) تعبدوا لصنم يقال له : شمس[6] .

وقد ذكر بعض أهل الأخبار ، ان الشمس صنم قديم . وأول من تسمى بـه سبأ بن يشجب[7] . وذكر (اليعقوبـي) ، انه صنم قوم من عذرة[8] .

وقد وردت جملة أسماء منسوبة إلى الشمس ، عرف أصحابها بعبـــد شمس ، منهم من قبائل أخرى من غير تميم . ويدل دلك على ان عبادتها كانت معروفـة في مواضع مختلفة من جزيرة العرب . وعرف بعض الأشخاص بـ (عمرو شمس) عند العرب الشماليين[9] .

---

١ الاصنام (١١١) (تكملة الاصنام) البلدان (٣٩٣/٧) (المحرق) ، تاج العروس (٣١٣/٦) ، (حرق) .
٢ Reste, S. 57, Ency. Religl., I, p. 660.
٣ المحبر (٣١٧) .
٤ المحبر (٣١٦) ، البلدان (٢٩٣/٦) (شمس) .
٥ شمس العلوم (حـ ١ ق ١ ص ٩٣) .
٦ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
٧ تاج العروس (١٧٢/٤) ، (شمس) .
٨ اليعقوبي (٢٢٥/١) .
٩ Ency. Religl., I, 660.

وفي جملة أصنام تميم الأخرى ، الصنم تيم ، وبه سمي رجـال من تميم ومن غيرهم ، مثل (عبد تيم) و (تيم الله)[1] .

وهناك أسماء أصنام أخرى لم ترد في كتاب الأصنام ، إنمـا وردت في كتب أخرى . وقد ذكرها (ابن الكلبي) نفسه في بعض مؤلفاته . ومن هذه الأصنام: الأسحم ، والأشهل ، وأوال ، والبجة ، وبلج ، والجبهة ، وجريش ، وجهار ، والدار ، وذو الرجل ، والشارق ، وصدا ، وصمودا ، والضمار ، والضيزن ، والعبعب ، وعوض ، وعوف ، وكثرى ، والكسعة ، والمـدان ، ومرحب ، ومنهب ، والهبا ، وذات الودع ، وياليل[2] ، وذريح[3] ، وباجر ، والجـد ، وحلال ، والحمام ، وذو اللبا ، والسعيدة ، وغنم ، وفراض ، وقزح ، وقيس ، والمنطبق ، ونهيك[4] .

أما أوال ، فإنه ايال ، وهو صنم بكر وتغلب[5] .

وأما جهار ، فقد كان من أصنام هوازن ، وموضعه بعكـاظ ، وسدنته آل عوف النصريون ، ومعهم محارب فيه . وكان في أسفل أفطح[6] . وكانت تلبيـة من نسك لجهار : « لبيك ، اللهم لبيك ، لبيك ، اجعل ذنوبنا جبار ، وأهدنا لأوضح المنار . ومتعنا وملنا بجهار »[7] .

وأما الدار ، فصنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب[8] .

وأما الدوار ، فصنم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعاً حوله ، يدورون به ، واسم ذلك الصنم والموضع الدوار ، ومنه قول امرىء القيس :

فعنّ لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاءٍ مذيل[9]

وقد ذكر (ابن الكلبي) ان العرب تسمي الطواف حول الأصنـام والأوثان

---

١ الاغاني (١٦٨/١٨) ، كتاب المعمرين (٣١) ،
٢ الاصنام (١٠٧ وما بعدها) (تكملة) .
٣ المحبر (٣١٤ ، ٣١٨) .
٤ Reste, S. 64.
٥ الاصنام (١٠٧) .
٦ المحبر (٣١٥) .
٧ المحبر (٣١٢) .
٨ الاصنام (١٠٨) ، تاج العروس (٢١٦/٣) ، الاشتقاق (٥٦ ، ٩٧) .
٩ اللسان (٣٨٤/٥) .

الدوار[1] . وعرف بعض أهل الأخبار الدّوار بأنه (نسك للجاهلية يدورون فيه لصنم أو غيره)[2] .

ويظهر من دراسة ما ورد في كتب أهل الأخبار وفي كتب اللغة عن (الدوار) ان الدوار لم يكن صنماً ، وانما هو طواف حول صنم من الأصنام ، أي عبادة من العبادات لا تختص بصنم معين . وقد كان من عادة الجاهليين الطواف حول الأصنام . فظن بعض أهل الأخبار ان الدوار صنم معين ، أو انه صنم ينصب ، فيدور الناس حوله .

وأما ذو الرجل ، فهو صنم من أصنام أهل الحجاز[3] . ويظهر ان هذا الصنم، وكذلك الصنم (ذو الكفين) ، هما من الأصنام التي تغلبت صفاتها على أسمائها، فنعتت بهذه النعوت ، كأن تكون لرجل أحد الصنمين ، ولكفى الصنم الآخر ميزة خاصة وعلامة فارقة مثل كسر أو دقة صنعة ، جعلت الناس يدعون الصنمين بالنعتين البارزين . ويرى (نولدكه) احتمال كون هذين الصنمين حجرين في الأصل من الأحجار المقدسة Fetish التي كان يعبدها الناس في القديم ، ثم تحولت إلى صنمين بعد ان رسمت عليها بعض التصاوير صيرتهما على شكل انسانين[4] .

وسمي بالصنم (الشارق) جملة رجال عرفوا بعبد الشارق[5] . ولكلمة الشارق علاقة بالشروق . وقد ذهب (ولهوزن) إلى ان المراد به الشمس لشروقها[6] . و (الشريق)اسم صنم أيضاً[7] . وعندي ان الشارق وشريقاً نعتان للآلهة ، وليسا اسمين لصنمين ، وانهما في معنى (شرقن) الواردة في نصوص المسند ، وتعني (الشارق) ، أي اللفظة المذكورة تماماً . وقد وردت نعتاً في نصوص عربية جنوبية كثيرة ، مثل جملة : (عثتر شرقن) ، أي (عثتر الشارق) . فالشارق إذن نعت من نعوت الآلهة ، أو اسم من أسماء الله الحسنى ، بالتعبير

---

١ الاصنام (٢١) (روزا) .

٢ تركت الطير عاكفة عليه كما عكف النساء على دوار
شرح ديوان لبيد (ص ٤٤) ، المعاني الكبير (١/١٠٥) .

٣ الاصنام (١٠٩) .

٤ Ency. Religl., I, 663.

٥ الاصنام (١٠٩) ، تاج العروس (٦/٣٩٢) ، القاموس (٣/٢٤٨) .

٦ Reste, S. 65.

٧ اللسان (١١/٤٦) .

الإسلامي . وقد يقابل لفظة (نور) الذي هو نعت من نعوت الله في الإسلام، كما ورد في القرآن الكريم : « الله نور السماوات والأرض »[1] .

وأما صدا وصمودا والهبا ، فإنها من أصنام قوم عاد على رواية الأخباريين[2] .

وأما الضمار ، فكان صنماً عبده العباس بن مرداس السلمي[3] ، وبنو سليم[4] . ولما حضرت مرداس الوفاة ، أوصى به الى ابنه العباس ، وطلب منه العناية به، لأنه يضر وينفع . فلما ظهر الإسلام ، أحرق العباس ضماراً ، وأتى النبي فأسلم[5].

والعبعب ، هو صنم كان لقضاعة ومن داناهم . وقد يقال بالغين المعجمة ، فيخلط بينه وبين الغبغب[6] . ورأيي أن الكلمتين أصلها كلمة واحدة ، حرفها النساخ فصارت كلمتين .

وأما (عوض) فهو صنم كان من أصنام بكر بن وائل . وقد ذكر مع الصنم سعير في بيت شعر نسب الى الأعشى ، أو الى رشيد بن رميض العزى[7] .

وكان (جد) (الجد) صنماً معروفاً عند عدد من الشعوب السامية ، وليس من المستبعد أن يكون لاسم القبيلة الإسرائيلية (جد) (جاد) علاقة باسم هذا الصنم[8] . وقد ورد في النبطية (جدا) . وورد في الأسماء العربية (عبد جد)

---

١ سورة النور ، السورة رقم ٢٤ ، الاية ٣٥ .

٢ الاصنام (١١٠) ، (وصمود كزبور : اسم صنم كان لعاد يعبدونه . قال يزيد بن سعد ، وكان آمن بهود عليه السلام :

عصمت عاد رسولهم فأمسوا عطاشا لا تمسهم السماء
لهم صنم يقال له صمود يقابله صداء والهباء
وان الله هود هو الهي على الله التوكل والرجاء

وهو مذكور في كتب السير ، تاج العروس (٢/٤٠٢) .

٣ الاصنام (١١٠) ، (وضمار : صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه) ، تاج العروس (٣/٣٥٣) ، (ضمر) ، الروض الانف (٢/٢٨٣) .

٤ البكري (٨٨١) (ضمار) .

٥ البلدان (٥/٤٤٠) ، ابن هشام (٨٣٢) ، (ضماد) الاغاني (١٣/٦٢) ، (أخبار العباس بن مرداس) .

٦ الاصنام (١١٠) ، تاج العروس (١/٣٦٣) ، اللسان (٢/٦٤) ، (عب) .

٧ الاصنام (١١٠) (وبه فسر ابن الكلبي قول الاعشى :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

قال : والسعير : اسم صنم كان لعنزة خاصة ، كما في الصحا) ، قال الصاغاني : ليس البيت للاعشى ، وانما هو لرشيد بن رميض العنزي) ، تاج العروس (٥/٥)، اللسان (٩/٥٦) ، Reste, S. 66.

٨ Robertson Smith, Marr., p. 43, Kinship, p. 261, Nöldeke in ZDMG., XXXI, 86, CIS, IV. p. 20, Ency. Religi., I, p. 661.

و (عبد الجد)[1] .

و (كثرى) من الأصنام المنسوبة الى طسم وجديس ، ظل باقياً معروفاً الى أيام الرسول ، فكسره نهشل بن عرعرة ولحق بالنبي[2] . وقد ورد بين أسماء الجاهليين من دُعي بـ (عبد كثرى) . ويرى (نولدكه) في عدم ورود أداة التعريف (ال) مع (كثرى) في (عبد كثرى) ، دلالة على أن هذا الصنم هو من الأصنام القديمة . ويرى أيضاً ان كلمة (كثرى) هي مجرد لقب من ألقاب (العُزى) ، نسي فظن أنه اسم صنم مستقل[3] .

وأما المدّان ، فصنم يظهر انه كان من أصنام أهل الحجاز . وقد سمي به جملة رجال عرفوا بـ (عبد المدان) ، وكان له بيت[4] .

وأما (مرحب) ، فصنم من أصنام حضرموت ، وبه سمي (ذو مرحب) سادن هذا الصنم[5] . وكانت تلبية من نسك له : « لبيك . لبيك ، اننا لديك . لبيك ، حببنا اليك »[6] .

وللأخباريين جملة آراء في معنى ذات الودع ، وهي أنثى . وقد ورد اسمها في الشعر ، وكانت العرب تقسم بها . قيل انها وثن بعينه ، وقيل هي مكة لأنه كان يعلق الودع في ستورها ، وقيل سفينة نوح ، كانت العرب تقسم بها ، فتقول بذات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا يميناً بذات الودع لو حدثت فيكم وقابل قبر الماجد الزارا[7]

---

١ Ency. Religi., I, p. 662.

٢ الاصنام (١١٠) ، (وكثري كسكرى : صنم كان لجديس وطسم ، كسره نهشل بن الربيس بن عرعرة ولحق بالنبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكتب له كتابا . قال عمرو بن صخرة بن أشنع :

حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستلبن أثواب فيس بن عازب

تاج العروس (٣/٥١٣) .

٣ الاشتقاق (٢٣٥) ، Reste, S. 67, Ency. Religi., I, p. 660.

٤ الاصنام (١١١) ، تاج العروس (٩/٣٤٢ وما بعدها) ، اللسان (١٧/٢٨٩) ، الاشتقاق (٢/٢٣٧) .

٥ الاصنام (١١١) ، تاج العروس (١/٢٦٩) ، (رحب) ، المحبر (٣١٨) .

٦ المحبر (٣١٤) .

٧ الاصنام (١١١) ، اليسان (١٠/٢٦٧) (ودع) ، تاج العروس (٥/٥٣٥) .

ويااليل ، اسم صنم كذلك ، أضيف اليه فقيل (عبد ياليل) ، كما قيل (عبد يغوث) و (عبد مناة) و (عبد ودّ)[1] .

وأما (ذريح) (ذرح) ، فكان لكندة بالنجير من اليمن ناحية حضرموت. يظهر أنها كانت تحج اليه ، وأن له بيتاً يقصد ، بدليل ورود تلبيـة من نسك اليه ، وهي : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك ، كلنا كنود ، وكلنا لنعمة جحود . فاكفنا كل حية رصود » . ويظن (ولهوزن) أنه يمثل الشمس . (وذرح) اسم من الأسماء ، ويرد في الأعلام العربية الجنوبية المركبة ، مثل (ذرح ايل) .

وذهب (نولدكه) إلى ان (ذرح) هو مثل الشارق و (محرق) صنم يمثل الشمس. والظاهر ان عبادة هذا الصنم لم تكن منتشرة خارج حدود العربية الجنوبية[2] .

وأما باجر ، فإنه من أصنام الأزد ومن داناهم من طيء. وقد سمي به رجال عرفوا بـ (عبد باجر)[3] .

وحلال ، هو صنم فزارة . أما الحمام ، فإنه صنم بنو هند من بني عذرة .

وكان في المشقر صنم لبني عبد القيس يسمى ذا اللبا ، سدنته بنو عمـرو[4] . وكانت تلبية من نسك له : « لبيك اللهم لبيك . لبيك،رب فاصرفن عنا مضر. وسلمن لنا هذا السفر . ان عما فيهم لمزدجر . واكفنا اللهم أرباب حجر »[5] .

وكان المنطبق صنماً ، للسلف وعك والأشعريين ، وهو من نحاس ، يكلمون من جوفه كلاماً لم يسمع بمثله . فلما كسرت الأصنام ، وجدوا فيه سيفاً،فاصطفاه الرسول . وسمّاه (مخدماً)[6] . وذكر (ابن حبيب) ان تلبية من نسك لمنطبق: « لبيك اللهم لبيك ، لبيك » . ويلاحظ ان الأخباريين ذكروا ان السيف (مخدم) (مخذم) كان سيفاً على الصنم مناة أو (الفلس) صنم طيء ، كما ذكروا ان السيف (رسوب) كان على الصنم (مناة) ، أو الفلس كذلك .

وأما الصنم نهيك ، فقد كان من الأصنام الموضوعة في مكة . وذكر (الأزرقي) ان عمرو بن لحي نصب هذا الصنم عند الصفا ، وانـه كان يعرف بـ (مجاود

---

١ الاصنام (١١١) .
٢ Reste, S. 65, Ency. Religi., I, p. 660.
٣ Reste, S. 64.
٤ Reste, S. 65.
٥ المحبر (٣١٤) .
٦ البلدان (٨/١٧٩) (المنطبق) المحبر (٣١٨) .

الريح) (مجاور الريح) ، وانه نصب الصنم : مطعم الطير عند المروة [1]، فكان الناس في موسم الحج يحجون إلى الصنمين .

ولعل هذين الصنمين كانا من الأصنام التي خصصت بالسماء،وان الناس كانوا يضعون الحبوب عندهما لتأكلها الطيور . ولذلك قيل لنهيك (مجاود الريح) ، ولصنم المروة (مطعم الطير) .

وغنم ، ذكر أنه كان في جملة الأصنام الموضوعة بمكة . وقد ورد اسم رجال، واسم أسر [2] .

وفراض ، صنم كان بأرض سعد العشيرة [3] . وقد حطمه رجل منهم اسمه (ذُباب) ، وهو من (بني أنس الله بن سعد العشيرة) . حطمه ، ثم وفد الى النبي فأسلم ، وقال شعراً في ذلك ، أشار فيه الى هدمه ذلك الصنم [4] . وكانوا يذبحون له ويلطخونه بالدم [5] .

أما قزح (قزاح) ، فالظاهر أنه صنم ، كان الناس يتصورون أنه يبعث الرعد والعواصف . وقد نسي على ما يظن . ولا بد أن يكون لقوس قزح علاقة ما بهذا الصنم القديم . وقد يكون لاسم قزح ، وهو من مواضع الحرم بمكة ، علاقة باسم هذا الوثن العتيق . وقد تعبد بنو أدوم لصنم اسمه (قزح) Koze مما يدل على أنه هو الصنم العربي الذي نتحدث عنه . والظاهر أنه كان من الأصنام القديمة المعروفة ، غير أنه فقد منزلته وقلّت أهميته ، فلم يكن من الأصنام الكبرى عند ظهور الإسلام [6] . ويخالف (نولدكه) رأي بعض المستشرقين الذين ذهبوا الى أن المراد بقزح الشيطان ، لا صنم من الأصنام [7] .

و (قيس) اسم صنم قديم . نسيت عبادته ، وصار اسم أشخاص . ودليل كونه صنم قديم وروده في الأعلام المركبة ، مثل (عبد القيس) ، فإن في هذه

---

١ المحبر (٣١٣) ، الازرقي (١/٧٣) .

٢ ابن هشام (١٤٥) ، (بنو عنم) ، المحبر (٢٨٨) ،

٣ في نهاية الارب (فراص) ، نهاية الارب (١٨/١٨) ،

٤ تبعت رسول الله اذ جاء بالهدى وخلفت فراضا بدار هوان
شددت عليه وشدة فتركته كأن لم يكن والدهر ذو حدثان
نهاية الارب (١٨/١٨) .

٥ نهاية الارب (١٨/١٥١) .

٦ Josephus, Antiq., XV, 253.

٧ Ency. Religi., I, p. 661.

التسمية دلالة على أن قيساً اسم إلـه . ولقيس علاقة بـ (قوس) Quas ، وهو إلـه من آلهة أدوم[1] .

وقد ورد اسم (قيس) (قس) و (قوس) في الكتابات . وهما اسم إلـه واحد . عثر على معبد له في مدائن صالح[2] .

وأما (عوف) ، فقد استدل من التسمية بـ (عبد عوف) على انـه اسم صنم ، غير اننا لا نعرف من أمر عبادته شيئاً ، فلعلـه من الأصنام التي ذهب ذكرها قبل الاسلام بزمن طويل . وقد ذكر أهل الأخبار انه (صنم) ، ولم يذكروا اسم عبدته[3] .

وذكر (اليعقوبي) ان للأزد صنم ، يقال له (رئام)[4] .

والسعيدة ، صنم أنثى وعلامة تأنيثه وجود تاء التأنيث بآخـره . وكان لسعد هذيم وسائر قضاعة إلا (بني وبرة) ، وعبدته الأزد أيضاً. وكان سدنته (بنو عجلان) وموضعه بأحد[5] « وورود ان (السعيدة) بيت كان يحجه ربيعة في الجاهلية »[6] .

وورد في جملة أسماء أهل الجاهلية اسم (سعد العشيرة) . وقد ذهب أهـل الأخبار إلى ان (مذحجاً) كان يعرف بذلك الاسم[7] . و (العشيرة) اسم صنم من الأصنام القديمة ، وله علاقة بعبادة الساميين . فقد كان الكنعانيون يضعون وثناً في محلات العبادة يسمونه (العشيرة) ، كما كانوا يتعبدون له لأنه من آلهتهم القديمة. وهو إلهة ، أي أنثى عند الكنعانيين . ويظهر ان (العشيرة) من الآلهة السامية القديمة التي كانت تعبد بصورة خاصة عند الساميين الغربيين، كما عبر بلفظة (العشيرة) عن (المذبح) (المزبح)[8] . واسم (عبد عشيرة) مرتبط بالطبع باسم هذا الإلـه .

---

١ Reste, S. 67.

٢ « بت قسو » ، « بيت قيسو » ،
Reste, 67, Ryckmans 18, Grohmann, S. 85, Jaussen — Savignac, Mission, II, 501, 520, 528, I, 169, 200, CIS, II, 209, Doughty, Documents Epigraphiques, 38, CIS, II, 198, J. Euting, Tagebuch, II, 262.

٣ تاج العروس (٦/٢٠٦) ، (عوف) .

٤ اليعقوبي (١/٢٢٥) .

٥ المحبر (٣١٦ وما بعدها) .

٦ اللسان (٣/٢١٥) (صادرة) ، تاج العروس (٢/٣٧٨) (سعد) .

٧ الاشتقاق (٢/٢٣٧) .

٨ Encyclopaedia Biblica, By Cheyne, Vol. I, 3330.

ومن دلائل عبادة (الأشهل) ، ورود الأشهل في الأعلام المركبة ، مثل (عبد الأشهل) . وقد ذكر (ابن دريد) ان الأشهل صنم[1] .

وأشار (محمد بن حبيب) إلى صنم قال له : (زائدة) ، لم يذكر من كان يتعبد له[2] .

وذكر علماء اللغة اسم صنم قالوا له : (الضيزن) . وقال بعضهم : « والضيزنان صنمان للمنذر الأكبر ، كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحازاً للطاعة »[3] .

وأدخل بعض علماء اللغة (الغري) في عداد الأصنام . فقال : « والغريّ : صنم كان طلي بدم » . وذكر بعض آخر أن الغري : نصب كان يذبح عليه النسك . وذكروا أن الغريين بناءان طويلان ، يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش ، وسمّيا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله في يوم بؤسه[4] .

ومن الأصنام صنم اسمه (عير) ، قيل إنه كان لعبد عمرو المعروف بـ (بكر ابن جبلة الكلبي) ، كان قومه يعظمونه[5] . وصنم اسمه (جريش) ، اليه نسب : (عبد جريش)[6] .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (كعباً) و (كعيباً) المذكورين في قصة (القليس) التي أقامها (أبرهة) بصنعاء ، هما صنمان[7] .

---

١ الاشتقاق (٢٦٣) ، تاج العروس (٧/٤٠٢) ، (شهل) .
٢ الاشتقاق (ص ١٣) .
٣ اللسان (١٣/٢٥٤) ، (ضزن) ، تاج العروس (٩/٢٦٤) ، (ضزن) .
٤ اللسان (١٥/١٢٢) ، (غرا) ، تاج العروس (١٠/٢٦٤) ، الجوهري ، تاج اللغة (٢/٥٢٦) .
٥ الاصابة (١/١٦٦) .
٦ تاج العروس (٤/٢٨٨) ، (جرش) .
٧ البداية ، لابن كثير (٢/١٧٠ وما بعدها) .

الفصل السبعون

أصنام الكتابات

أقصد بـ (أصنام الكتابات) الأصنام التي عرفنا خبرها وأمرها من الكتابات الجاهلية ومن الكتابات الآشورية ومن كتب الكتبة (الكلاسيكيين) ، وذلك تمييزاً لها عن الأصنام التي أخذنا علمنا بها من روايات الأخباريين في الغالب .

وقد سبق لنا أن وقفنا على أسماء بعض آلهة الأعراب ، وذلك أثناء حديثنا عن الآشوريين والعرب . وقد ذكرت تلك الأسماء في الكتابات الآشورية لمناسبة سقوط أصنامها أسيرة في أيدي الآشوريين . وكان الأعراب الذين حاربوا الآشوريين قد حملوها معهم ، اما تبركاً وتيمناً بها ، وتفاؤلاً من وجودها معها بالنصر والغنائم ، واما لأنها كانت معهم في خيمتها المتخذة معبداً لها فسقطت في أيدي الآشوريين باكتساح الآشوريين لمنازل أولئك الأعراب . فأخذها الآشوريون معهم ، وحملوها الى عاصمتهم أسيرة كما بؤسر البشر ، وسجنوها عندهم ، إذلالاً لعبادها وإهانة لهم ، وازدراءً بشأن تلك الآلهة المغلوبة السيئة الحظ التي لم تتمكن من مساعدة عبادها في القتال والتي لم تتمكن حتى من تخليص نفسها من الأسر ، فوقعت هي نفسها أسيرة ذليلة في أيدي عبدة آلهة أخرى . وبقيت في أسرها هذا ، حتى وجد الأعراب الا مناص لهم من استردادها من الآشوريين إلا باسترضائهم وبإعلان خضوعهم لهم . فذهبوا الى نينوى ، وقدموا طاعتهم لملك آشور ، وأمر عندئذ بإعادة أصنامهم اليهم ، وكتب الآشوريون فوقها كتابة تشير الى سقوطها في أسرهم ، والى تغلب آلهة الآشوريين على آلهة الأعراب ، وتفوق إلـه آشور على

تلك الأصنام ، وبعـد أن نقش عليها اسم الملك . ثم أعيدت وهي عـلى هذه الصورة اليهم[1] .

ومن هذه الأصنام دلبت (دلبات) Dilbat[2] ، و (عتر سماين) (عشتر السماء) Atarsamain (A-tar-sa-ma-a-in) و (عتر قرميـة) (عـتر قرمي) (Atar Kurumiaa) ، و (ديه) (دايا) (Diya) = (Dija) ، و (نوهيا) (نخيا) (نهيا) (نهى) (Nuhaia) ، و (ابيريلو) (Ebirillu) . وهي الأصنام التي كتب عليها أن تسجن فأعيدت الى أصحابها ، ووضعت في أماكنها وسر أتباعها ولا شك بهذه العودة[3] .

وقد حرفت أسماء هذه الأصنام، حتى صار من الصعب علينا تشخيصها . ولعل اسم الصنم (دلبت) هو تحريف(ذات بعل) ، أي (الشمس) . والشمس إلهة عند العرب ، تعبدت لها قبائل عديدة ، كما تكلمت عنها في موضع آخر ، وقد عرفت به الإلهة عندها . وأما (عتر سمين) ، فهو (عشتر السماء) ، و (عشتر) من الآلهة المعبودة عند العرب ، وقد ورد اسمه في نصوص المسند . ويرى بعض الباحثين انه إلهة ، أي أنثى[4] . ويرمز إلى (الزهرة) في رأي غالب العلماء[5] . وقد أشير في النصوص القتبانية إلى قبيلة عرفت بـ (عتر سمين) ، أي باسم هذا الصنم[6] ، لعلها من عبدته ، فنسبوا اليه .

وأما (نوهيا) (نخيا) (نهى) (نهيا) ، فهو الإلـه (نهى) . وقد ورد في الكتابات الثمودية ، اسم صنم بهذا الاسم[7] . فلعـل له صلة بالصنم المذكور .

---

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/٣٢٠) ، المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام (١/٥٩١) ، (١/٦٠٠) ، Pritchard, p. 291.

٢ Reallexi., I, S. 125, Winckler, AOF., I, S. 526, Schell, Le Prisme D'Assaraddon, (1914), p .18, British Museum Tablets, K3087, Smith, History of Sennacherib, (1878), p. 138.

٣ Pritchard, p. 291, D.J. Wixman, The Vassal-Treaties of Esarhaddon, p. 4.

٤ Schrader, KAT., S. 434.

٥ Handbuch, I, S. 228.

٦ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/٣٣٢) .

٧ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٥/١٥١) .

وحدثنا (هيرودوتس) – في أثناء كلامه على حملة (قمبيز) على مصر – عن إلهين من آلهة العرب ، هما : (باخوس) Bacchus و (اورانيا) (Urania) . وذكر ان العرب تسمي (باغوس) (اوراتل) Oratal ، وتسمي (اورانيا) (أليلات) Alilat [1] . و (اليلات) ، هو الصنم (اللات) ، الذي يرمز إلى (الشمس) ، فهو إلهة ، أي أنثى . ويقابل (اثينة) Athene التي ظهرت عبادتها متأخرة بعض التأخر بالنسبة إلى الآلهة الأخرى[2] . و (اللات) من الأصنام العربية المعروفة التي ذكرت في القـــرآن ، وفي النصوص النبطية والصفوية ، كما سأتحدث عن ذلك في المواضع المناسبة . وأما Oratal ، فهو تحريف على ما يظهر لاسم صنم من الأصنام العربية ، صار من الصعب ارجاعه إلى صنم من الأصنام التي نعرفها الآن[3] .

وقد حفظت النصوص الجاهلية أسماء عدد لا بأس به من الأصنام، كان الناس يقضون الليالي سهراً في عبادتها والتودد اليها ، لتنفعهم ولتدفع الأذى وكل سوء عنهم ، وكانوا يتقربون اليها بالنذور والقرابين . ثم ذهب الناس وذهبت آلهتهم معهم ، وبقيت أسماء بعض منها مكتوبة في هذه النصوص ، وبفضل هذه الكتابات عرفنا أسماءها ، ولولاها لكانت أسماؤها في عداد المنسيات ، كأسماء الآلهـــة التي نسيت لعدم ورود أسمائها في النصوص .

وبين هذه الأسماء أسماء يجب اعتبارها من (الأسماء الحسنى) ، أي (أسمـاء الله الحسنى) في المصطلح الاسلامي لأنها نعوت وصفات للآلهة، التصقت بها حتى صارت في منزلة الأسماء العلمية . وهي تفيد المؤرخ كثيراً ، إذ انها تعينه في فهم طبيعة تلك الآلهة ، وفي فهم رأي المؤمنين بها ، في ذلك الوقت .

وفي طليعة أسماء الآلهة المدونة في نصوص المسند ، اسم الإلـه (ود) ، إلـه معين الكبير ، وإلـه قبائل عربية أخرى ، منها (ثمود) ، حيث ورد اسمه في كتاباتهم ، و (لحيان) ، حيث ذكر في كتاباتهم أيضاً . كما كان من الأصنام الكبرى في الحجاز عند ظهور الاسلام . وقد ذكر في القرآن الكريم مع أسمـــاء

---

١ جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٤٣/٢) و Herodotus, I, p. 213.

٢ Ency. Religi., I, p. 661.

٣ المصدر نفسه .

أصنام أخرى عبدت في عهد نوح[1] . وقد ظن بعض المستشرقين ان هذا الصنم لم يكن معبوداً في الجاهلية القريبة من الاسلام وعند ظهور الاسلام ، وهو رأي غير صحيح ، إذ ورد ذكره في شعر للنابغة ، وكان له معبد في دومة الجندل ، وسدنة وأتباع . ولدينا أسماء جملة رجال جاهليين عرفوا بـ (عبد ود) . وقد ذكر ان قريشاً كانت تتعبد لصنم اسمه ود ، ويقولون له أدّ أيضاً[2] .

ونعت (ود) بالإلـه (الهن) (الهن) في بعض الكتابات، جاء في أحد النصوص (ودم الهن) ، أي (ود الإلـه) . و (كهلن) ، أي (الكاهل) بمعنى القدير والمقتدر[3] . وهما من صفات هذا الإلـه التي كان يراها المعينيون فيه.

ويرمز (ود) إلى القمر ، عند المعينيين ، وهو الإلـه الرئيس عندهم . وقد وردت لفظة (شهرن) ، أي (الشهر) بعد كلمة (ود) في بعض الكتابات . فورد : (ودم شهرن) ، أي (ود الشهر) . وتعني لفظة (شهر) القمر في عربية القرآن الكريم[4] . و (ود) ، هو الإلـه (القمر) عند بقية العرب الجنوبيين . ومتى ورد اسمه في نص ، قصد به القمر .

وقد نعت (ود) بـ (الأب) ، تعبيراً عن عطفه على المتعبدين له وعن رحمته بهم . فورد في النصوص المعينية : (ودم ابم) ، و (ابم ودم) أي(ود أب) ، و (أب ود) ، فهو بمثابة الأب للانسان . والأب من كان سبباً في ايجاد شيء أو اصلاحه أو ظهوره . وقد عثر على أخشاب وأحجار حفرت عليها أسماء ود أو جمل (ودم ابم) أو (ابم ودم) ، وذلك فوق أبواب المباني ، لتكون في حمايته ورعايته ، وللتبرك باسمه وللتيمن به ، كما وجدت كلمة (ود) محفورة على أشياء ذات ثقوب ، تعلق على عنق الأطفال لتكون تميمة وتعويذة يتبرك بها[5] . فعلوا ذلك كما يفعل الناس في الزمن الحاضر في التبرك بأسماء الآلهة والتيمن بها لمنحها الحب والبركة والخيرات .

ويظن ان لفظة (ود) ، ليست اسم علم للقمر ، بل هي صفة من صفاته، تعبر عن الود والمودة . فهي من الأسماء الحسنى للقمر اذن .

---

١ سورة نوح ، الآية ٢٣ .
٢ البلدان (٨/٤٠٧) ، (ود) .
٣ Hommel, Grundriss, I, S. 136, Glaser 284, Halevy 237, Chrestom., 91, 97.
٤ Glaser 324, 504, Handbuch, I, S. 37.
٥ Halevy 534, 535, 583, 586, 587, 591, 685, Glaser 80, 84.

وقد ورد اسم (ودّ) في كتابة ثمودية دوّنها أحـد المؤمنين الفانين في حب (ودّ) ، جاء فيهـا : « أموت على دين ودّ » ، « بدين ودّ أمت » ، وجاء في كتابة أخرى : « يا إلهي احفظ لي ديني ، يا ودّ أيده »[1] .

وورد اسم (ودّ) في النصوص اللحيانية[2] . فتكون عبادة هذا الإلـه قد انتشرت في العربية الغربية من أعالي الحجاز الى العربية الجنوبية . وذلك منذ ما قبل الميلاد الى ظهور الإسلام .

وقد اقترن اسم (ود) مع (ال) (ايل) في بعض الكتابات العربية الجنوبية . و (ايـل) هو الإلـه السامي القـديم . ولعلّ في (ود ال) (ودّ ايل) معنى (حب ايل) ، فتكون (ودّ) هنا صفة من صفات الإلـه . وامـا (ايل) ، فإنها قد تعني ما تعنيه كلمة (إلـه) في عربيتنا ، وقد تعني إلهاً خاصاً في الأصل هو إلـه الساميين المشترك القديم[3] .

وقد وردت في نص قتباني جملة : (بت ودم) أي (بيت ود)[4] . ومعناها معبد خصص بعبادة الإلـه (ودّ) . ولا بد أن تكون هناك جملة معابد خصصت بعبادة هذا الإلـه .

ويرى بعض المستشرقين استناداً الى معنى كلمة (ودّ) أن هـذا الصنم يرمز الى الودّ ، أي الحبّ وانه صنو للإلهين (جيل) Gil و (بحد) Pahad عنـد الساميين . ويستندون في رأيهم هذا الى بيت للنابغة هو :

حياك ودّ وأنى لا يحل له لهو النساء وان الدين قد عزما[5]

---

١ Herbert Grimme, Die Lösung des Sinaïnschriften, Die Altthamudische Schrift, Münster, 1926, S. 40.

٢ Handbuch, I, S. 616.

٣ Handbuch, I, S. 217, H. Bauer, in ZDMG., Bd., 69, 1915, S. 561.

٤ Hommel, Die Südarabische Alterthumer, S. 2.

٥ البلدان (٤٠٨) ، (ود) .

قالـت أراك أخـا رحـل وراحلة تغشى متالف لـن ينظرنك الهرمـا
حيـاك ود فانـا لا يحـل لنـا لهـو النساء وان الدين قـد عزمـا
مشمريـن عـلى خوض مزمة نرجو الالـه ونرجو البـر والطعما

شعراء النصرانية (ص ٧٠٥) .

Reste, S. 17, 31, 42, 53, Ency. Religi., VIII, p. 180.

وهناك من يرى وجود صلة بين (ود) و Eros الصنم اليوناني ، ويرى أنه صنم يوناني في الأصل استورد من هناك ، وعبد عند العرب . وهو رأي يعارضه (نولدكه) لعدم وجود تشابه في الهيأة بين الصنمين[1] .

ومن آلهة المعينيين الإلـه : (كهلن) ، أي (الكهل) و (الكاهـــل) . وقد ورد اسمه في النصوص التي عثر عليها في الأقسام الشمالية من العربية الغربيـة كذلك[2] . وهو يرمز مثل (ودّ) الى (القمر) .

وعرف (ود) بـ (نحس طب) (نحسطب) . (ونحس) بمعنى (نحش) ، أي الحيّة ، و (طب) بمعنى طيب ، فيكون المعنى (الحية الطيبة) . والحيّة رمز لود . فيكون المراد من (نحس طب) الإلـه ودّ[3] .

ومن بين أسماء الآلهة التي ورد اسمها في النصوص المعينية ، اسم الإلـه (نكرح) . ويرى بعض الباحثين انه إلـه البغض والحرب . وان (نكرح) في معنى (كره) في عربيتنا . وانه (نكرو) أو (مكرو) Makru = Nakru عند البابليين . وهو (العدو) فهو على طرفي نقيض مع الإلـه (ود)[4] . ويرون انه يرمز إلى الشمس ، وانه في منزلة (ذت حمم) (ذات الحميم) عند السبئيين[5] .

وقد وجد من دراسة الكتابات المعينية ان آلهة المعينيين ترد مرتبة عـــلى هذه الصورة في بعض الأحيان : (عثتر) يليه (ود) ثم (نكرح) ، وتذكر بعدها جملة (الـلات معن) ، بمعنى (آلهة معين)[6] .

وهناك آلهة أخرى وردت أسماؤها في كتابات المعينيين ، لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر . منها : (بلو) إلـه البلاء والنوازل والموت ، و (حلفن) (حلفان) ، وهو خاص بالقسم ، و (ورفو) ، وهو حارس الحـــدود ، و (منضح) (منضحت) (منفحة) ، إلـه الماء والـري والحدود ، و (متبقبط) ، إلـه الحصاد[7] . غير ان من الجائز في رأيـي ألا تكون هذه الأسماء أسماء آلهة ، وانما

---

١ Ency. Religi., I, p. 662.
٢ Handbuch, I, S. 215.
٣ Grohmann, Göttersymbole, S. 71.
٤ Ency. Religi., 10, P. 882, Handbuch, I, S. 20, 40.
٥ Handbuch, I, S. 188, Ilmukah, S. 56.
٦ Ilmukah, S. 55, Glaser 1089, 1660, Halevy 208, N. Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 26, Glaser 1144, Halevy 353.
٧ Arabien, S. 246.

هي مجرد مصطلحات يراد بها أمور أخرى .

وتعبد السبئيون للإلـه (المقه) ، إلههم الكبير . ويعد في منزلة (ود) عند المعينيين ، ويرمز إلى (القمر) . وهو المقدم عندهم على سائر الآلهة . اليه تقرب (المكربون) والملوك بالأدعية والهدايا ، واليه توسل الشعب في كل ملمة تنزل به . ونجد اسمه مدوناً في كثير من النصوص السبئية . بل تعبّد له أهل الحبشة كذلك، فنجد له معبداً عند (بحا) (يها) . انتقلت عبادته اليهم من السبئيين الذين كان لهم نفوذ سياسي وثقافي على الساحل الافريقي المقابل لليمن ، ويظهر أثر ذلك في الخط الحبشي حتى اليوم .

وليس للعلماء رأي واضح صحيح في معنى (المقه) ، ويرى (ايوالد) Ewald ان الكلمة من أصل (لمق) ، وهي بمعنى (لمع) ، فيكون للاسم — على ذلك — معنى اللمعان[1] ، ويمكن أن تكون كلمة (المقه) اذن ، بمعنى (الثاقب) و (اللامع). وقد كان الجاهليون يقسمون بالنجوم الثاقبة ،أي النجوم التي يتوقد ضياؤها ويتوهج . ورد في القرآن الكـريم : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » . وقال المفسرون : « النجم الثاقب ، يعني يتوقد ضياؤه ويتوهج » . وذكروا ان العرب كانت « تسمي الثريا : النجم . ويقال إن الثاقب : النجـم الذي يقال له زحل . والثاقب أيضاً الذي قد ارتفع على النجوم »[2] . وقد ذهب (هومل) إلى ان (المقه) ، انما تعني (سيده)[3] . وذهب بعض الباحثين الى ان اللفظة من (ال) (ايل) ، اسم الإلـه (ايـل) الشهير ، المعروف عند جميع الساميين . ومن (مقهو) بمعنى قوي . فيكـون الاسم (ايل قوى) ، (ال مقهو)[4] .

وتدل روايات الأخباريين عن (المقه) على عدم وقوفهم على حقيقة هـذه التسمية ، فقد حاروا فيها ، واضطربوا في أمرها ، ولم يظهر أحـد من بينهم من عرف حقيقتها . فصيرها بعضهم اسماً من أسماء الملكة (بلقيس) ، وصيرها بعض آخر مصنعة من مصانع الجن التي بنتهـا على عهد (سليمان) ، وجعلهـا

---

١ سورة الطارق ، رقم ٨٦ .
٢ تفسير الطبري (٣٠/٩٠ وما بعدها) .
٣ Handbuch, I, S. 40.
٤ Arablen, S. 244.

(الهمداني) الزهرة ؛ « لأن اسم الزهرة في لغة حمير : يلمقه والمق » . ذكروا أن بناء (يلمقه) ظل قائماً باقياً الى أيام غزو الحبشة لليمن ، فهدموه[1] . وإذا صحت رواية الهدم هذه ، فلا يستبعد حينئذ أن يكون ذلك بسبب كونه معبداً وثنياً خصص بعبادة الأوثان،والأحباش نصارى سعوا لطمس الوثنية ونشر النصرانية في البلاد . ولعلّه أراد به معبد (المقه) بمأرب ، فهدمه الحبش للاستفادة من أحجاره لبناء كنيستهم التي بنوها بهذه المدينة . وقد كان ذلك المعبد قد خصص بعبادة (المقه) إلّه سبأ الكبير ، فعرف بـ (المقه) ، و (يلمقه) عند سواد الناس .

وقد حفظت لنا نصوص المسند أسماء جملة معابد خصصت بعبادة المقه، وللتمييز بينها ذكرت أسماء المواضع التي شيدت عليها تلك المعابد . ومن أشهرها معبد (المقه) الكبير بمدينة (مأرب) ، المعروف بمعبد (المقه بعل اوم) (المقه بعل أوام) ، وهو معبد لا تزال آثاره باقية ، زارته ونقبت فيه بعثة (وندل فيلبس) الامريكية الى اليمن[2] . وتعرف بقايا هذا المعبد عند أهل اليمن باسم (حرم بلقيس) و (محرم بلقيس) . فأحل الدهر اسم امرأة محل اسم إلّة قديم كبير .

ووردت في بعض النصوص هذه الجملة : (المقه ثور بعل ...) ، ومعناها: (المقه ثور ربّ)[3] . أي (المقه الثور هو رب ...) كما وردت جمل مثل: (المقه ثهون) ، بمعنى : (المقه المتكلم) . ومثل (المقه ثهون بعل اوم) ، أي (المقه المتكلم ربّ أوم) ،(أوام) . ويظن أن المراد بذلك الكاهن المتكلم باسم الرب (المقه) . فقد كان لبعض المعابد كهنة ، يزعمون أن الآلهة تتكلم فيها ، ويقومون أنفسهم بدور الوساطة والترجمة . فإذا أراد شخص سؤال إلهه عن مشكلة يريد حلاً لها ، أو عن قضية عويصة ، أو عن سرقة وما شاكل ذلك، يذهب الى المعابد المختصة ، التي يزعم أن الآلهة تجيب فيها ، فيتقدم الى الكاهن بنذر وبهدايا مناسبة ، ثم يلقي سؤاله ، فيظهر عندئذ صوت مسموع ، يزعم أنه

---

١ البكري (١٣٩٨) .

٢ D. H. Müller, Burgen, II, S. 972, Nielsen, Der Sabaische Gott Ilmukah, S. I. Wendall Phillips, Qataban and Sheba, 1955.

٣ D. Nielsen, Die Altarabische Mondreligion, S. 107.

صوت الإلـه الذي لا يرى، يجيب على السؤال أو على الأسئلة ، بما يناسب السؤال .

وقد كُنّي عن (المقه) بـ (ثور) في بعض الكتابات . ومما يؤيد أن المراد (بثور) هذا الإلـه ، هو صورة رأس الثور في كثير من الكتابات ، وهي ترمز اليه ، كذلك رمز اليه بنسر وبصور الحيات . وهذه الصور من الرموز الدالة على الإلـه القمر عند قدماء الساميين[١] . وقد صور العبرانيون (يهوه) على هيأة عجل[٢] . ويلاحظ أن أكثر الأوثان والصور (صلمن) التي كان الناس يقدمونها الى معابد (المقه) وفاء لنذور نذروها لها ، اشتملت على صور ثيران ، ويلاحظ كذلك أن الثيران ، كانت من أكثر الحيوانات التي كان المتعبدون يقدمونها ذبائح لهذا الإلـه . وقد استنتج (دتلف نلسن) من هاتين الملاحظتين ومن تسمّي أشخاص وأسر وعشائر وقبائل باسم (ثور) ، أن الثور رمز يراد به هذا الإلـه (المقه)، أي القمر[٣] .

وورد في النصوص السبئية اسم إلـه هو (هوبس) (هبس) ، ورد منفرداً ، وورد مع الإلـه (المقه)[٤] . وقد قصد به الإلـه القمر . ومعنى (هوبس) على رأي (فرسنل) Fresnel اليابس والجاف ، وهو وصف للقمر[٥] . ويعلل ذلك بفعل القمر البارز في احداث الجزر حيث تنسحب المياه من الساحل مسافة الى البحر . وقد أشار (الهمداني) الى أن اسم القمر (هيبس) ، والظاهر ان هذه التسمية للقمر ظلت معروفة في اليمن بعد الإسلام[٦] .

ووردت جملة (المقه ذ قبلم) في بعض النصوص ووردت (هوبس) ، و (المقه ذ هوبس)[٧] ، بمعنى اليابس . وذكر بعض العلماء ان معنى ذلك (المقه) الذي يؤثر في المد والجزر[٨] ، وذلك لما لاحظه المتعبدون له من وجود أثر له في احداث المد والجزر .

---

١ Ilmukah, S. 51.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح الثاني عشر ، الآية ٢٨ ، الخروج ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٤ .

٣ Ilmukah, S. 52.

٤ Hommel, Grundriss, I, S. 85, Altertumer, 1899, S. 28.

٥ Handbuch, I, S. 40.

٦ Bürgen und Schlosser, II, S. 20-22, Hommel, Sudarabische Altertumer, S. 30.

٧ Rep. Epigr. 4921, 4963.

٨ Arabien, S. 244.

وقد أشير اليه بـ (هلل) بمعنى هلال ، وبـ (ربع) ، أي الربع الأول من الشهر ، وبـ (حول) ، بمعنى تمام الشهر ، أي القمر كاملاً . ومن صفاته (سمع) ، أي سميع[1] .

و (عم) هو إلـه شعب قتبان الرئيس . وقد ورد اسمه مقرونـاً مع الإلـه (أنبي) في نصوص قتبانية عديدة . وهو يقابل الإلـه ود عند المعينيين ، والإلـه (المقه) عند السبئيين ، والإلـه (سن) (سين) عند أهل حضرموت . فهو الإلـه القمر اذن عند القتبانيين .

وكلمة (عم) من الكلمات السامية القديمة الواسعة الانتشار عنـد الساميين . وقد ذكرت في نص يقدر انه كتب حوالي سنة (٤٥٠٠) قبل الميلاد ، وهي من كلمات عهد الأمومة ، ثم صارت من المصطلحات الدينية مثل (ال) (ايل) El ، و (بعل) Baal ، و (ادون) Adon ، و (ملك) Malke وما شابهها من أسماء الألوهية : كانت نعتاً في الأصل من جملة النعوت التي كان يطلقهـا الساميون على آلهتهم ، ثم جعلت علماً لإلـه[2] .

وترد لفظة (أنبي) في الكتابات القتبانية علماً على إلـه ذكر هو القمر . وقد وردت بعد اسمه كلمة (شيمن) ، ومعناها (الحامي) والحافظ ، فورد (انبي شيمن) ، أي (أنبى المحامي) و (أنبى الحافظ) ، والمدافع عن المؤمنين به . فهو اذن في معنى (عم)[3] . ولا بد أن يكون لهذا النعت صفات بصفات هذا الإلـه ، أي انه اسم من أسماء الله الحسنى .

ومن آلهة قتبان التي ذكرت مع (عم) الإلـه (حوكم) و (اثرت) و (نسور) و (ال فخر) . ويرى (هومل) ان الإلـه (اثرت) هو إلهة أنثى . هي في نظره زوج الإلـه (عم)[4] . ويظن ان (اثرت) هي الشمس ، ويظن أيضاً أن هـذه الكلمة قريبة في المعنى من كلمة (عشيرة) (عشيرات) العبرانية ، و (عشرتو) الآشورية البابلية ، وأنها تعني في القتبانية الشروق أو الشارقة والشرقـة الشديدة .

---

١ REP. EPIGR. 3945, 4067, 4228, 4991, 4992, 4993, CIH 282, Arabie S. 244.

٢ Ency. Religi., I, p. 387, Glaser, Mitteilungen, II, S. 21.

٣ Glaser 1602, SE 84, Ilmukah, S. 56, D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriftten, S. 14.

٤ Südar., S. 22, Glaser 160. « شفتم لعم وآثرت » .

من (عثر) بمعنى شرق وإشراق ، أضيف الى نهاية الكلمة حرف التأنيث؛ لأن الشمس مؤنثة ، كما فعل في عثتر إذ عد مؤنثاً عند الساميين الشماليين ، فصار (عثترت) (عشترت) (عشتروت) ، أي أنثى . وكما فعل في (كوكب) و (ملك) ، و (ذي الخلصى) ، و (ذي الشرى) ، حيث أضيفت اليها التاء ، فصارت (كوكبت) (كوكبة) ، و (ملكت) (ملكة) ، و (الخلصت) و (شربت)[1] .

ويحتمل على رأي (هومل) ، أن يكون (حوكم) (حوك) إلّه السماء ، ويظهر أنه من الآلهة الخاصة بشعب قتبان[2] . أما (دتلف نلسن) ، فيرى احتمال كون الكلمة من (حكم)[3] .

وقد عبر عن الإلهة (الشمس) بـ (ذت حمم) ، أي (ذات حميم) ، (ذات حمم) ، (ذات الحميم) ، أي ذات الحرارة الشديدة والأشعة المتوهجة التي تشبه الحميم من شدة الحر . وهذا المعنى قريب من (ال حمون) El-Hamon و (بعل حمون) Ba'al Hammon في العبرانيـة ، ويراد بها الشمس . و (حمت) (حمه) Hamma في العبرانية هي الشمس . وورد في بعض النصوص التدمرية اسم الإلّه (حمن) Hamman ، وورد هذا الاسم في بعض النصوص النبطية التي عثر عليها في حوران . وهذا الإلّه هو الشمس . وقد كنّي عنها بالأشعة الحارة المحرقة التي ترسلها خاصة في أيام الصيف[4] .

وهناك من فسر (ذت حمم) بـ (ذات حمى) (ذات الحمى) ، والحمى الموضع الذي يحمي ، ويخصص بالإلّه أو المعبد أو الملك أو سيد قبيلة ، والمكان الذي يحيط بالمعبد ، فيكون حرماً آمناً لا يجوز لأحد انتهاك حرمته[5] . وفي جزيرة العرب جملة مواضع يقال لها (حمى) ذكر أسماءها الأخباريون .

---

١ Handbuch, I, S. 237, Glaser 1395, 1604, SE 84, Rhodokanakis, Katabanische Inschriftten, II, S. 121.

٢ Hommel, Grundriss, I, S. 140.

٣ D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriftten, S. 15.

٤ Handbuch, I, S. 225, Hommel, Aufsatze und Abhandlungen, II, S. 177, Ilmukah, S. 53, Oslander, in ZDMG., Bd., 20, S. 282.

٥ Handbuch, I, S. 225, Oslander, in ZDMG., Bd., 20, 1866, S. 282, Hommel, Aufsatze, II, S. 177, Mordtmann, Himjarische Inschriftten, S. 27, ZDMG., Bd., 31, S. 88, Saba, Denkmaler, S. 258, Fell, in ZDMG., Bd., 54, S. 250.

وعبر عن الشمس بـ (ذت بعـــدن) (ذات بعدان) كذلك ، أي ذات البعد . وهي كنية قصد بها الشمس حينما تكون بعيدة عن الأرض أي في أيـــام الشتاء . وقد استدل على ذلك بجملة وردت في نصوص المسند ، هي : (بعلمن بعدن وقرين) ، أي (بالعالم البعيد والقريب) ، بمعنى في الماضي والحاضر[1] . وقصد بذلك الشمس في هذا الوقت من السنة حيث تكون أشعتها غير محرقة ولا شديدة مؤذية للناس[2] . وأنا لا استبعد أن يكون المراد من ذات البعد، الإلهة التي تشمل برحمتها وبركتها الأبعاد ، أي المسافات الواسعة والأماكن البعيدة فضلاً عن القريبة أو الإلهة البعيدة عن الناس التي لا يمكن أن يصل اليها أحد .

وكنّي عن الشمس في النصوص القتبانية بكنى أخرى ، منها : (ذت صنتم)، (ذات صنتم) ، (ذات صنت) ، و (ذت رحـــبن) ، (ذات رحبان) (ذات الرحاب) ، و (ذت صهرن) (ذات الصهر)[3] ، و (ذت غدرن) أي (ذات الغدر) و (ذات الغدران) ، و (ذت برن) ، (ذات بران) ، (ذات البر) ، و (ذت ضهرن) ، (ذات ضهـــران) ، و (ذ محرضو ومشرقتن) ، أي ذات اللون الذهبي المشرق . و (مشرقتن) ، بمعنى الغروب والشروق ، و (تدن) (تدان) (تدون) ، و (تنف) ، وذلك في الكتابات السبئية ، و (ذت حسولم) (ذات حسول) ، أي شمس الشتاء ، وذلك في النصوص المعينية[4] .

وقد عرف إلّه حضرموت الرئيس بـ (سن) (سين) ، وهو القمر . وهو إلّه شعب حضرموت الخاص . وقـــد نعت بنعوت ، مثل (ذ عـــلم) ، أي (ذو العلم) ، بمعنى العالم ، وبنعوت أخرى . وورد اسمه في كتابات عثر عليها في (يحا) بالحبشة[5] .

و (عثتر) من الآلهة التي ورد اسمها في نصوص كثيرة من نصوص المسند .

---

١ Glaser 618, CIS, 541.

٢ Handbuch, I, S. 226.

٣ W. Fell, Südarabische Studien, in ZDMG., Bd., 54, S. 238, (1900), Neue Katabanische Inschrifttten, S. 15.

٤ Arabien, S. 245.

٥ Rep. Epigr., 3616, Grohmann, S. 245.

ورد في نصوص معينية وسبئية وحضرمية وقتبانية . ويقابله Atargatis المدون اسمه في كتب (الكلاسيكيين) ، و (عتر) Atar' عند السريان ، و (عشتر) (عشتار) . وقد ذكر في نصوص الأشوريين والبابليين والكنعانيين والعبرانيين والحبش وغيرهم ، مما يدل على انه كان من الآلهة التي كانت عبادتها شائعة في منطقة واسعة ، واند كان من الآلهة الكبرى قبل الميلاد[1] .

وقد ورد (ام عثتر) ، و (ابم عثتر) في بعض النصوص . وقصد بالجملة الأولى : (أم عثتر) ، وبالجملة الثانية (أب عثتر) (عثتر أب) . وقد استنتج (دتلف نلسن) من ذلك ان (عثتر) هنا هو بمثابة الإلـه الرئيس ، فهو أب وأم للآلهة يليه القمر في الترتيب ثم الشمس[2] . وذهب في بحث آخر له عن ديانة العرب الى ان المراد بـ (ام عثتر) الشمس ، باعتدادها أنثى إلهة أماً. أما ولدها فهو (عثتر)[3] . وليس بمستبعد ان يكون المراد من (ام عثتر) ، ان (عثتر) بمنزلة الأم للمتعبدين لها ، تريد لهم الخير والبركة وتعطف عليهم وتحبهم عطف الأم على ولدها . وان المراد من (عثتر ابم) (عثتر أب) ، ان (عثتر) هو بمنزلة الأب للمتعبدين له ، يشفق عليهم ويحبهم،ويمنحهم الخير والصحة والبركة . وذهب بعض الباحثين الى ان المراد من عبارة (ام عثتر) ، الإلهة الشمس ، لأنها أم (عثتر) ، وان المقصود من (ابم عثتر) (أب عثتر) لإلـه القمر ، الذي هو زوج الشمس ، ومن زواجهما ولد الابن (عثتر) .

وقد جاء في نص سبئي وجد في مدينة (صرواح) ان صاحبة النص قدمت الى الإلهة (ام عثتر) (ام عثتر) أربعة تماثيل من ذهب،لأنها وهبت لها أربعة أطفال ، هم ولد واحد وثلاث بنات ، كلهم أحياء يرزقون . ولأنها سرت قلبها بهذه الذرية . وهي لذلك قدمت هذه التماثيل ، ولترجو منها ان تستمر في الإنعام عليها وعلى ابنها وبناتها بالصحة والعافية[4] . وقد قصد بـ (ام عثتر) هنا

---

١ Winckler, Altorient. Forschungen, I, S. 528, Hilprecht, Baby., Exped., IX, 51, 76, Ency. Religi., Vol., II, p. 165.

٢ D. Nielsen, Mondreligion. S. 42.

٣ Handbuch, I, S. 228.

٤ Handbuch, I, S. 228, Derenbourg, Etudes Sur L'Epigraphic du Jemen, Paris, 1884, NO : II.

الإلهة الشمس . ويتبين من هذا النص أن السبئيين كانوا ينظرون الى (ام عثر)، نظرة البابليين الى (عشتار) على أنها إلهة الخصب[1] .

وقد عثر في النصوص النبطية ، على اسم إلهة هي (ربة العثر) (ربت عثر) ، أي الشمس[2] .

وورد اسم (عثتر) في عـــدد كبير من نصوص المسند على هذا النحو : (عثتر شرقن) ، و (عثتر ذ قبضم) ، و (عثتر ذ يهرق) . و (عثتر ذ يهر) ، وهكذا . وتعني جملة (عثتر شرقن) ، عثتر الشارق . وقد ذكر أهل الأخبار أن (الشارق) صنم كان في الجاهلية وبه سمّوا عبد الشارق . مثل (عبد الشارق بن عبد العُزّى) الجهني شاعر من شعراء الحماسة[3].فلفظة (شرقن) إذن ، نعت لـ (عثتر) ، معناه (الشارق) .

ويرى بعض الباحثين أن (عثتر شرقن) ، هو الإلـه الحارس للمعابد والمقابر اليه يصلى ويدعى أن تصل الهبات الى المعابد[4] . واليه توسل المتوسلون لحفظ قبورهم من عبث العابثين بهـــا المُعَيرين لأحجارها الطامعين في كنوزها ، ولهـــذا نعت بـ (عثتر يغل) ، أي (عثتر المنتقم)[5] .

وأما جملة (عثتر ذ قبضم) ، فقصد بـ (قبضم) معنى (القابض) أو (الجالس) ، أو اسم موضع يقال له (قبض) . فيكون المعنى : (عثـــتر رب موضع قبض)[6] . وأما (يهرق) و (يهرق) (يهريق) ،فهو اسم مدينة من مدن معين . كان بها معبد لعبادة (عثتر)[7] .

وورد أيضاً (عثتر غربن) ، أي (عثتر الغارب) ، كناية عن غروبه ، أو عن طلوعه عند الغروب ، فهو اذن نجم الشروق ونجـم الغروب ، أو النجم الشارق والنجم الغارب . كما ورد (عثتر نورو) (عثتر نورن) ، أي (عثتر

---

١ D. Nielslen, Altarabische Mondreligion, S. 41.

٢ Littmann, NO : 24, Lidzbarski, Ephem., Bd., 3, S. 292, Handbuch, I, S. 227.

٣ تاج العروس (٣٩٢/٦) ، (شرق) .

٤ Ency. Religi., 10, p. 883.

٥ Arabien, S. 245.

٦ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 27, Ency. Religi., 10, p. 882, Glaser 1089, 1660, Halevy 208.

٧ Handbuch, I, S. 228, Hommel, Grundriss, I, S. 85, W. Fell, in ZDMG., Bd., 54, S. 231-259.

نور) و (عشـــتر المنير) ، تعبيراً عن لمعانه وعن النور الظاهر عليه . وجاء (عثتر سحرن) ، أي (عثتر السحر) ، بمعنى عثتر الذي يظهر عند السحر، وعبر عنـــه بـ (متب نطين) ، أي الحامل للرطوبة ، تعبيراً عن الرطوبة التي تكون عند ظهوره ، فنسبوها اليه[1] .

وقـــد تكرر ذكر اسم (عثتر) في بعض النصوص ، على سبيل التوكيد والتشديد في القسم وفي الدعاء ، كما نفعل نحن أحياناً من اعادة اسم الله في الايمان المغلظة وفي التوسلات عند ساعات المحنة والشدة . ورد : (بعثتر شرقن، وبعثتر ذ قبضن ، وود ونكرحم ، وبعثتر ذ يهرق ، وبكل ال ل ات معن)[2] . أي: (بعثتر الشارق وبعثتر ذو قبضن وبودّ ، ونكرح ، وبعثتر ذو يهرق ، وبكلّ آلهة معين) ، أو (وبحـــق عثتر الشارق ، وبحق عثتر القابض أو رب موضع قبض ، وبحق ودّ ، ونكرح وعثتر رب يهرق ، وبحق كل آلهة معين) .

ولدينا جملة أسماء مركبة ورد فيها اسم (عثتر) ، مثـــل (اوس عثتر) (او سعثت) و (هوف عثت) (هو فعثت) ، و (لحي عثت) (لحيعثت). و (عثت) هنا هو اختصار (عثتر)[3] .

ومن آلهة العرب الجنوبيين الإلـه (قينن) (قينان) ، وهو إلـه قبيلة (سخيم) ، النازلة بـ (شبام) ، (شبام سخيم)[4] .

ومن بين أسماء آلهة العرب الجنوبيين اسم الإلـه : (ال) (ايل) ، ذكر اسمه مستقـــلاً كما ورد مقروناً باسم الإلـه (عثتر) كما في الكتابتين الموسومتين بـ Halevy 144 ، وبـ Halevy 150 ، وقد قدم ذكره فيها على اسم الإلـه (عثتر)[5]. وقد ورد بكثرة في الأعلام المركبة .

ومن بين أسماء الآلهة التي ورد اسمها في النصوص العربية الجنوبية ، اسم الإلـه (تلب ريم) (تالب ريام) . وهو إلـه خاص بقبيلة (همدان) . كما أن (المقه) هو إلـه (سبأ) و (سين) (سن) إلـه حضرموت ، و (عم) إلـه قتبان،

---

١ Arabien, S. 245.

٢ الفقرة الخامسة من النص : Glaser 1150, Halevy 192.

٣ Handbuch, I, S. 228.

٤ Arabien, S. 245.

٥ Handbuch, I, S. 218, Halevy, in Journal Asiatique, 1872, Tome 19, p. 152.

و (ود) إلـه معين . وقد ظهر بظهور نجم (بني بتع) واشتهر بهم . وكان ظهوره حوالى الميلاد بصورة خاصـــة . ففي ذلك العهد اشتد أمر أقيال همدان ، فاستأثروا بالحكم ، ودعوا أنفسهم ملوكاً ، ورفعوا إلـه قبيلتهم فوق الآلهة الأخرى، فنحروا له الذبائح ، وقدّموا له النذور ، وتنافسوا في بناء معبـده . ودام عزيزاً مكرماً ما دام نفوذ ملوك همدان[1] .

وقد كانت لهذا الإلـه مثل سائر الآلهة الأخرى جملة معابد ، غير أن معبده الأكبر هو المعبد المعروف بمعبد (تلب ريم بعل ترعت) أي : (تـــألب ريام رب ترعت)[2] . ويظهر أن كلمة (ترعت) هي اسم موضع ، أقيم المعبد عليه . وهو معبد كانت تقدم اليه أقيال (سمعى) وقبائل همدان الأخرى النذور والقرابين والهدايا ، وتحبس له الأرضين .

ومن الآلهة التي ورد اسمها في الكتابات العربية الجنوبيـــة ، الإلـه (حول) (حويل) ، والإلـه (جلسد) (الجلسد) . وتدل لفظة (حول) على الحول والقوة . فلعلّ معنى اسم هذا الإلـه هو (الحويل) ، أي صاحب الحول والقوة. بمعنى القوي . وهو من آلهة حضرموت[3] .

وورد اسم الإلـه (حلفن) في جملة أسماء الآلهة المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية . وقد ورد في جملة نصوص تتعلق بحبس أموال وبعقد عقود . ويلاحظ ان أصحابها استعانوا بهذا الإلـه لانزال النقمة والعذاب وأشد الجزاء بكل من يحاول أن يغير او يبدل تلك العقود والنصوص ، أو يتجرأ فيستولي على الأموال والحبوس المقررة ، كما رجوا منه أن يشملهم هم وجماعتهم برحمته وبلطفه وكرمه لاخلاصهم له ولفنائهم في حبه[4] .

ومن بين الآلهة إلـه عرف بـ (ذ سموي) ، أي (رب السماء) ،وهو إلـه ظهر اسمه قبل الميلاد بقليل[5] . وقد بقي اسمه متألقاً في سماء اليمن ، يقدم اليـــه الناس النذور والقرابين الى ما بعد الميلاد . ويرى بعض الباحثين ، ان عبادته تدل

---

١ Ilmukah, S. 68.

٢ Hommel, Grundriss, I, S. 143.

٣ Handbuch, I, S. 188, Ilmukah, S. 55, Hommel, Sudarabische, S. 22.

٤ Halevy, 147, 148, Rhodokanakis, Stud., I, S. 57, 59.

٥ Handbuch, I, S. 88.

على ظهور عقيدة التوحيد عند العرب الجنوبيين ، إذ تدعو الى عبادة إلـه واحد، هو (رب السماء)[1] .

ولدينا كتابة مخرومة أسطراً ، لكنها لا تزال مع ذلك مفهومة ، تفيد ان جماعة من الأشرار المارقين تطاولوا على حرم (اوثن ذ سموي) أي (الوثن رب السماء) ، فسرقوه ، ونهبوا ما كان فيه ، واستولوا على ما كان حبس له . ولكن عبدته عادوا ، فجمعوا ما سرق ، وأصلحوا ما أفسد ، وتقربوا الى الإلـه (رب السماء) بطلب التوبة والغفران ، وختموا نصهم بهذه الجملـة : (و ذ سموى ليزامتعن شعبهو) ، أي (وليمتع رب السماء شعبـه)[2] . ويقصد النص بشعبه أتباع هذا الإلـه وعبدته .

وإلى هذا الإله ، الإلـه : (ذ سمي) (ذ سموي) ، إلـــه السماء تعبدت قبيلة (امر) (أمر) . ويعد (بعل سمن) (بعل سمين) (بعل السماوات) إلهاً للبركة والخصب ، إذ يرسل المطر فينشر الخير للناس[3] .

ونقرأ في النصوص العربية الجنوبية اسم إلـه جديد ، هو الإلـه (رحمن) ، أي (الرحمن) . وهو إلـه يرجع بعض المستشرقين أصله الى دخول اليهودية الى اليمن وانتشارها هناك . وهذا الإلـه هو الإلـه (رحمنه) Rahman-a (رحمنا) في نصوص تدمر[4] .

وورد في نص : (رحمنن بعل سمين) (رحمنن بعل سمن) ، أي (الرحمن رب السماء) ، أي انه إلـه السماء . فصار في منزلة الإلـه (ذ سموى) . ثم لقب بـ (رحمنن بعل سمين وارضن) ، أي (الرحمن رب السماء والأرض) في نصوص أخرى[5] . فصار إلـه السماوات والأرضين .

وقد نشر نص بالمسند ، وردت فيه جملة : (الرحمن الذي في السماء واسرائيل رب يهود)[6] . وهو نص ، إن صح نقله عن الأصل بدقة وعناية ، وإن صح

---

١ Handbuch, I, S. 104, Rivsta, 1955, Fasc., I, II. p. 109, Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, p. 118.

٢ REP. EPIGR. 850, Rhodokanakis, Stud., S. 162, Mordtmann, Beiträge, S. 188.

٣ REP. EPIGR., 4142, Arabien, S. 245.

٤ Handbuch, I, S. 104, 248.

٥ Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, p. 103.

٦ Margoliouth, Relations, p. 68.

انه نص صحيح غير مزيف ، يشير الى تأثر صاحبه باليهودية وبعبارة الرحمن . وقد استشهد به من قرأه على تهود صاحبه .

ويرد اسم الإلـه (بعل سمن) (بعل السماء) (بعل السماوات) في الكتابات الصفوية ، وفي كتابات تدمر ، حيث ورد (بعل شمن) (بعل شمين) ، وفي كتابات بعلبك ، وفي كتابات اللحيانيين . وقد ظهرت عبادته قبل الميـلاد[1] . ويظهر لذلك انه من الآلهة المعروفة عند الساميين وعند العرب الشماليين قبل الميلاد، ومن الجائز ان يكون قد انتقل الى العرب الجنوبيين من العرب الشماليين .

ووردت في الكتابة الموسومة بـ SE 48 أسماء آلهة هي : (م ح ر ض و) (محـرضو) ، و (م ش ر ق ي ت ن) (مشرقيـتن) و (نسور) و (ال فخر)[2] . وقد ذهب (رودوكناكس) الى ان المراد من محرضو ومشرقيتن الشمس . وذهب آخـرون الى ان المراد بهما القمر والزهرة . وذهب فريق آخـر الى ان المراد بذلك غروب الشمس وشروقها[3] . أما (نسور) ، فاسم إلـه ، لعل له صلـة بـ (نسر) . وقد وردت في نص سبئي هـذه الجملة : (بت نسور وبت ال) (بيت نسور وبيت ال) ، ويقصد بـ (بت) (بيت) معبد لعبادة هذين الإلهين : (نسور) و (ال) . و (ال) هو (ايل) (ايلو) إلـه الساميين القديم[4] .

وورد في أحد النصوص السبئية هذا التعبير : (اهـل نسور) مؤديـاً معنى (قوم نسور) و (ملة نسور) ، ويراد بهم جماعة هذا الإلـه التي كانت تتعبد له . وعرف أحد أشهر السنة في النصوص السبئية المتأخرة بـ (ذ نسور) ، ولعله أريد بذلك نسبة الشهر المذكور الى هذا الإلـه[5] .

و (نسور) هو (نسر) على رأي بعض الباحثين . ويرمز الى (القمر)[6] . وقد حصل المنقبون على أحجار حفرت عليها صورة النسر ، فعلوا ذلك على سبيل التيمن والتبرك بهذا الإلـه .

---

١ Arabien, S. 86, Ryckmans 20.

٢ الجملة الخامسة والسادسة من النص : Rhodokanakis, Katabanische, II, S. 28.

٣ Katabanische. II, S. 38, Hommel, Grundriss, S. 689, 719, Sab. Denkm., S. 80, Sudarabische, S. 22.

٤ Glaser 418, 419.

٥ Glaser 418, 419, 1549, Katabanische, II, S. 36.

٦ D. Nielsen, Neue Katabanische Inschriftten, S. 14.

وورد اسم إلـه دعي بـ (نسر) ، يظن أنه إلـه (ذ قلع) ، (ذو قلاع)، اسم موضع أو قبيلة . ويرى الباحثون أنه الإلـه (نسور) الذي نتحدث عنه[1] .

و (نسر) هو اسم صنم من الأصنام التي عرفها أهل الأخبار . فقد زعموا أنه أحد أصنام نوح الخمسة ، وأن (عمرو بن لحي) جاء به الى حمير ، فأشاع عبادته بينهم[2] .

وأما اسم الإلـه (ال فخر) ، فيظهر أنه مؤلف من كلمتين ، هما : (ال) اسم الإلـه (ايـل) المعروف عند الساميين ، و (فخر) ، وهي نعت من نعوت الآلهـة . كما في كلمة (ال تعلي) في النصوص القتبانية ، وهـي بمعنى (الله تعالى) في لهجتنا . و (فخر) العربية ، هي مثل (بخرو) في الآشورية، ومنها العلم المركب : (نبخر بلو)[3] .

وورد اسم الإلـه : (يعوق) أي الصنم يعوق المعروف ، في نص متأخر ، يعود عهده الى ما بعد الميلاد ، وورد معه اسم : (رحمنن بعل سمن) ، أي (الرحمن رب السماء) . وقد أرخ النص بشهر (ذ دون) (ذ داون) (ذي دوأن) لسنة (٥٧٤) من التأريخ الحميري . المقابلة لسنة (٤٥٩) للميلاد[4] .

وهناك أسماء آلهة لا نعرف من أمرها في الوقت الحاضر شيئاً كثيراً ، من بينها الإلـه (بلو) ، وقد عبر عنه بأنه إلـه البلاء والموت والمنون . وإلـه يقـال له (حلفن) (حلفان) ، ويقال إنه إلـه القسم والحلف واليمين،والإلـه (ورفو)، وهو إلـه الحـدود ، أي الإلـه المختص بالمحافظة على الحدود ، و (منضح) (منضحت) ، وهو إلـه الماء والري ، و (متبقبط) ، وهو إلـه الحصاد عند المعينيين ثم الإلـه (يهرهم) ، وهو إلـه المطر[5] .

ولا بد من الاشارة الى اسم إلـه ورد في كتابات عثر عليها في (شبام سخيم)

---

١ راجع النص : Rep. Epigr., 4725, Arabien, S. 246.

٢ Reste, S. 23, Ryckmans 16, Winckler, Arabisch-Semitisch Orientalisch, S. 118, Arabien, S. 85.

٣ Katabanische, II, S. 38.

٤ Ryckmans, in Le Muséon, 1954, Tome, LXVII, pp. 100, A. Fakhry, An Archaelogy. Journey to Yemen, III, p. 195, PL : XXLX, XXX.

٥ Arabien, S. 246.

وهو الإلـه (قينن) (قينان) . وهو إلـه (بني سخيم)[1] .

لقد تجمع لدى علماء العربية الجنوبية من أسماء آلهة العرب الجنوبيين مـا ينيف على مئة اسم إلـه ، غير أن اكثر هذه الأسماء ليست في الواقع أعلاماً ، وإنمـا هي صفات ونعوت للآلهة ذكرت بدلاً من ذكر اسم الإلـه الخاص . أو كنايـة تشير الى أسماء المواضع التي كانت فيها معابد تلك الآلهة ؛ فقد كان لبعض المدن معابد خصصت بعبادة إلـه ، ربما كان إلـه المدينة أو جملة آلهة لها بالطبع صلـة بالمدينة وبالشعب الذي تنتمي المدينة اليه . غير أن هذه الآلهة جميعها يمكن رجعها الى ثلاثة ، هي القمر والشمس والزهرة . أي الى ثالوث يرمز الى هذه الكواكب الثلاثة[2] .

وهناك أسماء مثل (يثعم) في السبئية ، و(ككون) في المعينيـة ، و (ارن يدع)[3] ، و (سميهت) ، و (ذ اينت) ، و (نقين) ، و (نوشم) و (هروم) ، يظن أن لها صلة بالآلهة .

وكما حفظت نصوص المسند أسماء بعض آلهة العرب الجنوبيين، حفظت النصوص الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية كذلك أسماء بعض آلهة تلك الشعوب . وهي كما يظهر من دراستها وتحليلها خليط من آلهة ترد أسماؤها في روايات الأخباريين ، ومن آلهة ترد أسماؤها في النصوص العربية الجنوبية ، كما ان بينها أسماء آلهة لم ترد لا في أخبار الأخباريين ولا في نصوص المسند . ولاتصال مواطن هـذه الشعوب بمواطن الساميين الغربيين وبمواطن الساميين الشرقيين ومتاخمتها لعرب العراق ونجد والقبائل العربية في الحجاز ولصلاتها التأريخية القديمة بالعرب الجنوبيين، كان لدراسة الناحية الدينية عند هذه الأقوام أهمية كبيرة في معرفة التطورات الدينية قبل الاسلام، وهذا الخليط الذي أشرت اليه هو في حد ذاته دراسة قيمة تشير الى التقاء التيارات الدينية واتصالها بهذه البقاع .

وحفظت النصوص الثمودية أسماء جملة آلهة ، تعبدوا لها وتقربوا اليها بالقرابين والنذور . منها الإلـه : (ود) و (جد هـدد) و (شمس) و (عزيز)

---

١ Arabien, S. 245

٢ Ency. Britani., Vol., 19, p. 486.

٣ Arabien, S. 246.

و (نعرجد) و (عمى شجا) و (رضو) و (منت) و (كهل) و (نهي) و (ايل) (ال) و (لت) (السلات) و (عتر سم) (عتر سمن) و (صلم) و (منف) (مناف) .

و (جد) هو إلـه عرف عند بني إرم وعند العرب الشماليين وفي المقاطعات السورية ، وهو إلـه (السعد) في اليونانية ، يسعد الأشخاص والبيوت . وقد سمي به موضع (بعل جد) وموضع (مجدل جد) ، وأسماء مواضع أخرى فيها كلمة (جد)[1] .

وقد وجدت جملة (الإلـه ازيزوس الفتى الطيب) مدونة على جدران أحد المعابد باللغة اللاتينية ،ووجدت جملة أخرى فيها : (الإلـه الطيب الفتى فوسفورس)[2] ، وفي وصف الإلهين بـ (الفتى) وبـ (الطيب) دلالة على ان المتعبدين لهما كانا يتصوران انهما كانا فتيين طيبين خيرين يمثلان الطيب والمودة . ونجد في نص تدمري وصفاً للإلهين : (ارصو) و (ازيزو) ، أي (رصو) و (عزيز) ، يشبه الوصف المتقدم ، إذ ورد : (لارصو ولازيزو : الإلهان الخيران المجزيان) ، و (ازيزو : الإلـه الطيب والرحيم) . فوصف الإلهان بأنهما خيران ، ويجزيان الناس خيراً . وهي نعوت تمثل وجهة نظر القوم الى هذين الإلهين .

وقد عثر في (تدمر) على نص ورد فيه : « لا رصو ولا زيزو . الإلهان الخيران المجزيان . قد عمله بعكي (بعلي؟) بن ير حيبولا . أفكل ازيزو الإلـه الطيب والرحيم . لسلامته ولسلامة إخوته . في شهر اكتوبر من سنة ٢٥ . فليذكر الناس يرحى النحات »[3] . فنحن أمام إلهين : (ارصو) و (ازيزو) ، من آلهة تدمر .

وورد اسم الإلـه (ازيزوس) والإلـه (مونيموس) في كتابات عثر عليها في (الرها) وفي حوران وتدمر. وقد ظهر الإلهان في نقش ، حفر عليه موكب عربة الشمس . نقش (أزيزوس) ، وهو يتقدم العربة ، و (مونيموس) ، وهو يتبعها[4] .

---

١ Hastings, p. 276.
٢ رينه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام (١٤٠) .
٣ رينه ديسو (١٣٥ وما بعدها) .
٤ رينه ديسو (١٣٤ وما بعدها) .

و (ارصو) (أرصو) ، هو الإلـه (رضو) عـلى مـا يظن . وأمـا (ازيزوس) (أزيزو) ، فهو اسم إلـه لعلّه (عزيز) ، تحرف فصار عـلى النحو المذكور في الكتابات اللاتينية : والإرمية . وأما (مونيموس) ، فهم (منعم). وأرى أن عزيزاً ورضياً ومنعماً هي من الأسماء الحسنى ، أي نعـوت من نعوت الآلهة لا أسماء عـلم . وذلك على نحو ما نسمّي اليوم بـ : (عبـد الرضا) ، وبـ (عبد العزيز) ، وبـ (عبد المنعم) .

و (هدد) هو اسم إلـه تعبدت له شعوب عديدة من شعوب الساميين ، منهم بنو إرم والعرب الجنوبيون والشماليون ، كما تعبد له الآشوريون . وقد اقترن اسمه عند الآشوريين والبابليين بـ (رمان) ،ودخلت عبادته اليهم من بني إرم الغربيين . ويمثل (هدد) مثل (رمان) (رمون) Rimmon = Rammon = Ramman إلـه الهواء والرعد والعواصف ، ويظهر أنه من أصل عربـي هو (هد) . ومن اسم هذا الصنم الاسم (بنهدد) (بن هدد) (بنحدد) المذكور في التوراة [1] .

ولا بد ان تكون لهذا الإلـه صلة بالإلـه (جد) ، ومن هذا الاقتران ظهر (جد هدد) في كتابات قوم ثمود .

و (رضو) هو الصنم (رضى) عند الأخباريين ، وهو صنم بقي حيـاً تتعبد له القبائل العربية حتى الاسلام ، فكسر [2] . ويرى (دتلف نيلسن) ، انه يمثل الزهرة عند قوم ثمود والصفويين ، وانـه في منزلة (عثتر) عنـد العرب الجنوبيين [3] . وقد تعبدت له (بنو ربيعة بن كعب) ، كما تعبّد له أهـل تدمر والنبط وأهل الصفاة ، وعـرف بـ (ه — رضو) (هارضو) ، أي بادخال (ه) (ها) أداة التعريف على الاسم . وقد انتشرت عبادته بين قبائل نجد والحجاز [4] .

ويرى (رينه ديسو) ان (رضى) إلهة عند الصفويين ، وانهـا كانت إلهة كذلك عند بقية العرب . أما (ارصو) ، فإنه مذكر عند أهل تدمر [5] .

---

١ Hastings, p. 323.

٢ الاصنام (ص ٣٠) .

٣ Handbuch, I, S. 229.

٤ E. Oslander, 499, Reste, S. 58, Ryckmans 18, Jaussen-Savignac, Mission, II, 565, 583, 598, Arabien, S. 84.

٥ رينه ديسو (١٣٦) .

أما (عزيز) ، فإنه الإلـه (عزيزو) Azizo المعروف عند أهل (الرها) ، الذي تحدثت عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى انه يمثل كوكب الصباح ، أي الزهرة . وقد وصف في كتابة مدونة باليونانية انه : Deus bonus puer phosphorus أي الإلـه الجميل اللمّاع ذو الأشعة البراقة التي تشبه في لمعانها لمعان الفوسفور[1] .

و (كهل) أو (كاهل) ، هو (كهلن) المذكور في كتابة معينية. وقد ورد الاسم مقروناً في نص ثمودي بأداة التعريف (ه) (ها) ، أي (هـكـهـل) (ها — كهل) (هكهـل) . وتعني لفظة (كهـــل) المعنى المفهوم منها في عربيتنا ، كما تعني (القدير)[2] .

وتعني كلمة (نهي) في الثمودية ما تعنيه لفظة (حكم) في العربية الجنوبية، أي (حكم) وحاكم و (حكيم) في بعض الآراء ، ولعلّهـــا تعني (الناهي) وتكون بذلك صفة للإلـه.وقد ورد اسم هذا الإلـه في مواضع عديدة من الكتابات الثمودية[3] .

وأما (منف) ، فإنه الصنم (مناف) المذكور عند أهل الأخبار[4] . وقد تعبدت له قريش ولحيان ، كما تحدثت عنه في موضعه .

وقد ورد اسم (صلم) في عدد من الكتابات الثمودية . ويظهر أن الثموديين كانوا قد أخذوا عبادة هـــذا الإلـه من أهل (تيماء) . فقد كانت تيماء من أهم الأماكن المتعلقة بعبادة هذا الصنم في حوالي السنة (٦٠٠) قبل الميلاد . وقـــد جاءت عبادته اليهم من (بني إرم) . ومنهم انتقلت عبادته الى العرب . وتدل بعض الأسماء المركبة الواردة في الكتابات اللحيانية مثل اسم (صلم يهب) (صلميهب) على أنه كان معبوداً عند اللحيانيين كذلك[5] . ومن لفظة (صلم) جاءت كلمـــة (صنم) على رأي بعض المستشرقين .

وقد ورد اسم (عترسم) (هـ — عترسم) في عدد من الكتابات الثمودية .

---

١ Handbuch, I, S. 220.

٢ Handbuch, I, S. 215, Glaser 299, Halevy 237, Hommel, Grundriss, S. 163, E. Littmann, Zur Entzifferung der Thamudischen Inschrifttten, 1904, S. 75.

٣ Handbuch, I, S. 215.

٤ أخبار مكة ، للازرقي (١/٧٨) ، Ryckmans 16, Reste, S. 18, Arabien, S. 84.

٥ Hubert Grimme, Die Losung des Sinaischriftproblems, Die Altthamudische Schrift, Munster, 1926, S. 23, Arabien, S. 86.

وقد توسل فيها أصحابها منه أن يمن عليهم بالبركة والخير والصحة والسلامة.[1] . وقد جاء اسم هذا الصنم من (عثتر سمن) (عتر سماء)،أي (عثتر السماء) .

والإلـه (ود) هو إلـه معروف عند الثموديين كما سبق أن ذكرت . وقـد تودد اليه عباده والمؤمنون به ، فذكروه في كتاباتهم ، ورمزوا اليه بصورة حية، كما رمز اليـه العرب الجنوبيون بصورة رأس ثور . وقد تعبر صورة الحية عن الروح التي في بدن الإنسان[2] .

وذهب (دتلف نلسن) الى أن من بين آلهة ثمود إلـه اسمه (ملك) ، وهو يرى أن الإسم المركب (عبد ملكن) ، أي (عبـد الملك) ، لا تعني كلمة (ملك) ، الواردة فيه بالمعنى السياسي الذي نفهمه منها ، وإنمـا المراد بها اسم إلـه . وذهب أيضاً الى أن لفظـة (ملكن) الواردة في النص القتباني الموسوم بـ (Glaser 1600 لم يقصد بها ملكاً من ملوك قتبان ، بل أريد بهـا إلـه اسمه ملكن ، أي (الملك) . وذكر أيضاً ان اسم (عبد الملك) من الأسماء المعروفة في الجاهلية ، ورد في نصوص الثموديين والصفويين[3] .

وفي الكتابات الثمودية أسماء مركبة مثل (يعذر ال) (يعذر ايل) ، و(صلم ال) (صلم ايل) ، و (عزر ال) (عزر ايل) ، و (سعد ال) (سعد ايل) ، و (ود ال) (ود ايل) ، اختتمت باسم الإلـه (ال) (ايل) ، مما يدل على ان (ال) (ايل) كان من الآلهة التي تعبّد لها قوم ثمود .

ومن الأسماء الثمودية المركبة الأخرى (بعثتر) وفيه اسم الإلـه (عثتر) الذي عرفناه في المسند ، و (يثع امر) (يثع أمر). وفيه اسم الإلـه (يثع) ، وهو من الأسماء المستعملة بكثرة في العربية الجنوبية . و (صلم دع) و (صلمن دعم) ، فـ (صلمن) اسم الإلـه (صلم) من آلهة قوم ثمود المعروفة ، و (تيم يغث) (تيم يغوث)، وهو اسم مركب من اسمي إلهين هما : (تيم) و (يغوث)[4] .

---

١ Hubert Grimme, S. 43.

٢ Arabien, S. 269.

٣ Handbuch, I, S. 232, D. Nielsen, Studier over Oldarabiske Indskrifter, Kobenhava, 1906, p. 136, O. Weber, Studien zur Sudarabischen Altertumskunde, in MVAG., 1917, S. 26-31.

٤ Grimme, S. 33.

ووردت في الكتابات اللحيانية ، أسماء جملة آلهة . منها : (ذ غابت) (ذو غابة) و (عوض) ، و (ود) ، و (بعل سمن) ، و (سلمان) (سلمن) ، و (العزى) ، و (منف) (مناف) ، و (جدت) ، و (ال) (ايل) ، و (إلـه) ، و (لت) (الت) ، و (سمع) ، و (نصر) ، و (منت) ، و (هفلس) ، و (عجلبون) (عجلبن) ، وأكثر هذه الآلهة كما نرى معروفة ، وردت أسماؤها في الكتابات وفي مؤلفات أهل الأخبار .

والإلـه (ذ غبت) (ذو غابة) ، هو من أشهر آلهـة اللحيانيين . ولعله إلههم الأول والأكبر . ومع ذلك ، فإننا لا نعرف عنه شيئاً كثيراً . وقد كان له معبد في (الديدان)[1] . وخوطب بكلمة (قدست) ، أي القدس أو المقدس في كتابة من كتاباتهم ، وقيل انه في جملة ما قدم اليه من قرابين ، قرابين من البشر[2] .

وليست كلمة (ذ غبت) (ذو غابة) ، اسم علم للإلـه ، بـل هي صفة له ، تعني : (صاحب الغابة) ، أو (صاحب غابة) . وقد وردت لفظـة (ذ غبت) في الأعلام المركبة ، مثل : (عبد ذ غبت) (عبد ذو غابة) ، و (فلح ذ غبت) (فالح ذو غابة) ، و (خرح ذغبت) (خرح ذو غابة) ، و (مـر ذ غبت) ، أي (مرأ ذو غابـة) ، و (زيد ذ غبت) ، أي (زيد ذو غابة) . وورد (عرر ذ غبت) ، أي (عرر ذو غابة) . والعرو والعر ، الجرب ، وهو مرض جلدي معروف . فكأن صاحب الكتابة أراد بها ، ان الإلـه (ذو غابة) يرسل هذا المرض الى مخالفيه ومن يعارض أحكامـه أو يعتدي على غيره[3] .

وأما (عوض) ، فقد ورد اسمه في الأعلام المركبة مثل : (عبد عوض) ، و (جد عوض) ، وقد تعبّد له الصفويون كذلك[4] .

وأما ودّ ، فهو إلـه عام له شهرة عند العرب ، وقد عمت عبادته كل جزيرة

---

١ Ryckmans 19, Jaussen-Savignac, Mission, II, 368, 371, 375, W. Caskel, Lihyan, S. 45, Arabien, S. 85.

٢ Histoire Generale des Religions, Tome, IV, p. 312, Preislamiq., p. 19.

٣ W. Caskel, Lihyan., S. 44.

٤ Histoire, IV, p. 312, Preislamiq., p. 19, Handbuch, I, S. 193.

العرب . والظاهر أنه كان من الآلهة العربية القديمة،وقد بقي معبوداً حتى الإسلام : وهو من الأصنام المذكورة في القرآن[1] . وقد نعت بـ (افكل) ، وورد اسمه في الأعلام اللحيانية المركبة[2] . وتعبدت له تميم ، وطيء ، والخزرج ، وهذيل، ولخم ، وقريش . وأقيم له صنم في دومة الجندل ، صنع على هيأة انسان . ويرى البعض انه الإلـه (أدد) عند ثمود . ويظن أن الصنم (قوس) يرمز اليه ، ويرى بعض الباحثين أن (نسراً) والصنم (ذو غابت) يرمزان اليه كذلك[3] .

وقد نعت (ود) في بعض النصوص العربية بـ (نحسطب) (نحس طب)، ومعناه (الحية الطيب) (الحية الطيبة) ، لأن الحية رمز للإلـه (ود)[4] .

ويظن أن اللحيانيين كانوا يتعبدون لهذا الإلـه منذ كانوا في مواطنهم الأولى ، فلما هاجروا الى (ديدان) لم ينسوه ، ولكنهم بقوا يتعبدون له ويتقربون اليه ، لأنه إلـه الآباء والأجداد وإلـه لحيان الأكبر ، كما تفعل بقية القبائل في اتخاذ إلـه الآباء والأجداد الإلـه الأول للقبيلة ، والصنم الأكبر بين الأصنام[5] .

وأما (بعل سمن) أي (رب السماء)،فقد تحدثت عنه ، ووجدنا أنه كان معبوداً عند العرب الجنوبيين ، والغالب أنهم أخذوا عبادته من العرب الشماليين . وقد كان له معبد في (ديدان) . وقد نعت معبده بـ (احرم) (احرام) ، بمعنى (الحرم) ، أي حرم الإلـه (بعل سمين) (رب السماء)[6] . وتعبد له (النبط) وكانوا قد أقاموا له معبداً في (سيع) ، وذلك فيما بين السنة ٣٣/٣٢ — ١٢/١٢ قبل الميلاد[7] .

والظاهر أن اللحيانيين قد أخذوا هذا الإلـه من النبط . وقد تشرف أحدهم بتسمية نفسه بـ (عبد سمن) أي (عبد السماء)[8] . وقصد بـ (سمن) الإلـه

---

١ سورة نوح ، رقم ٧١ ، الآية ٢٣ .
٢ Histoire, IV, p. 312.
٣ Arabien, S. 87, Reste, S. 14, Ryckmans, 16, Jaussen-Savignac, Mission, II, p. 395, 581.
٤ Grohmann, Gottersymbole, S. 71.
٥ Lihyanish, S. 44.
٦ Histoire, IV, p. 312, Preislamiq., p. 20.
٧ W. Caskel, Lihyan, S. 45.
٨ W. Caskel, Lihyan, S. 124

(بعل سمن) ، أي (رب السماء) . وقد اختصر الاسم ، فصار (سمن) (سمين) .

والعزى من الأصنام المعروفة عند أهل الأخبار . وقد بقيت عبادته معروفة الى الاسلام. وقد أشير اليه في القرآن . وقد ذكر اسمه في كتابات عثر عليها في(العلا)[1]. وتعبد له النبط كذلك ، وصنعت له معبداً في (بصرى) دعي (بيت ايل) . وعبر عنه بـ (كوكبتا) ، أي (الكواكب) ، وهو أنثى ، أي إلهة[2] .

وقد ورد اسم (العزى) على هذه الصورة : (هنعزى) في كتابة لحيانية ، دوّنها رجـــل اسمه (أوس بن حجر)[3] . ويظن بعض الباحثين ، أن العزى تمثل كوكب الصباح . ويظهر أن اللحيانيين قد أخذوا عبادتها من نبط بلاد الشأم[4]. وأنها لم تكن من آلهـــة اللحيانيين في الأصل ، بدليل عدم ورود اسمها كورود (ذو غابة) أو الآلهة اللحيانية الأخرى في النصوص اللحيانية[5] .

وورد اسم العُزى في الأعلام المركبة ، مثل : (بل عزيني) (بال عزيني) و (بـ ايـــل عزيني) ، أي بـ (العزيني) ، وذلك في الكتابات الثمودية . و (تيم العزى) و (عبد العزى) و (امت العزى) ، وفي كتابات أخرى تعود الى ما بين القرن الخامس قبل الميلاد ، والقرن الرابع بعد الميلاد[6] .

ويظهر من بعض الأعلام اللحيانية المركبة ، مثل (اوس يه) (اوس يهو) ، و (عزريه) (عزر يهو) ، أن القسم الثاني من الاسم ، وهو (يه) (يهو) ، قريب من (يهوه) ، وهو الإلـه الكبير المعروف عند العبرانيين . فـ (يه) (يهو) هو اسم إلـه من آلهة اللحيانيين .

وأما الإلـه (جدت) ، فالغالب أنه إلهة ، أي إلهاً أنثى بدليل وجود تاء التأنيث في آخر الاسم . والأصل هو (جد) ، وهو اسم إلـه تكلمت عنه[7] .

---

١ Histoire, IV, p. 312, Preislamiq., p. 20.
٢ Doughty, Travels in Arabia Deserta, II, p. 511, 515.
٣ W. Caskel, Lihyan., S. 82.
٤ Lihyan., S. 262.
٥ Lihyan., S. 45.
٦ Littmann, Thamud und Safa, S. 29.
٧ Ryckmans, Preislamiques, p. 19, Histoire, IV, p. 312.

وأما (هفلس) (ها ــ فلس) ، فإنه (الفلس) ، عند أهـــل الأخبار . وقد ذكروا أنه كان على هيأة حجر أسود تعبدت له (سليم) ، أو على صورة إنسان قدّ من حجر عند (طيء)[1] .

و (قيس) و (قيسو) من أسماء الآلهة المذكورة في الكتابات اللحيانيـة . وقد كان له معبد عرف بـ (بت قس) (بيت قيس) في مدائن صالـح[2] . ويدل وجود اسمه في الأعلام العربية المركبة ، مثل (عبد قيس) و (عبـــد القيس) ، انه كان من الأصنام المعروفة المعبودة عند بقية العرب في مختلف أنحاء جزيرة العرب .

وورد في كتابة لحيانية اسم إلـه هو : (محر) (ه ــ محر) (همحـــر) وبعده اسم إلـه آخر ، هو (هنا كتب) . ويظهر انه من الآلهـــة التي كانت تعبد في العربية الجنوبية وعند المعينيين الشماليين ، وتعني لفظة (محر) شريعة ، أو قانون أو أمر ، أو سُنّة . وهو من الآلهـــة التي اختفى اسمها في الكتابات اللحيانية المتأخرة[3] .

وأما (هنا كتب) (هانيء كاتب) (هني) (هاني) ، و (هنى كتب) (هاني كتب) المذكور مع (ه ــ محـــر) (همحر) (هامحـــر) ، فيرى (كاسكل) W. Caskel انه الإلـه (توت) Thot[4] . و (توت) هو إلـه مصري ، ويرمز اليه بصورة قرد . ويمثله الإلـه (نبو) عند البابليين . ويمثل (توت) (هرمس) و (المريخ) Merkur . فهو الإلـه الكاتب . ولعـــل اللحيانيين أخذوا إلههم هذا من المصريين[5]. ولكننا لا نستطيع أن نجزم ان اللحيانيين قد تصوروا إلههم هذا على صورة (قرد) محاكاة للمصريين لأنهم أخذوه منهم، إذ لا دليل لدينا نستدل به على انهم تصوروا ذلك الإلـه بصورة قرد[6] .

---

١ E. Osiander, 501, Reste, S. 51, Preislamiques, p. 17 Arabien, S. 84, Jaussen-Savignac, Mission, II, p. 84.

٢ Reste, S. 67, Preislamiques, p. 48, Arabien, 85, Jaussen-Savignac, Mission, II, 501, 520, 528, I, 169, 200, CIS, II, 209, Daughty, Documents Epigraphiques, p. 38, CIS, II, 198, J. Euting, Tagebuch., II, S. 262.

٣ Lihyan, S. 45.

٤ Preislamiques, p. 20, Arabien, S. 86.

٥ Lihyan, S. 45.

٦ Lihyan, S. 45.

ووردت في بعض الكتابات اللحيانية أعلام مركبة ، جاء فيها اسم هذا الإلـه ، مثل (جرم هنا كتب) ، و (زيد هنا كتب) . ومعنى (جرم) و (زيد) خادم أو عبد ، فيكون الاسم (عبد هنا كتب) ، (عبد هنا كاتب)[1] .

وأما (سلمن) (سلمان) ، فإنه من الآلهة التي ظهرت عبادتها عند اللحيانيين المتأخرين . ويرى بعض الباحثين انـــه والإلـه (اب الف) (أبو ايلاف) من الآلهة التي كان واجبها حماية القبور . وقد رمز عن (ابـي ايلاف) بصورة أسد يوضع عند جانب القبر ليحميه[2] .

وقد ورد اسم الإلـه (ابا لف) (ابو ايلاف) اسم علم لشخص كان كبيراً على قومه ، وذلك في ايام الملك (عبدان بن ها نواس)[3] .

وورد اسم إلـه هو (شمس) ، وقد عبد عند أهل تدمر أيضاً ، كما تعبدت له تميم . ونجد بين أسماء رجال قريش وقبائل أخرى أسماء تدل على تعبـد الناس للشمس ، ومن هذه الأسماء : (عبد شمس)[4] .

وأما الإلـه (عجلبن) (عجلبون) (عجل بن) ، فإنه من الآلهة اللحيانية المتأخرة . ويظهر ان اسمه الأصلي هو (عجل بل) (عجل بول) (عجلى بل) أي (عجل) و (بول) . ونجـد اسمه مـــع (يرحى بول) (يرح بل) (يرحبل) ، و (بل) في الكتابات التدمرية . ويظهر ان تاجراً جاء بـــه الى اللحيانيين ، وأدخل عبادته عندهم . ويظهر انه جاء به من العراق[5] .

ولدينا أسماء ونعوت آلهة تعبد لها اللحيانيون من غير شك ، وإن لم نعثر عليها في كتاباتهم ، توصلنا الى معرفتها والوقوف عليها من دراستنا للأسماء اللحيانيـــة المركبة ، مثل (كبر ال) (كبر ايل) ، و (متع ال) (متـع ايل) ، و (ذرح ال) (ذرح ايل) (ذرحال) ، و (عذر ال) (عذر ايل) ، وأمثال ذلك ، فإن اللفظة الثانية وهي (ال) (ايل) ، هي الإلـه (ايـــل)

---

١ Lihyan, S. 45.
٢ Lihyan, S. 45.
٣ Lihyan., S. 113.
٤ Starcky, Palmyre, 37, 80, O. Eissfeldt, 95, 101, Arabien, S. 87.
٥ Lihyan, S. 45.

(ايلو) ، وهو من الآلهة السامية القديمة[1] .

وبين الأسماء التي وصلت الينا ، اسم رجل عرف بـ (عبد قني) (عبد قاني)[2] ، مما يدل على ان لفظة (قني) ، هي اسم إلـه أو نعت من نعوت الآلهة .

وورد في الكتابات اللحيانية المتأخرة اسم رجل عرف بـ (عبد غث بن زد له سمم)[3] ، أي (عبد غوث بن زيد لاه بن سمم) (سموم) ، كما ورد (زد غث) ، أي (زيد غوث)[4] ، وذلك يدل على ان لفظة (غوث) اسم إلـه . وعندي ان (غوثاً) نعت من نعوت الآلهة ، أي اسم من أسماء الله الحسنى لا اسم علم لإلـه خاص .

و (خرج) من الآلهة التي تعبد لها اللحيانيون ، بدليل ورود اسمه في أسماء الأعلام المركبة مثل : (زيد خرج) و (عبد خرج)[5] .

ويعد (رعن) من آلهة اللحيانيين كذلك ، إذ ورد في الأعلام المركبة ، مثل : (رعنامر) ، أي (رعن أمر) ، وهو اسم رجل من (ديدان) . فـ (رعن) من آلهة الديدانيين أيضاً ، ومثل : (رعنامد) (رعن امد) ، ومعنى (امد) أغضب ، و (رعنلثع) ، (رعن لثع) ، أي (رعن احاط) و (رعن ادرك) . فـ (رعن) اذن اسم إلـه من آلهة اللحيانيين والديدانيين[6].

والإلـه (يثع) و (يثعن) ، من الآلهة التي تعبد لها اللحيانيون ، فقد ورد في النص الذي وسمه الباحثون برقم (٧٣) وبـ J S 73 و M 26 ، اسم امرأة عرفت بـ (امتيثعن بنت دد) ، أي (أمة يثعن بنت داد) ، (أمة اليثع بنت داد) ، وورد في الكتابات اسم رجل عرف بـ (يثع حيو)[7] ، واسم رجل آخر هو

---

١ (جرم ال) (جرم ايل) (عزال ، (عزايل) (عم ال) ، (عم ايل) ، (ايس ال) (ايس ايل) ، (سعد ال) (سعد ايل) ، (يمسك ال) (يمسك ايل) ، Lihyan, S. 46.

٢ Lihyan, S. 47, 143, JS 214.

٣ JS 41, Lihyan, S. 109.

٤ JS 298, Lihyan, S. 47, 154.

٥ Lihyan, S. 47.

٦ Lihyan, S. 47, JS 108, JS 116, JS 142.

٧ Lihyan, S. 100.

(يثعحن) ، مما يدل على ان (يثع) كان إلهاً معبوداً ومعروفاً عند (بني لحيان).

وقد ورد في كتابة من كتابات (ديدان) اسم رجل عرف بـ (يثع امر) (يثع أمر) ، فقد ورد في النص الموسوم بـ (٢) من الكتابات القبوريـــة : (كهف : يثعامر) ، أي (قبر : يثعامر) (قبر يثع أمر)[١] . واسم (يثع أمر) هو من الأسماء الشائعة المعروفة عند العرب الجنوبيين ، وقد تسمى به ملوك من ملوك (سبأ) . فالظاهر انـــه من الأسماء التي أخذها الديدانيون واللحيانيون عن العرب الجنوبيين ، ومن الجاليات العربية الجنوبية التي كانت قد استقرت في أيام عز الحكومات العربية الجنوبية في هذه الأماكن . فـ (يثع) اذن ، هو إلـه من آلهة العرب الجنوبيين في الأصل ، انتقلت عبادته منهم الى أهل ديدان واللحيانيين .

ومن الآلهة التي نجد لها أثراً في عبادة اللحيانيين من دراستنا لأسمائهم ، **الإلـه**: (حمد) (حميد) . فقد ورد في اسم امرأة عرفت بـ (امتحمد بنت عصم)[٢] . وأرى ان (حمد) أو (حميد) ليس اسم إلـه ، أي اسم علم ، وانما هو نعت من نعوت الآلهة ، أي اسم من الأسماء الحسنى ، التي يسم الانسان بهـا آلهته ، على سبيل التأدب والاحترام .

ونرى أثر عبادة الإلـه (مناة) عند اللحيانيين من دراستنا للأعلام المركبـــة أيضاً ، مثل : (عبد مناة) (عبد منت)[٣] ، و (اسمنت) (اوس منت) ، أي (أوس مناة)[٤] ، و (عبمنت) اختصار (عبد مناة) و (عبدة مناة) ، و (عذ منت) ، أي (عوذ مناة) ، و (عابذ مناة) ، و (هون منت) (هون مناة) ، و (نعم منت) (نعمت) أي (نعم مناة) ، و (نسمنت) (نسأ مناة) ، و (قن منت) (قنمنت) ، أي (قين مناة) ، و (سنفمنت) (سنف مناة) ، و (تهنمنت) (تهنأ مناة) ، الى غير ذلك من أعلام مركبة، ورد فيها اسم ذلك الإلـه[٥] الذي هو إلهة ، أي أنثى عند العرب . وقد ذكرت

---

١ Lihyan, S. 78.

٢ راجع السطر الاول من النص المرقم بـ : ٧٨ ، المنشور في كتاب : Lihyan, S. 115.

٣ Lihyan, S. 103.

٤ JS 10, Lihyan, S. 143.

٥ Dihyan, S. 46.

في القرآن الكريم . ولا أستبعد ان يكون أنثى عند اللحيانيين أيضاً . ولعل لأصل الكلمة التي أخذ اسم هذه الإلهة منه ، وهو (منوتو) Manotu في النبطية ، وتعني (منية) في عربيتنا صلة ، بجعل الإلـه إلهة ، أي تحويلها الى إلهة أنثى .

والصنم (اللات) من الأصنام النبطية ، المعبودة عند النبط ، والمعبودة عند ثمود كذلك ، والظاهر ان عبادته انتقلت الى عرب الحجـاز ونجـد من العرب الشماليين ، الذين تأثروا بعبادة النبط[1] .

ووردت لفظة (هتهم) في كتابة لحيانية ، وردت بمعنى (إلاهتهم) ، أي تعبيراً عن إلهة أنثى[2] . ويظن (كاسكل) ، انها تصغير (لات) (لث) . و (اللات) ، من الآلهـة المعروفة المعبودة عند النبط ، وكذلك عنـد العرب الشماليين ، وعند عرب الحجاز . وقد ذكرت في القرآن الكريم ، وهي إلهـة ، أي أنثى. وترد اللفظة عندهم في الأعلام المركبة مثل : (تيم اللات) (تيم لات)[3] .

وقد وردت لفظة (هله) (هـ ــ لاه) في كتابـة لحيانية ، وردت بصيغة التوسل والنداء والخطاب ، أي بمعنى : (اللهم) و (يا الله)[4] . ووردت لفظة (للهِ) ، أي (الى الإلـه) أو (للهِ) ، في كتابة أخرى[5] . وهي لا تعني في كلتا الحالتين إلهاً خاصاً معيناً ، وانما تؤدي المعنى الذي تؤديه لفظة (إلـه) و (الإلـه) في عربيتنا ، و God في الانكليزيـة ، وربما قصد بها إلـه لحيان الأكبر (ذو غابة) ، كما يقصد المسلمون باطلاقها لفظة (الله) ، وذلك للتعبير عن اسم الله بأسلوب مؤدب مهذب[6] .

ومثل : (هنا له) (هنا لاه) (هنى لاه) ، و (نساله) (نسألاه) (نسى لاه) ، و (ودع لاه) (ودع له) ، و (مراله) (مرأ لاه)، و (تيم له) (تيم لاه) ، و (وهب له) (وهب لاه) ، و (زيد له) (زيد لاه) ، و (جرم له) (جرم لاه) ، و (سعد له) (سعد لاه)[7] ،

---

١ Lihyan, S. 46.
٢ Lihyan, S. 89.
٣ Lihyan, S. 46.
٤ Lihyan, S. 103.
٥ Lihyan, S. 104.
٦ Lihyan, S. 46.
٧ Lihyan, S. 46.

فإن الجزء الأخير من الاسم وهو (له) (لاه) ، هو (إلـه) . وإلـه من الألفاظ الدالة على الله ، وترد في أكثر اللغات السامية .

ويلاحظ ان أكثر استعمال (ال) (ايل) في العبرانية هو في الشعـر وفي أسماء الأعلام المركبة ، ولم يستعمل في النثر إلا قليلاً[1] . أما في اللهجات العربية وفي اللغات السامية الأخرى ، فقد استعملت اللفظة في الأعلام المركبة في الغالب ، وفي معنى (إلـه) مثل (ال تعلى) ، أي (الإلـه تعالى) ، وما شاكل ذلك، أي بمعنى اسم من أسماء الله الحسنى وإلـه .

وعلى الرغم من ورود (ال) (ايل) El بصورة يستنبط منها انها قصدت إلهاً معيناً خاصاً ، أي اسم علم ، لا نستطيع ان نقول إن (ال) اسم علم لإلـه معين مخصوص ، مثل الآلهـة الأخرى التي ترد أسماؤها في الكتابات ، ذلك لأن الذين ذكروا (ال) (ايل) في الأعلام المركبـة ، أو في مواضع أخرى من كتاباتهم لم يقصدوا كما يتبين من الاستعمال إلهاً معيناً اسمه (ال) (ايل) ، وانما أرادوا ما نعبر عنه بقولنا (إلـه) والجمع آلهة . فلفظة (إلـه) عندنا ليست اسم علم ، وانما تعبر عن اسم الجلالة دون ذكر اسمه . وهي كذلك عندهم وعنـد بقية الساميين بمعنى (رب) ، وإلـه و (بعل) عند الأقدمين .

ولا يعرف العلماء معنى لفظة (ال) (ايل) على وجه علمي دقيق . ولكنهم يفسرونها عادة بمعنى (القدير) و (الحاكم) . ومعنى ذلك ان (ال) نعت من نعوت الآلهة ، أو اسم من أسماء الله الحسنى بحسب التعبير الاسلامي . ويرى بعض العلماء احتمال عدم وجود صلة له بـ (الوهيم) Elohim الكلمة العبرانيـة التي تطلق على الإلـه[2] .

وأما آلهـة الصفويين ، فهي (اللت) (لت) (هلت) ، و (دين) (ديان) ، و (هله) (ه ل ه) ، و (جد عوذ) ، و (بعل سمن) ، و (شيـع ه — قوم) (شيـع القوم) ، و (اثـع) ، و (صالح) ، و (ذ الشرا) (ذو الشرى) ، و (رضا) (رضى) ، و (جد ضيف) ، و (رحم) (رحيم)[3] .

---

١ Hastings, p. 299, Lihyan, S. 46, Le Muséon. 1954, Tome, LXVII, p. 106.

٢ Hastings, p. 299.

٣ Ryckmans, p. 21.

و (الت) ، أي (اللات) إلهة أي أنثى ، ويراد بها الشمس . وقد مثلت في بعض النصوص الصفوية بقطعة من الشمس رسمت بصورة بدائية ، ورسمت في بعض النصوص السامية الشمالية بشكل امرأة عارية [1] ، رمز اليها بصورة فرس في النصوص العربية الجنوبية، والفرس من الحيوانات المقدسة التي ترمز الى الشمس عند قدماء الساميين وعند غيرهم من الشعوب ، ولذلك كان الناذرون لها يقدمون لها تماثيل مصنوعة على هيأة فرس [2] .

ولفظة (ديان) (ديّان) ، ليست اسم صنم على ما يظهر، وانما هي صفة من صفات الآلهة . وهي معروفة في عربيتنا وعند المسلمين ، تطلق على الله .

وقد استعمل الصفويون (جد عوض) اسماً لإلـه ، كما استعملوا اسماً آخر قريباً منه هو (جد ضيف) .

وقد ورد اسم الإلـه : (جد عوض) (هجد عوض) في نص محفوظ في متحف دمشق ، وسم بـ Damas 1312 ، وورد بعده اسم الإلهين : (شع هقوم) (شيع هقوم) ، و (هلت) (اللات) [3] .

وتقابل لفظة (جد) معنى الحظ في اللغـة اليونانية ، وقد صار في الأقاليم السورية المتحضرة الإلـه الحارس للمدينة . و (جد عوذ) هو إلـه معروف مشهور عند الصفويين ، وورد اسمه في كتاباتهم . وقد ذهب (رينـه ديسو) الى ان لفظة (عوذ) (عويذ) هي اسم عشيرة أو قبيلة كانت تتعبد للإلـه (جد) ، وكانت سدنته منهم ، فنسب اليهم وعرف بـ (جد عوذ) (جد عويذ) على طريقة العرب في ذلك العهد من نسبة الأرباب الى القبائـل أو العشائر أو السدنة التي يخدمونها أو الى الأشخاص الكبار [4] .

وقد ورد اسم الإلـه (جد ضيف) (جـد ضف) في عدد من الكتابات الصفوية التي عثر عليها في المملكة الأردنية الهاشمية . كما ورد فيها اسم إلـه آخر هو الإلـه : (هجد عوذ) (ها — جد عوذ) [5] .

---

١ Handbuch, I, S. 214.

٢ Handbuch, I, S. 227, Grohmann, Gottersymbole und Symboltiere auf Sud-arabischen Denkmaler, Wien, S. 70.

٣ Ryckmans, Inscriptions Safaitiques, Louvain, 1951, p. 87.

٤ رينه ديسو (١٣٧)

٥ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 1951, Vol., I, p. 27.

أما الإلـه (شيع القوم) ، فقد ورد اسمه في النصوص النبطية في (بطرا) وفي (تدمر) ، وهو إلـه القوافل في نظر بعض المستشرقين[1] .

وهو إلـه يحمي قومه. وقد احتمى به أهل القوافل خاصة من الأعراب وقطّاع الطرق . ولذلك كان التجار وأصحاب القوافل يذكرون اسمه وربما يحملون وثنه معهم لحمايته لهم في أثناء السفر حتى بلوغهم ديارهم سالمين .

وقد نعت في كتابة نبطية دوّنها أحد نبط (تدمر) ، بأنه (الذي لا يشرب خمراً)[2] . وهذا يعني ان هذا الإلـه كان يكره الخمور ، ويكره شاربيها ، ولعل في ذلك فكرة تحريم الخمر عند جماعته . وقد كان في الجاهليين من حرموا الخمر على أنفسهم . كما نعت بـ (الإلـه الطيب المجازي)[3] ، وهو نعْت نُعِت به ومثله آلهة أخرى . وقد ذهب بعض الباحثين الى احتمال وجود جماعة من النبط ومن غير النبط كانت تحرم شرب الخمر ، بدليل ما جاء في النص النبطي من نعته بأنه (الإلـه الطيب المجازي الذي لا يشرب الخمر)[4] . و (يثع) هو في جملة الآلهة التي تعبد لها الصفويون ، كما تعبد له غيرهم أيضاً . وقد قلت سابقاً باحتمال انتقال عبادته الى هذه الأرضين من العرب الجنوبيين الذين كانوا قد نزحوا اليها واستولوا عليها وذلك قبل الميلاد. وتعني لفظة (يثع) الحامي والناصر والمساعد، وقد حرّف في اليونانية الى (ايثاؤس) و (يشع) . وقد ورد (يثع) في نص توسل فيه صاحبه الى هذا الإلـه ان يعينه على المكاره ، وتوسل آخر اليه ان يثأر ممن يتبعه ، وطلب اليه آخر ان يشفيه من المرض[5] .

و (رحم) (رحيم) مثل (رحمن) ، أي (الرحمن) ، لعلها اسمان من أسماء الله الحسنى في الأصل ، ثم صارا اسمين علمين . وينطبق هـذا القول على لفظة (صالح) الواردة في نصوص الصفويين[6] .

---

١ Histoire., IV, p. 14.

٢ Littmann, Semitic Inscriptions, 1904, p. 70, Montgomery, p. II, Cooke, North Semetic Inscriptions, p. 304.

٣ رينه ديسو (١٤٥) .

٤ رينه ديسو (١٤٥) .

٥ رينه ديسو (١٤٣ وما بعدها) .

٦ Preislamiques, p. 23.

وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (رحم) : (رحام) . أما (نولدكه) ، فقد قرأها بتشديد حرف الحاء[1] . ولعدم وجود علامات لحركات الحروف ، يجوز ان تقرأ الكلمة (رحيم) ، كما ذكرت آنفاً . وقد ورد اسم هذا الإلـه في نص تدمري أيضاً ، لأنه كان معبوداً عندهم أيضاً[2] .

وقد ذكرت (الشمس) في نص أو نصين أو أكثر من ذلك بقليل من النصوص الصفوية . وعبادة الشمس ، هي عبادة قليلة الانتشار بين الأعراب ، على عكس الحضر الذين كانوا يتعبدون لها . ولهذا كان أكثر الذين عبدوها من الحضر ، أو من الأعراب الذين تطوروا بأن ركنوا الى حياة الحضر ، أو توسطوا بين الحياتين[3] .

وفي جملة النصوص الصفوية التي ورد فيها اسم (الشمس) ، نص سجله رجل اسمه (خالص بن شهم[4] بن عمرة بن عم)[5] . وقد توسل الى (شمس وجد عوذ واللات) ان تنزل العمى بمن يتطاول على الكتابة فيمحوها ويطمس معالمها[6] .

و (شمس) من هذه الآلهة التي ذكرت في الأعلام المركبة ، إذ ورد (عمشمس) (عم شمس)[7] . وهي إلهة معروفة ، تعبد لها العرب الجنوبيون وغيرهم من العرب ، كما انها من الآلهة المعبودة عند بقية الساميين . ويرى (كاسكل) ان الشمس كانت تعد إلهاً ذكراً عند أكثر العرب الشماليين في هذا العهد ، أي في القرن الأول قبل الميلاد ، والقرن الأول للميلاد[8] .

ونجد اسم الإلـه (بعل سمن) في الكتابات الصفوية كذلك[9] . والصفويون ،

---

١ رينه ديسو (١٤٤) .
٢ رينه ديسو (١٤٤) .
٣ رينه ديسو (١٤٤ وما بعدها) .
٤ « شهم » « شهيم » على هذه الصورة : « شوهيم » دونها مترجم : رينه ديسو ، أما الأصل الصفوي ، فهو « شهم » ، راجع رينه ديسو (١٤٢) .
٥ في الأصل « عمرت » ، « عمرة » ، في الترجمة « عمبرت » ، رينه ديسو (١٤٢) ، و « عم » في الأصل ، في الترجمة « عوم » ، رينه ديسو (١٤٢) ، ربما « عوام » .
٦ رينه ديسو (١٤٢) .
٧ Lihyan, S. 47, 144.
٨ Lihyan, S. 48.
٩ Littmann, Safa., S. 58.

هم كما ذكرت قبائل عديدة طافت في هذه الأرضين التي عثر على الكتابات الصفوية بها ، وهم من مواضع متعـــددة ، ولم يكونوا من موطن ثابت ، لذلك كانوا يعبدون آلهة مختلفة ، آلهة قبائلهم ، وآلهة قبائل سبقتهم ، وآلهـــة قبائل اختلطوا بها فأخذوا عنها معبوداتهم ، مثل هذا الإلـه (بعل سمين) ، أي بعل السماء ، أو رب السماء .

وتعدّ اللات من أهم الآلهـــة عند الصفويين ، بدليـــل كثرة ورود اسمها في كتاباتهم . فقد ورد اسمها في أكثر من ستين مرة في الكتابات[1] .

و (ه ل ه) ، (هله) هي بمعنى : (اللهم) . فلفظـــة (له) هي بمعنى (إلـه) و (لاه) . وقد ذهب بعض المستشرقين الى انها تعني (الله) . واذا صح هذا الرأي ، دلّ على ان لفظة الجلالة (الله) كانت معروفة عنـــد العرب الجاهليين قبل الاسلام بقرون . وقد وردت في عدد من النصوص الصفوية مسبوقة بحرف (الهاء) في الغالب ، وهو حرف النداء ، كالذي ورد في نص صفوي سجّله شخص اسمه (سني بن سني بن محنن) ، ذكر فيه انه عثر على أثر عمه ، ثم توسل الى (له) إذ خاطبه بقوله : « فهله سلم لذ ساد وغيرت » ، أي : « فيا الله امنح السلامة لمن سار بمعنى سافر وساعده »[2] .

و (رضى) (رضا) هو من الآلهة التي تعبد لها الصفويون كذلك ، وقد تحدثت عنه في مواضع عدة ، اذ كان معبوداً عند غيرهم أيضاً . وهو (ارصو) (ارضو) في الغالب ، الذي يرد في نصوص تدمر . وقد ورد اسم (رضى) في عدد من الكتابات الصفوية ، يتوسل فيها أصحابه اليه أن يمنّ عليهم بالسلامة والنعم ، وأن يبعد عنهم شر الأعداء وكيدهم ، وأن ينزل النقمـة وغضبه على أعدائهم ،الى أمثال ذلك من توسلات وأدعية[3] .

وورود (عبد حت) ، أي (عبد حوت) ، في الكتابات المتأخـــرة[4] ، يدل على ان (حوتاً) من أسماء الآلهة التي تعبد لها اللحيانيون .

---

١ العرب في سورية قبل الاسلام (١١١) .
٢ رينه ديسو (١٣٤) .
٣ رينه ديسو (١٣٤) .
٤ Lihyan, S. 47, 143, JS 89.

و (حمل) اسم إلـه أيضاً ، لورود اسمه في الأعلام المركبة مثل : (عبد حمل)[1] ، وهو من الأسماء التي وردت في الكتابات اللحيانية المتقدمة[2] .

وكثيراً ما نجد أناساً يتوسلون الى هذه الآلهة بأن تمنحهم السلام والرحمة ، وان تنكل بأعدائهم ، بل نجد شواخص القبور ، ترجوها ان تصيب بالعمى من يطمس كتابة الشاخص ، الذي يحمل اسم صاحب القبر المدفون فيه وان تنزل به الأمراض والآفات[3] . ومعنى هذا ان المؤمنين بها كانوا يعتقدون انها تثيب وتعاقب ، تمنح السلام والخير ، وتنفع وتضر،وتنزل الأذى بمن تريد وتشاء ، ولهذا توسل الناس اليها وخاطبوها ، إما لرجاء وإما لايذاء .

أما آلهة النبط ، نبط (بطرا) ، فهـي : (ذو الشرى) Dushara ، و (اللات) ، وهو إلهة ، (ام الآلهة)[4] ، و (منوتو) ، أي (مناة)[5] ، و (قشح) ، و (هبلو) ، أي (هبل) ، و (شيع القوم) حامي القوم ، وإلـه القوافل[6] .

وأما (ذو شرا) Dausarys = Dousares (دوسرا) ، فإنه (ذو الشرى) الذي يرد اسمه عند أهل الأخبار . وهو من آلهة (بطرا) ، وقد زعم انه في منزلة (ديونيسوس) Dionysos . وعرف بـ Deos Arabikos = Dieu Arabiques في بعض الكتابات اليونانية التي عثر عليهـا في الأردن ، والتي يعود عهدها الى سنة (١١٦ – ١١٧) أو (١٢٦ – ١٢٧) للميلاد ، مما يدل على انه كان من الآلهة المعروفة بين العرب ، وانه إلههم الخاص بهم[7] .

وذكر ان Dusares هو في منزلة Dionysus ، وقد عرف عند اليونان بأنه إلـه العرب ، كما ذكرت . وانه الإلـه Pakades عنـد النبط ، وله معبـد في (جرش) Gerash [8] .

---

١ Lihyan, S. 47.

٢ Lihyan, S. 143.

٣ راجع النصوص في رينه ديسو (ص ١٢٦ فما بعدها) .

٤ CIS, II, 85, 98, NSI, 80, Ency. Religi., 9, p. 112.

٥ CIS, II, 97, 98, NSI, 79. Ency. Religi., 9, p. 22.

٦ Ency. Religi., 9, p. 22.

٧ R. De Vaux, Une Nouvelle Inscription au dien Arabikue, ADAJ, I, 1951, p. 23, Arabien, S. 86.

٨ BASOR, NUM : 83, 1941, p. 8.

وورد اسم (دشر) (دوشرا) Dushares في عدد من النصوص الصفوية. ورد في هذه الجملة مثلاً : (فهلت وهدشر ثار لمن حولت)[1] ، أي (فيا اللات ويا ذو الشرى ، إثأرا ممن يحوّل) . ويقصد بـ (يحوّل) ، يحوّل شاهد القبر الذي كتبت عليه هذه الكتابة . كما ورد في عدد من الكتابات، يرجو فيها أصحابها من هذا الإلـه ان ينعم عليهم بالسلامة وان يتقبل منهم أعمالهم .

وقد ورد مع اسم (ذي الشرى) في بعض الكتابات النبطيـــة ، اسم الإلـه (هبل) واسم (مناة) . و (هبل) هو صنم قريش الرئيس . وهو إلـه الكعبة ويرمز الى القمر . وقد وضع في الكعبة على هيأة انسان ، وأمامه حفرة عبر عنها بلفظة (بغبغ) ، وكانت يده اليمنى مكسورة ، فعوضته قريش بيد من ذهب ، والظاهر ان الحية ترمز اليه ، أو الى ود ، وان الحية التي قيـــل انها كانت في بئر زمزم ، هي رمز هبل[2] .

وورد اسم (اللات) مدوناً في نصوص نبطية عديدة ، فقد عثر بـ (صلخد) على كتابات من سنة (٤٠) قبل الميلاد ، وسنة (٥٠) بعد الميلاد ، وسنة (٩٥) للميلاد ، وعلى نصوص أخرى ، وقد ذكر فيها اسم هذه الإلهة، وأشير فيها الى تشييد معبد خصص بعبادتها ، والى سدنة كانوا يقومون بخدمتها . ووجدت كتابات في مواضع نبطية أخرى ، ورد فيها اسم (اللات) ، وبدل كل ذلك على ان اللات كانت من المعبودات المقدره عند نبط هذه الديار[3] .

أما الكتابات النبطية المدونة في أماكن أخرى من بلاد الشأم وفي أعالي الحجاز، فقد ورد فيها اسم (اللات) . ورد فيها على انه من الآلهة الكبيرة ، التي يخدمها سدنة ، ولها معابد خصصت بعبادتها . فقد جاء في نص مؤرخ بسنة (٤٧) للميلاد ان شخصاً اسمه (ملكو بن قصيو) (مالك بن قصي) ، أو (مليك بن قصي) ، كان كاهناً (للات) في موضع (حبرن) (حبران) ، وهو من جبل حوران[4] .

---

١ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol., II, p. 28, 1953.

٢ الازرقي ، أخبار مكة (١/٦٨ وما بعدها .

٣ رينه ديسو (ص ١١٦ وما بعدها) .

٤ رينه ديسو (١١٥) ، Jaussen-Savignac, Mission, II, p. 506.

وأما آلهة (تدمر) ، فهي (بل) ، أي (بعل) و (عزيزو) ، و (ارصو) (ارضو) ، و (شيع القوم) ، و (شمش) (شمس) و (الـلات) ، و (ايل) ، و (بعل شمين) ، و (سعدو) . ويلاحظ ان الكتابات التدمرية تستعمل في الغالب الكنايات والنعوت الإلهية بدلاً من أسماء الآلهـة ، فاستعملت (تبارك اسمه) ، و (رب العالم) ، و (الله المحسن) ، و (رب العالمين) ، وأمثال ذلك كناية عن آلهـة تدمر . وهي تشير الى وجود فكـرة التوحيد عند التدمريين . والى اغراب أهل تدمر عن التصريح بأسماء الآلهة ، والاكتفاء بذكر نعوتها وأسمائها الحسنى ، على طريقة العبرانيين في تجنب ذكـر اسم الإلـه ، والتكنية عنه بنعوته . وقد يكون لآراء الفلاسفة اليونان أثر في معتقدات أهل تدمر في آلهتهم[1] .

ويرى (ليدزبارسكي) Lidzbarski ان (بل) ، هو إلـه تدمر الأكبر . وهو (بعل) . ولمركزه الخطير عند أهل تدمر ، دعاه اليونان (زيوس) Zeus أما (ملك بل) ، فإنه الشمس ، وأما (عجلى بل) ، فهو القمـر . ويقدم عادة على (ملك بل) في الكتابات . وتقدم القمر على الشمس عادة قديمة عند أهل تدمر لا بد أن يكون لها سبب بالطبع[2] .

أما الإلـه (عزيزو) ، فهو العزى . ويؤيد ذلك ما ذكره أحد الكتبة اليونان من انه كان كوكب الصباح عند العرب، وانه الإلـه الرؤوف الرحيم الذي عبدته العرب قبل الاسلام . ويلاحظ ان هذا النعت وارد في نص تدمري ، مما يثبت كون (عزيزو) هو (العزى) الإلـه الشهير[3] .

وأما (ارصو) (ارضو) ، فيظن (ليدزبارسكي) انه Oratal الذي ذكر المؤرخ (هيرودوتس) ، انه أحد آلهة العرب الكبرى مع الإلـه (اللات) . ويظن ان (ارصو) ، هو (رضا) (رضى) الإلـه الذي أشار اليه الأخباريون .

وأما (اللات) ، فقليل الورود في النصوص التدمرية مع شيوع الأسماء المركبة

---

١ Ency. Religi., 9, p. 592.
٢ Ency. Religi., 9, p. 593.
٣ Ency. Religi., 9, p. 594.

المؤلفة منها ومن كلمات أخرى عندهم[1] .

وأما (منوتو) ، فإنه (مناة) المذكور في القـرآن[2] . وكان له معبد في (قديد) ، بين مكة والمدينة ، وقد صنـع من حجـر ، وتعبدت له الأوس والخزرج ، وهذيل ، وخزاعة . وتعبد له النبط كذلك ، وأقاموا له معبداً أشير اليه في كتابات (مدائن صالح) ، كما تعبدت لـه ثمود ولحيان ونبط تدمر[3] . وهو أنثى في نظر أهل الأخبار ، والظاهر ان بينه وبين المنيّة صلة ، كما بينت ذلك قبلاً .

وقد عبد الإلـه (بعل شمن) (بعل شمين) في تدمر . وقد رأينا انه عبد عند اللحيانيين والصفويين ، وعند غيرهم أيضاً . وقد وجد اسمه في كتابة تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد ، تبين منها انه كان معبوداً في (بعلبك) . وهو كما قلت الإلـه (بعل سمن)[4] .

وأما (سعدو) ، فقد رأى بعض المستشرقين انه الإلـه (القمر) ، وانه الصنم (سعد) ، وهو من الأصنام التي ذكرها أهـل الأخبار . وقد تعبّد له بعض كنانة ، ويقال هذيل ، كما تحدثت عنه[5] .

وورد في بعض كتابات (حوران) اسم إلـه دعي بـ (قصي) . واليـه تنسب بعض الأعلام المركبة التي ورد فيها اسمه ، مثل (عبد قصي) . ويظن انه الإلـه المسمى بـ (زيوس كاسيوس) Zeus Kasios وبـ Jupiter Casius = Jupiter Casiu في الكتابات اليونانية[6] . وفي جملة هذه الأسماء المركبـة المعروفة التي وردت الينا ، اسم (وهب لث) ، أي (وهب اللات) ، وهو اسم ابن الملك (أذينة) من زوجه (زنوبيا) ، أي (الزبّاء)[7] .

---

١ Ency. Religi., 9, p. 594.

٢ سورة ٥٣ ، الآية ٢٠ .

٣ Jaussen-Savignac, Mission, I, p. 169, 192, CIS, II, No. : 224, J. Starcky, Palmyre, 85, Arabien, S. 84.

٤ Arabien, S. 86. Ryckmans, 20.

٥ O. Eissfeldt, 150, Arabien, S. 85, Handbuch, I, S. 234.

٦ Arabien, S. 86.

٧ رينه ديسو (١٢٢) .

وقد ذهب (رينه ديسو) ، الى ان العنصر العربي كان مهماً في تدمر ، وله أثر في حياة المدينة ، وانه هو الذي أدخل عبادة اللات الى تدمر . وقد عبر عنها بـ (اثينا) ، ولهـذا ترجموا اسم ابن الزبّاء ، أي (وهب اللات) ، بـ (اثينودور) Athenodore [1] .

وجاء في كتابات نبط (مدائن صالح) اسم إلـه عرف بـ (شيع هقوم) (شع هقم) (هشع هقم) (شيع هاقوم) (شيع القوم) ، وهو إلـه القوافل والمحاربين . يدافع عن القوافل وعن رجالها ويصد عنها لصوص الطرق وقطّاعها ، ولهذا كان يتقرب اليه التجـار بالنذور وبالدعوات لينزل بمن يتحرش بتجارتهم العذاب الأليم [2] . وهو أيضاً من آلهة قوم ثمود والصفويين [3] ، كما تحدثت عن ذلك .

وقـد بني للعزى معبـد في (بصرى) ، عرف بـ (بت ال) ، أي (بيت ايل) [4] .

وأما آلهـة (ديدان) ، فلا نستطيع التحدث بإفاضة عنها ، لعـدم وصول كتابات ديدانية الينا ، فيها ذكر لتلك الآلهة . وفي الأسماء الديدانية المركبة أسماء آلهة ، على رأسها (ال) (ايل) الذي ورد في (كبر – ال) (كبر ايل) ، و (متع ال) (متعال) (متع ايـل) ، و (ذرحال) (ذرح ايل) ، و (وسقال) (وسق ايل) ، و (ال – بر) (ايل – بر) ، و (العم) (ايل – عم) ، و (شمال) (شيم – ايل) ، و (الاب) (ال اب) ، (ايل اب) ، فإن (ايل) (ال) في هذه الأسماء هو الإلـه (ايل) [5] .

ثم : (إلـه) ، و (يثع) ، و (خرج) ، و (رعن) ، و (دد) (داد) ، و (نعر) ، و (قس) (قوس) (قيس) . وبعض هـذه الألفاظ نعوت للآلهة ، لا أسماء أعلام ، وبعضها من أصل عربي جنوبي ، مثل (يثع) ، فإنها نعت من نعوت الآلهة ، معناه : (المساعد) (الناصر) (المؤيد) ،

---

١ رينه ديسو (١٢٢) .
٢ Arabien, S. 86.
٣ F. V. Wineth, Safaitic Inscriptions from Jordan. University of Toronto Press, 1957, p. 20.
٤ Arabien, S. 82.
٥ Lihyan, S. 37.

وقد عرف عند السبئيين . وبعض آخر من أصل شمالي مثل (دد) (داد) ، فإنه من معبودات الكنعانيين والنبط[1] .

ويرى (كاسكل) ان (خرجا) هو إلَه ، والخرج في العربية أول ما ينشأ من السحاب ، وبه سمي (الخرج) . وقد ورد في الأعلام المعينية المركبة : (عبد خرج) ، و (زيد خرج)[2] . ويحتمل أن يكون قد جاء الى الديدانيين من المعينيين الذين كانوا أصحاب ديدان قبل الديدانيين .

ويرد (دد) (داود) في الأسماء المركبة كذلك ، وكذلك بصيغة التأنيث ، أي (ددت) (دادت) ، أي إلهة . ويعني (دد) عـم[3] . فقـد ورد (حي — دد) (حي داد) ، وورد (عبد ددت) ، أي (عبد دادت) ، يدل على ان (داد) إلَه من الآلهة المعبودة ، وان (ددت) إلهة .

و (قس) أي (قوس) هو أيضاً من أسماء الآلهة ، اذ ورد مكوناً لاسم رجل ، عرف بـ (جلتقس) ، أي (جلت قوس)[4] . وورد اسم آخـر في الأعلام المركبة كذلك ، هو (قس) ، في اسم (عبد قس) ، ويمكـن ان يقرأ (قوساً) كما يمكن ان يقرأ (قيساً) ، أي (عبد قيس) ، و (عبد قيس) و (عبد القيس) من الأسماء المعروفة عند العرب . فـ (قوس) و (قيس) من الآلهة المعروفة عند العرب .

و (قوس) هو من آلهة (بني أدوم) ، أي الأدوميين،اذ كان يعبد عندهم . وقد ذهب (بروى) Braeu الى ان الإلَه (قيس) هو إلَه واجبه حماية الحدود[5] .

ووردت لفظة (صلم) في الأعلام المركبة كذلك ، مثل (صلمجد) أي (صلم جد) ، ومثل (صلميحب) (صلم يحب)[6] ، ومعنى ذلك ان (صلما) هو اسم إلَه .

يلاحظ ان بين الآلهة المذكورة أسماء ، هي في الواقع ليست أسماء ، وانما هي

---

١ Lihyan, S. 38.
٢ Lihyan, S. 38.
٣ Lihyan, S. 38. Lihyan, S. 47, 145.
٤ Lihyan, S. 47, 146.
٥ Lihyan, S. 47, Brau, in WZKM., XXXII, 56.
٦ Lihyan, S. 47, 152, JS 314, 382.

صفات ، أو ما يقال له (أسماء الله الحسنى) في الاسلام ، استعملت وأطلقت على الآلهة حتى صارت في منزلة الأسماء . كما نجد صفات وضعت قبلها لفظة (ذ) أي (ذو) أو (ذت) ، أي (ذات) ، وأطلقت على الآلهة اطلاق الأسماء على المسميات . ومن هذا القبيل (ذعقل) ، أي (ذو عقل) ، و (ذ شرى)، أي (ذو الشرى) ، و (ذ قبض) ، أي (ذو قبض) ، و (ذت انوط) ، أي (ذات أنواط) ، و (ذت حمم) ، أي (ذات حميم) ، و (ذت بعدن)، أي (ذات البعد) ، فليست هذه أسماء في الأصل ، وانما هي على ما ذكرت، وقد عبر بها عن آلهة معينة ، حتى صارت عندهم في منزلة الأسماء .

الآلهة التي ورد ذكرها في النصوص :

وأود ان أدوّن هنا أسماء ونعوت الآلهة التي أشير اليها في نصوص المسند، وفي النصوص الأخرى باختصار ، ليحيط بها القارىء ، وهي : (ود) إلـه معين الكبير . وقد ورد في نصوص أخرى عثر عليها في أعالي الحجاز . و (المقه) إلـه سبأ الكبير ، و (سن) (سين) إلـه حضرموت الكبير ، و (ورخ) و (شهر) ، و (عم) إلـه شعب قتبان . وهي كلها في معنى واحد ، اذ قصد بهـا الإلـه القمر .

ومن الأسماء الأخرى : (انبي) (أنبي) ، و (شرقن) (الشارق) ، و (رحم) (الرحيم) (رحيم) ، و (رحمنن) (الرحمن) ، و (عثتر) ، و (اثرت) (اثيرت) ، و (بعل) ، و (بعلت) ، و (ذات انوت) (ذات أنوات) ، و (ربت اثر) ، و (بعدن) ، و (ذت بعدن) ، و (بـرن) ، و (ذت برن) ، و (غضرن) ، و (ذت غضرن) ، و (حمم) (حميم) ، و (ذت حمم) (ذات حميم) (ذات حمم) ، و (نشقم) (نشق) ، و (رحبن) (رحاب) (الرحاب) ، و (ذت رحبن) (ذات الرحاب) ، و (صهرن) (الصهر) ، و (ذت صهرن) (ذات الصهر)، و (صنتم) ، و (ذت صنتم) ، و (ضهرن) ، و (عم ذ دون) ، أي (عم رب دأون) (عم صاحب داوان) ، و (ال) (ايل) ، و (كهلن) (الكاهل) . و (حرمن) (الحرم) ، بمعنى الإلـه ، و (حرمت) (حرمة) ،

بمعنى الإلهة . و (هوبس) ، و (حلم) (حليم) ، و (حكم) (حوكم) ، و (متب قبط) ، و (متب نطين) ، و (نهى) ، و (نكرح) ، و (نسر) ، و (نسور) ، و (رب شهر) ، و (رب ثون) ، و (صدق) (صديق) (صادق) ، و (شمس) ، و (سموى) ، و (شرقن) ، و (سمع) (سميع) (سامع) ، و (تالب) (تلب) ، و (تلب ريمم) (تالب ريام) ، أي الإلـه (تالب) رب موضع (ريام) لوجود معبد كبير له به . و (عثرت) ، و (عـزيّ) ، و (تلب سمعى) (تالب سمعى)[1] ، و (حول) (حويل) ، و (ذ جربم) (ذو جربب) ، و (ذ قبضم) (ذو قبض) (ذو القبض) (القابض) ، و (سمعى) ، و (شريت) (شرى) ، و (عثتر شرقن) ، و (عزين) ، و (قزح) ، و (متب مذجب) ، و (نرو)[2] .

ومن أسماء آلهـة ثمود : (ود) ، و (جد هدد) ، و (شمس) ، و (عزيز) ، و (نعرجد) ، و (عمى شجا) ، و (رضو) و (منت) ، و (كهل) ، و (نهي) ، و (ايل) (ال) ، و (لت) (لات) ، و (عثرسم) (عثر سمن) ، و (صلم) ، و (منف) ، و (عثتر) ، و (يثع) ، و (يغث) (يغوث) ، و (بعلت) ، و (يهو) ، و (فلس) ، و (عوذ) .

وتمكن الباحثون من الحصول على أسماء عدد من آلهة لحيان ، منها : (ابلف) (اب الف) (ابالف) ، بمعنى (أبو ايلاف) ، و (عجلبن) ، و (بدع سمع) (بدعسمع) . و (بعلسمن) ، (بعل السماء) ، و (ذ غبت) (ذو غابـة) . و (هنا كتب) (هانيء كتب) ، و (له) (لاه) ، و (لهت) (الهات) ، و (لت) (لات) ، و (همحر) (هامحر) ، و (سلمن) (سلمان) . و (هنعزي) (هانعزي) ، و (ود)[3] .

---

١ Handbuch, I, S. 260-261.

٢ Handbuch, I, S. 260.

٣ W. Caskel, Lihjan, S. 141.

وحصلنا من الكتابات الصفوية على أسماء بعض الآلهة ، مثـــل : (اللات) (لت) ، و (العزى) ، و (مناة) (منات) ، و (رضا) (رضو) ، و (هـله) (هالاه) (الله) ، و (جدعوذ) ، و (شمس) ، و (رحم) ، و (شيع هقوم) (شيع القوم) ، و (اثع) (اثاع) ، و (بعل سمين) (بعل سمن) ، و (دو شر) (ذو الشرى) (د شر) ، و (جد ضف) (جد ضيف)[1] .

---

١ Annual of the Department of Antiquities of Jordan, Vol., I, 1951, p. 27. والعدد الثاني الصادر سنة ١٩٥٣ (ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .